

محمد

مشكاة الأنوار

(قطوف محمدية)

عبد الله / صلاح الدين القوصي

الطبعة الثانية

غرة رجب ١٤٢٨ هـ / يولية ٢٠٠٧ م



الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُسْتَحَقُّ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامٍ كُلِّ شَاكِرٍ وَحَامِدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ حَابِدٍ

سُبْحَانَ رَبِّي ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ
وَالْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْعِظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ

الكتاب

لقد ألفت هذا الكتاب
إيماناً وحباً لله الكريم ومرضاته
وقد أهديت حق المات في الطبعة والنشر
هبة خالصة مني لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم

المؤلف

- مقدمة الشيخ / حسين محمود خضر وكيل أول
٧ وزارة الأوقاف المصرية – رئيس قطاع الشؤون الدينية
- تنويه..... ١٠
- تقديم واعتذار للمؤلف..... ١٣
- الباب الأول: الحب بين الإيمان والإسلام ٢٧
- الباب الثاني: بشرية رسول الله ﷺ ٦٧
- الباب الثالث: حول بشرية رسول الله ﷺ ١١٧
- الباب الرابع: الرسالة وجوامع الكلم ١٤٥
- الباب الخامس: واردات وتأملات في كتاب الله. ١٧٧
- الباب السادس: جوامع الكلم ٢٦١
- الباب السابع: حول نبوة رسول الله ﷺ ٣١٣
- الباب الثامن: في ثواب الصلاة على سيدنا محمد ﷺ. ٣٨٩
- الباب التاسع: من صيغ المؤلف للصلاة على
الرسول ﷺ (من كتاب الحضرة) ٤٠١
- صَدَرَ لِلْمُؤَلِّفِ ٥٥٣



وزارة الأوقاف

مكتبه الوكيل الأول

رئيس قطاع الشؤون الدينية

• الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام والإيمان ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، الحمد لله وجود الكريم بفضله ، ويحكم بعدله ، ويمن على عباده بوسع رحمته ، خلق الإنسان علمه البيان.

• سيدى أبا القاسم يا رسول الله ، يارحمة مهداة ، يانعمة مسداة، يا رحمة للعالمين ، يا صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود ، والشفاعة العظمى ، يا مشكاة الأنوار، ونور الظلام وضياء الحق والبرهان، يا نورا على نور من نور الأنواروقدس الأبرار، سيدى يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين وبعد !!!

• سيدى القارئ الكريم إليك كتاب محمد ﷺ مشكاة الأنوار ومصباح كل هائم ومشتاق ، مؤلفه احتارت فيه الأفهام وعجزت عن وصفه الأقلام ووقف أمام شموخه العلمى كل باحث وهائم

فى حب النبى العدنان ، مؤلف هذه المشكاة فضيلة الشيخ العارف
بالله سيدى صلاح الدين القوصى ، فيض من نور حب المصطفى،
وزهرة من بستان الصدق والعفاف ، عشقت ونالت ، وتمنت ونالت،
وفازت وارتقت وعلت فى سماء المجد الإلهى ، فنطقت بالإلهام
مسطرة أحلى الكلام بفضل كثرة صلاتها وصلتها بمشكاة
حبيب الأنام

إن ضاقت بك الأحوال يوماً

فبالأسجار ملّ على محمد

يطلبى الله عشراً على

من يطلبى على محمد

وفى مائة يطلبى الله ألفاً

فجعل بالصلاة على محمد

ولا تنسى رسول الله يوماً

فما أبهى الصلاة على محمد

• طاف المؤلف بروحه الطاهرة بستان النبوة العامرة ، واستنشق
من ريحه ، وعاش فى ظله الظليل ، ومدده الجميل ، وعطائه
النبيل ، عطاء لا ينفد ، فانفجرت سريرته فعظمت همته وطابت
قريحته، فكتب وهو فى هذا المحراب ما أفاض الله به عليه واصفا

رسول الله ﷺ ، وهو ينظر إليه بعين اليقين وحق اليقين بإشارة سيد المرسلين ، فكتب وهو فى أعلى درجات الصفاء والحب والعشق لنور الأنوار بل كل الأنوار ، جملة الجمال وكل الكمال ، هذا الكتاب بأبوابه التسعة بين الحب والإيمان والبشرية وجوامع الكلم حول النبوة وثواب الصلاة على سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ما أروع هذا الكلام وأحلاه لو قرأته بالحب والعشق وصفاء النفس وطهارة الروح .

- إذا أردت تفهما لهذا الكتاب فأكثر من الصلاة على رسول الله واطلب الرحمة والرضوان وعلو القدر والشان للمؤلف والناشر والحامل والقارئ ، لكى تفوز بالجنة والرضوان وسلام على عباده الذين اصطفى .
- ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا واختتم لنا بخاتمة السعادة أجمعين وصل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؛؛؛

القاهرة فى : يونية ٢٠٠٧م

جماد آخر ١٤٢٨هـ

وكيل أول الوزارة

رئيس قطاع الشؤون الدينية

(حسين محمود خضر)

(تنويه)

يا قارئ .. رحمك الله ...

هذا الكتاب (محمد مشكاة الأنوار) جديد فى مفاهيمه ..

جديد فى عرضه .. جديد فى أسلوبه ..

و أنا لم أتعرض فى هذا الكتاب لعقيدة ثابتة و لا أصولية فى

الدين ... و لا لما هو معلوم من الدين بالضرورة ... و لم أحرم حلالا

و لم أحلل حراماً ..

و لكنى أعرض مفهوماً و استنباطى الروحى و العقلى لمعانٍ لا

تأبهاها اللغة العربية فى التركيبات اللغوية التى جاءت بهذا

الخصوص .. و ما عليك من حرج أن تقبله بشرح لصدرك .. أو

ترفضه بعدم موافقة عقلك ..

أنت مخير بلا حرج على و لا عليك ..

و أنت تعلم أن كل كلام غير كلام الله و كلام رسوله يؤخذ

منه و يرد عليه كما قال ساداتنا أجمعون .

فما ضرى إذا رفضت شرح هذا أو ذاك ... و رفضت قوله أن الذرة

فى القرآن مقصود بها ذرة الرمل .. أو أن الأقلام و الكتابة التى

يقصدها ربنا جلّ و علا ليست مثل أقلامنا و لا أوراقنا التى تصوروها

هم على قدر ما تعودوه من هذه التسميات !! و شرح ربى صدرى لمفهوم

جديد استجليه لغير أقلامهم و كتاباتهم و ذراتهم ... و هو أيضا من

كتاب الله و حديث رسوله ﷺ .

و إلا فأنى أتساءل عن معنى قوله ﷺ : " يأتى القرآن الكريم
يوم القيامة بكرا كان لم يمس " ..

إذا فما الرأى فيما يجتهد فيه المفسرون و يختلفون
ويجتمعون... و القرآن ما زال بكرا !!

و مثال آخر مع الفارق :-

و ما معنى التأويل الذى جاء فى حديث رسول الله فى دعوته
لإبن عباس رضى الله عنه !! " اللهم فقهه فى الدين و علمه
التأويل "؟؟ أليس التأويل إذا هو غير الفقه فى الدين !!

أليس معنى التأويل هو احتمال أوجه معانٍ مختلفة للرمز الواحد !!
لماذا يحجر القارئ عقله و عقل غيره بما قاله السابقون ويرفض
فتح الله على غيرهم .. طالما لم يخالفوا كتاب الله و سنة رسوله !!
حتى تجمد الدين و تجمد حاله و المسلمون على حال ومعانٍ لألف
عام مضت و اصبحوا موضع اعتراض للأجيال الحديثة وعلامات
استفهام كثيرة لا تنتهى ؟؟؟؟

طالما لم أحلل حراما أو لم أحرم حلالا .. و لم أتعرض لعقيدة فى
الدين خالفت فيها الشرع .. فأنت أيها القارئ فى ذاتك حرقى أن تقبل
أو ترفض كلامى ... و لكن ليس من حقك أن تخطئه أو تحجر على
العقل استناداً أو اعتماداً على أقوال سابقة صدرت عن أناس مثلنا
سبقونا بالإيمان رضى الله عنهم ... أو لم يتعرضوا لها أصلا .

فمن وجد فى نفسه قبولاً لهذه المعانى فيها و نعمت ... و من
لم يجد نسأل الله له و لنا أن يهدينا و آياه إلى الحق المبين .
و إلا سنظل نحن و المجتمع و علماء المسلمين محبوسين فى
أقوال السابقين منذ ألف عام كأننا تجمدنا منذ ذلك التاريخ البعيد .
و قد لاحظنا أن كل كتاب يصدر ما هو إلا اختيار لبعض
الأقوال السابقة ... أهذا يسمى تأليفاً و اجتهاداً أم نقلاً و اقتباساً !!
فأين عقولنا و قلوبنا و بصائرنا .

نسأل الله تعالى أن يعلمنا بما ينفعنا من فضله الواسع و أن
ينفعنا بما علمنا و أن ندخل فى باب علم رحمته الواسعة حيث يقول:
" و اتقوا الله و يعلمكم الله " .. لا نقلاً و لا استنساخاً ..

و الحمد لله رب العالمين ... و أجدد إيمانى فأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له و أن محمداً هو عبده و نبيه و رسوله .. و استغفر
الله من كل قول أو عمل يخالف كلام الله و سنة رسوله ﷺ و عن
السهو والزلل ..

و صل اللهم و سلم و بارك على رسول الله إمام المرسلين و معلم
السابقين و اللاحقين إلى يوم الدين و على آله و صحبه و علينا معهم
يا رب العالمين .

المؤلف

٢٢ صفر ١٤٢٨ هـ / ١٢ مارس ٢٠٠٧ م

❖ تقديم واعتذار للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله المستحق لجميع المحاسن ، والصلاة والسلام على إمام كل
شائر وحاسن، وعلى آله وصحبه وكل عابر..

وبعد

معزرة يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وبارك عليك وعلى
آلِكَ وصحبك والتابعين أجمعين ... حاولت .. وجاهرت .. واجتهدت في
أن أقدم لكم .. والثناء عليكم ... وأعترف بأفضالكم وهديالكم فلم أستطع ...
وقفت عاجزًا حائرًا ...

سيرى يا رسول الله .. وأول خلق الله .. وإمام المرسلين أجمعين ..
ورحمة الله للعالمين .. أمطرتني بندارك .. وأغرقتني في أفضالك وأفضت عليّ
من أنوارك .. وكشفت لي عن أسراركَ .. فأخرجتني من نفسي ومن دائرة
الملك إلى فضاء التفسير والتوحيد .. وأوقنتني من حللوة بركاتك .. فأوخلتني
جنات فريدة .. وتنزلت بجووك وكرمك وتواضعك وشرفتني وتوجتني
بعظيم شرف القرب من حضرتكم .. وأهريتني نعليك الشريفين وسيفك
المبارك وبملىّ كهيك الشريفين من العطايا والمنن ظاهرة وباطنة...

وقربتني إليكم .. وأوخلتني إلى حضرتكم السننية القدرسية وكنت
سنرى وظهيري وكهيلي ووليّ أمري في كل شئوني..

وشرفتني بأنوار الأنبياء والرسول وجعلتني في مجالس صحابتك
رضي الله عنهم.. فسمعت منهم وسمعت مني.. وتوالي التابعون .. وآل
بيتك الشريف المطهر .. وأحبائك.. والمصطفون عندك فزاروني ورتهم ..
وحاوثوني وحاوئتهم .. فآزروني وساندوني وساعدوني بأمرك يا سيدي يا
رسول الله صلى الله عليك وسلم ..

جمعت لي من الأولين والآخرين حولي حتى من الفراعين ...

والشرف الأعظم .. والتاج الأنور .. والمقام الأرفع حين تحرثني
وتشرح لي وتبشرني رؤيا وسماعًا وحالًا..

وأمرتني .. ونهيتني .. وبشرتني .. فزابت روحي عشقا فيك يا
رسول الله فصرت أعيشك نوما ويقظانا.. صاحبا وذاهلا .. على الأرض
.. وحول الأرض.. وبعيرًا عن الأرض ..

ولم أصرق براءة ولم أصرق مطلقا أن أحظى بمعشار معشار ما أكرمتني
به ... فظلمت حائرًا .. متخوفًا .. ولعًا .. راجيًا .. مستشفعًا إليك بك .. أنت
تنجينني من وساوس النفس وتلبيس إبليس .. فأرسلت لي البشري تلو
البشري من خيار أحبائك وصحبك لينقلوني من الشك (القائم إلى حق اليقين)
وعين اليقين بأوامر منك إليهم لي... وأحاديث منكم إليهم عني ... وتأخير
منك لهم بما أراه وأشعر به ... فصاروا لي شهودًا منك عندي ... فازودت منك
رهبة وخشية ومهابة وحبا ...

فأتيتني يا رسول الله صلى الله عليك وسلم .. وفترقت عندي بين (الوهم
والخيال) والحققة وبينت لي (الماضي القديم والحاضر الكائن) والآتي (المستجد) ..

فسجرت لله شكرًا .. ولم أرفع .. ولم تنته سجرتي إلى الآن ..

أنستني روحًا وجسرًا.. فطار عقلي.. وفنت ذلتي .. حتى صرت لل
أعرف من أنا ..

وجلال رب العزة والملك والملئوت الكائن (أشرف بأنفاسك العطرة) ..
وأحسن بك ليس من حولي ولا معي .. بل في ذلتي وروحي .. حتى هزلت روحي
وطمأننتي بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).. فطأطأت
رأسي لإجلاله لك يا رسول الله ..

وأغرقتني ببهور الشعر وأوزانه ونفشت في روحي (المعاني) فكدت
أحسها في صدري تتلى عليّ منك يا رسول الله .. وكلمت قلت في هات ما
عندك شعرًا.. وزوني شعرًا منك فأى فضل منك وأى شرف لي .. وكيف
سعاوتي من كل ويوان تستقبله فضلا منك وجودًا .. وتحمته بخاتمك
الشريف (المبارك) ... وتقرؤه مولانا وجري الإمام "علي" كرم الله وجهه ..
ثم زوت يا سيدي فكانت بشارتك لي وقبولكم للشعر مني هي شهاوتك
الكريمة من أصحابنا برواك وكلامك لهم صلى الله عليك وسلم ..

(١) سورة التوبة آية : (١٢٨).

سيري يا رسول الله .. لا أستطيع أن أحصى ... ولا أقدر أن أعرو
أفضالكم وهباتكم لي .. فوقفت عاجزا شاكرا خجلا وحققكم منكم ..

ولا يضاهي أي شرف أن تبشرني بمولانا وسيرنا الحمزة رضي الله عنه
عندما أرسلته لي وأرسلتني إليه ظاهرا باطنا ... وكان ما كان من أفضالكم ..

أما ما كان من أمور مولانا الخضر معي بأمركم ووصاياكم فلا يكفيه
كتاب كامل حافل.

ماؤا أقول !! وماؤا أكتب !! وقد اصطحبتني تحت نعليك الشريفين في
كل مكان وموقع وموقعة وبيعة وعمرة وحجة وفتح وما كان من قبل ومن بعد !!

ماؤا أقول بعد قولك لي وأنا لم أتجاوز العشر سنين !! صبيا لا يعرف
ولا يفقه شيئا وحتى الشيخوخة والكهولة التي أعانى منها الآن ...

ماؤا أقول بعد أن بشرتني بقولك " شِعْرَكَ مِنِّي " ... و " سنجمع
أهلنا حولك " ... يا الله... ماؤا أقول بعد أن ألحقت لي بأسرار يوم العهر
الأول وما كان فيه ... والأسراء والمعراج وما كان فيه !! وما لا يقال !!

وما بشرتني بشرف لقب (خازن الأسرار) وأرسلت إليّ الشهود
بذلك ... فهزأ يوم إشراق لا تغيب عندي شمسه أبدا يا رسول الله صلى
الله عليك وسلم ...

وجائزتي الكبرى ... وليلة قدر عمرى كله يوم قلت لى بأن هويتى
لريكم لا يعرفها أحد حتى الآن ... يا لهذا الشرف الذى يفوق كل خيال ..

سيرى يا رسول .. أنا لم أفرح سراً .. ولم أفصح عن شئ مما عرفتني
إياه وتكرمت على بمعرفته .. ولكم طيع للأوامرك ياؤن الله تعالى ..

وقد ضاقت نفسى وروحى بشرة جهل المسلمين بمقامكم العظيم ..
بل والتعتيم المقصود على فالتكم النيرة برعوى توحيد الله تعالى ...
وخوفاً من الشرك بزعمهم ... حتى أوى هذا الجهل إلى هجوم أعداء
الإسلام بالرعوى الشرسة الخازية المخزية .. ونحن فى الحقيقة المسئولون
عن هذا التقصير ...

أمرتني يا رسول الله .. فأطعت .. نثراً .. وشعراً .. ولكن ما أقل وما
أضعف ما ذكرت نثراً وشعراً إلى جنابك العظيم الطاهر المطهر ..

أقرم اعتذارى يا سيرى يا رسول الله .. عن تقصيرى وضعفى
وزلللى وخطئى فى عزم التعبير الذى يجب أن يكون وفاءً لعهدك والتزاماً
بأمرك رداً على من جهلوا قدرك العظيم ..

فاقبل منى سيرى يا رسول الله ما كتبت منك إليك .. وما
منى إلا القراطس والورق ...

و لو اعترض ناظر على قولى أن رسول الله ﷺ قد أوحى إليّ بشعرى
هكذا .. أو علمنيه .. أو نفتى فى روعى تكدرنا من حضرته وفضله ... لقلت :

يقول الله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ^{٢٠} إِنَّهُ هُوَ الْوَلَّى
ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (١).

تفهم معنى الآية و المقصود منها حيث يتحدرت ربنا عن القرآن المبين!

هذا رو على كفار مكة فى قولهم أن رسول الله شاعر " نترى به
رب المنون " ... أن القرآن من عنده ﷺ ... نظمه و اتقنه و يقوله ... كما
قالوا أنه تعلم القرآن من الأعجمى فى مكة .

كما قالوا إنه ساحر يأتى بالخرارق " و ليست المعجزات " .

فنفى الله تعالى عنه صنعة الشعر .. و صنعة السحر .. و جعل
كلام رسول الله ﷺ كله ما بين القرآن كلام الله و حريثه النبوى
الشريف .. و ليس للشعر مجال فى كلامه ﷺ فى حياته كلها .

و لكن ليس هذا معنى أن رسول الله ﷺ لا يعرف فى الشعر و لا

(١) سورة يس آية : (٦٩).

يعرف في السحر ... و لا يتعرض لهما ... إنما هو ليست صنعته لا هذا
ولا ذلك في حياته ...

تنزيه الكلام ﷺ العلوي (النبي السماوي عن وصفه بالشعر
البشري الأرضي... ولعجزاته ﷺ بالتنزيه عن السحر والمشعوذين ..

و قرئت أن رسول الله ﷺ قال في غزوة حنين :

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

و لو قلت لي أن هذا ليس شعرا ... لقدت لك : إنا لقال النبي أنا
بن عبد الله.. و هذا ثابت عنه ﷺ ..

و ثابت عنه أيضا تمثله بقول لبير :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

و كل نعيم لا محالة زائل

و كان ﷺ يتزوق شعر بن رواحه ، و حسان بن ثابت ، ولعب بن
زهير... ويروو شعرهم في مناسبات كثيرة ..

و قد تساءل عن " سعاد " في قصيدة لعب عندهما قال :

بانت " سعاد " فقلبي اليوم متبول

و قال ﷺ " إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسَحَرٌ ، وَ إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ " كما جاء في الصحيحين .

و من المشهور المتواتر ... أن رسول الله ﷺ قرأ جاء للإمام البوصيري منا... والأكمل له البيت المشهور عندما تعثر البوصيري في الشطر الثاني منه..

**و مبلغ العلم فيه أنه بشر
"و أنه خير خلق الله كلهم"**

و ألقى على البوصيري بروته الشريفة فسمى البوصيري قصيرته البروة...

و قد أبطل رسول الله ﷺ سحر اليهودية عنه بالمعوذات...

و أخرج الجن المتسلط على الرضيع مع المرأة التي جاءتته تشكو من صرع ابنها...

و يقول كتاب السيرة " و خرج من فم الرضيع مثل الجرو الأسود " .

فهل معنى هذا كله أن الرسول ﷺ كان شاعرا أو كان ساحرا!!

فإن الله سبحانه و تعالى لم يجعل صنعة رسول الله ﷺ لا شعرا و لا سحرا .. وهذا في حياته البشرية.

كما قلنا حتى لا يحتلط على الناس القرآن الكريم والحديث الشريف
والمعجزات الربانية بصنعة الشعر أو خوارق السحر .. وغيرهما من قدرات
البشر...

و نؤكد أن هذا كان في حياته ﷺ على الأرض ... والأمر
يختلف بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ..

مثل هذا ... مثل ما أمر الرسول به في حياته ألا يكتب شيء عنه
إلا القرآن وآياته ... وبمجره انتقاله إلى الرفيق الأعلى برأ الصحابة في
كتابة الأحاديث ... وكان أولهم أبو هريرة ... لأن الوضع اختلف ما
بين حياة رسول الله بينهم .. واحتمال الخلط بين القرآن
والأحاديث قد انتهى ... فهو ﷺ بانتقاله إلى الرفيق الأعلى ختم
القرآن ولا مجال للأوعاء البعض له بالشعر أو السحر ..

أما عن قول أن رسول الله ﷺ علمني الشعر ... أو أوحى إلي
بمعانيه ... أو نفث في روعي ... فإني ما قلت إلا الحق ... والله شاهر
وشهير.

ولو أورك الناقر معنى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم " ... ولو
شعر الناقر بمعنى أن رسول الله في قلبه و يجري بالنور في ربه لما
عجب أو تعجب من قولي ...

ولكنه تصور خاطئ أن الرسول ﷺ قد لقتني الشعر كلمة بكلمة...

أو أُمَلِّه لِي بيتا بيتا !! بالإلقاء و الإِملاء البشرى المأوى الذى يعتمر على
الأفون أو البصر ... و هذا أبعـر ما يكون عما أقصره ...

و حتى هذه لو أوعاها مؤمن لما اعترضنا عليه ... و حياة الصالحين
مليئة بهذه الوقائع ... ولـا يضرُّهم من غيرهم أن صرقتهم أو كذبوهم ...
"فإن من رأى نى المنام فقد رأى حقا أو فقد رأى الحق أو فسيرا نى فى
اليقظة على اختلاف الروايات الصحيحة ... فليرجع الناقد إليها ..

و هذا أمر روحى يزاق بالبصيرة و فهمه بالعقل البشرى المحرو و
عسير ... ولكنه ممكن ...

و أنت أيها الناقد لو تزوقت هذا المعنى القرآنى " من أنفستهم " ..
و معنى سريان نور رسول الله فى ذاتك و روعك لفهمت ما أعنيه و ما
أقصره ... و لآمنت به و صرقتة ..

و نحن نحفظ حديث رسول الله ﷺ من كذب على فليتبوأ مقعده
من النار " .. نعوذ بالله من ذلك ..

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا من فضله الواسع و أن ينفعنا
بما علمنا و أن ندخل فى باب علم رحمته الواسعة حيث يقول
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(١) .. لا نقله و لا استنساخا ..

(١) سورة البقرة آية : (٢٨٢).

سيرى يا رسول الله ...

حضرتكم تعلمون أنى ما أحببت شيئاً من أمور الدنيا على إطلاقها ...
وتعلم يا سيرى أنى ما رجوت من نعيم الجنات شيئاً ولا خطر ببالى ...
وما طلبت من الله شيئاً ولا رجوته إلا (التشرف بالجمع على حضرتكم
يقظة ومناماً...

وتعلم يا سيرى أننى ما شريت من زمزم قط ومنز (الثلاثين) عاماً إلا
ولكانت وعوتى إلى (الله تعالى أن يجمعنى على حضرتكم ونيا وأخرى ..

سيرى .. أنت نعيمى وجنتى ومبتغى وسعوتى ..

ولقد أكرمنى الله تعالى منةً وفضلاً فأوقتني نعيم قريب .. وسعادة
رضاك .. وجنات حبك ... وأنا أعيش فى الدنيا .. نوماً ويقظة ..

اللهم يا رب يا كريم يا حنان يا منان يا وهاب يا رزاق ... (سألك بجاه
حبيبك وصفيك .. رسولك (المختار أن تصلى عليه صلاة لم يصلها مخلوق
قط .. ولا يفهم سرها مخلوق أبراً .. فتكون من ذوات نورك (القديس إلى
نور نور ذاتك (المظهر .. وتعم الأكلان بنورها .. ويبقى سرها بين الله
ورسوله ... فلا يعرف قدرها نبي كريم ولا ملك مقرب ... ولا يتحملها كتبة
ولا ميزان ..

واللهم يا رب ببركة هذه الصلوات ونورها وسرها لا تحرمنى (الجمع
على حبيبك ﷺ جمعا لم ينله مخلوق قط فى الدنيا والأخرى لحظة بلحظة...

وَأَنْ تَجْعَلَ صَلَاتِي عَلَيْهِ هَذِهِ هِيَ سِتْرِي وَغَسْلِي وَكُفْنِي وَأُنَيْسِي فِي
قَبْرِي وَبَرْزَخِي وَشَفِيعِي فِي بَعْثِي بَيْنَ نَعَالِ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ تَحْتَ لَوْلَاءِ الْحَمْدِ
يَبِيرُهُ ﷺ ..

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... وَ أَجِدُ إِيمَانِي فَأُشْهِرُ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا هُوَ عَبْدُهُ وَنَبِيُّهُ وَرَسُولُهُ .. وَاسْتَغْفِرُ
اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ يَخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ وَ سُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَعَنْ
السُّهُوِّ وَالنَّزْلِ ..

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَمُعَلِّمِ
السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَأَخِرُ وَعَوَاظُهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..

المؤلف

يوم عرفة ١٤٢٧هـ / ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م

الباب الأول

❖ الحب بين الإسلام و الإيمان

الحمد لله المستحق لجميع المحامد ، والصلاة والسلام على
إمام كل شاكر وحامد ، وعلى آله وصحبه وكل عابد ...

● يبحث الإنسان الناجح بطبعه عن السكينة والسلام
والاستقرار ... وهى عناصر السعادة فى تكوينه ... وهذه كلها
مشاعر وأحاسيس تستقر فى نفسه أو قلبه ، ومنها ينطلق فى حياته
بأفعاله وأعماله مبنية على ما فى قلبه من سكينة واستقرار..

فإن لم يجد هذه السكينة وهذا الاستقرار صار مشتتاً مرتبكاً
غير مطمئن بعيداً عن إحساسه بالسعادة ...

ونرى أن هذا السلام وهذه السكينة فى القلب لا يُنزلها على
العبد إلا الله تعالى مهما حاول العبد اكتسابها بذاته ...

● يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ^ط وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ^ج وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ^(١) ﴾

(١) سورة الفتح آية : (٤).

ويقول سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٩﴾^(١)

ولذلك كانت تعاليم الدين الإسلامى الأساسية تهتم بالإيمان قبل الإسلام ..

الإيمان اليقين بالقلب بصفات الله العظمى وقدرته وحكمته ونعمه ، والاطمئنان به تعالى ، وصدق التوكل عليه ، والتسليم له ، والشكر على نعمه ...

والإيمان أن محمداً هو رسول الله وعنده ونبيه ودراسة سيرته وعمق النظر إلى أقواله وأفعاله والافتداء به ﷺ ...

ثم بعد ذلك تنبت الأعمال بالجوارح بالنية المؤمنة الصادقة من هذه القلوب العامرة بالسكينة والإيمان

(١) سورة الحجرات الآيات: (٧-٨).

فالإيمان واليقين هما الأساس لقلب ونفسية وشخصية المسلم، وبدون هذا الإيمان يجد التكاليف التعبدية والأوامر والنواهي ثقيلة على النفس والجسم معاً.. لأنه ينظر إليها على أنها قيود وممنوعات وترهيب وتخويف ضد رغباته وشهواته....

أما لو دخل الإيمان في قلبه، وأنزل الله عليه السكينة، تغير الحال وغلب عليه حال الشكر والحب لله تعالى ولعباد الله أجمعين... واتصفت أعماله كلها بالمودودة والرحمة والرضا....

• يقول تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ۚ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤) ...

ونرى حولنا الآن ما يسمى بالصحة الإسلامية.... فالكل يتحدث عن الدين والكل ينافس ويختلف مع الآخر.... وبدلاً من أن تكون صحة حقيقية صارت وسيلة للتشتت والتفرق واختلاف

(١) سورة الحجرات آية: (١٤).

الآراء وحيرة المسلم العادى ورجل الشارع.. ذلك أن الجميع يتحدثون عن المظاهر الإسلامية من عبادات أو معاملات وكلهم ركزوا فى كلامهم على الخلافات بين المذاهب وتحدى بعضهم البعض وأظهروا ما كان خافياً من بعض النفوس

اهتموا بالمظهر واختلفوا فيه وتشتتوا إلى صغائر الأمور..... ولكن أحداً منهم لم يتطرق إلى حقيقة الداء الباطنى ، ولا سبل علاجه ... وهى العقيدة الإسلامية الصحيحة ...

وهل نحن ينقصنا هذا المظهر الإسلامى !! وهل ينقصنا الاختلاف فيه !!

أَوَلَسْنَا كلنا مسلمين و نقيم شعائر الدين ونشرها بأجهزة الإعلام تبارياً وفخراً !! إِذَا لماذا تأخرت الأمم الإسلامية إلى هذه الدرجة المزرية.....

● يا سيدى لقد اهتموا بالمظاهر وتركوا الباطن العقائدى القلبى... ألا وهو الإيمان النية الصحيحة والتوحيد الحق.. تحقيق معنى شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.....

إن رسول الله ﷺ في تعريفه للإسلام يقول "أن تشهد ألا إله إلا الله..." أن تشهد معناها أنه لا يكفي أن تقول بلسانك ... بل شهادة وشهود وتذوق ويقين وإيمان، سواء شهادة إبصار لقدرة الله تعالى وعظمته بالعقل والاستدلال، أو شهود بالقلب والبصيرة، شهود حضور وانفعال وتذوق ومحبة وشكر

أنت أيها الإنسان منقسم في ذاتك إلى ظاهر وباطن
جسدك وأفعالك ظاهرة وأفكارك ونيّتك ويقينك الباطني لا يَطْلُعُ عليه إلا الله

لذلك كان الدين أيضا فيه ظاهر وباطن ، والله تعالى هو الباطن والظاهر... فلا بد أن يكون للدين معك شأن في ظاهره ، وكذلك شأن في باطنك

بل إنك في الحقيقة مَلِكٌ لباطنك وليس ظاهرك إلا نتيجة لما انعقد في قلبك ونفسك من نية وعزم فالمحرك لك هو نفسك وروحك ، ما بين إلهام من الله ... أو وسوسة من الشيطان ... أو حديث للنفس ...

● ونحن نرى المظهر الإسلامي هو الغالب على الدول

الإسلامية.... ورغم هذا نرى وضعنا وحيرتنا وشكوانا من كل شئ!!
لماذا!! لأن الداء في الداخل وليس في المظهر.... في العقيدة..
في الإيمان الحق بالله تعالى ...

● لقد كان الإيمان عند الصحابة أسبق إلى القلوب من
الإسلام ببركة وجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم... ثم يتعلمون
منه رويداً رويداً تعاليم وأوامر ومناسك الإسلام ...

أما الآن فيجب أن نبحث عن السبيل الذي يزرع الإيمان
في قلوبنا بعد أن سبق الإسلام إليها تقليداً وتعلماً ..

يقول ﷺ: " لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
نفسه وأهله" رواه العدني ورسته في الإيمان عن عمر... وفي رواية :
"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه
من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من
ذريته" رواه الطبراني في الكبير وابن وهب عن عبد الرحمن بن
أبي ليلى عن أبيه. وهذا بالله غريب... لأن المفروض أن الشريعة هي
أوامر ونواهٍ ثم ثواب وعقاب...

• فما دخل الحب إذًا !!!

لَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ بَابَ الْمَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ
يَدْخُلُ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ الْإِيمَانَ كُلَّهُ
وَالنُّورَ كُلَّهُ هُوَ فِي قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... فَإِذَا فَتَحْتَ بَابَ الْمَحَبَّةِ
بَيْنَ قَلْبِكَ وَقَلْبِهِ سَرَى مِنْهُ هَذَا الْإِيمَانُ إِلَيْكَ عَلَى قَدَرِ طَاقَةِ قَلْبِكَ
وَصَدَقَ مُحِبَّتُكَ .

مَعذَرَةٌ إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .. يَا مَشْكَاةَ
النُّورِ وَنُورَ الْمَشْكَاةِ ..

لَمْ أُرْتَبْ كَلَامِي .. وَلَمْ أُنَمِّقْهُ وَأُزَخِّفْهُ .. وَجَهْدِي قَلِيلٌ
وَعِلْمِي أَقَلُّ فَإِلَيْكَ مَعذَرَتِي فِي تَقْصِيرِي وَإِقْلَالِي .

وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي .. وَجَدِي .. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَفَعَ
لَكَ ذِكْرَكَ .. وَعَصَمَكَ مِنَ النَّاسِ .. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) وَمَدَحَكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة الأنبياء آية : (١٠٧).

(٢) سورة القلم آية : (٤).

صلى الله عليك وسلم وبارك صلاة من نور ذاته إلى
ذات نورك لا يقدرها ولا يعلمها إلا الله تعالى تدخلنا بها
إلى أسرار أنوارك وتكون لنا نوراً فى عيشنا و موتنا و حشرنا
يغبطنا عليها الأولون والأخرون .

قَصَرْنَا فى حَقِّكَ يَا سِيدى.. ولم نعرف كيف نفهم قدركم
العظيم عند الله ..

ولم نبحت ولم ندقق لنستخرج كنوز المعرفة بك وبأنوارك
التي بها نصل إلى الله تعالى فجهلنا قدرك ، ولم نتحدث عن
عظمتك وإكرام الله لك بالعبودية التامة الكاملة حتى تجرأ
الجاهلون على مقامكم ولغوا وتفحشوا ، عندما رأونا صامتين
مستكينين لا نعرف نحن قدركم العظيم عند الله تعالى .

● وحتى عندما حاولنا الرد عليهم عمدنا إلى سيرتك
الشريفة وظللنا نسرد عليهم أخلاقك الكريمة وصفاتك
الجليلة والتي قيلت منذ ألف عام ونصف. يوم كان البشر لا
يعرفون من الدنيا إلا الأرض والماء والهواء .. ونسينا أن
نهز عقولهم وأفكارهم بما احتوت عليه آيات القرآن الكريم
وأحاديثك الشريفة .. من معان وأنوار وأسرار لا يمكن أن

يصوغها ولا أن يحتويها بيان ...

امثالاً لأمرِك يا سيدى...

" أكتب لى ردّاً على من يسبون أباك " (١).

أعثر فى حياء .. فاجبر منى ما ينقص و سامحنى على
التقصير و السهو و بارك لى فى الصواب و أعنى على الحق.

و يعلم الله تعالى أنى لا أكتب إلا محبة فيك زادت
و فاضت و نمت و ترعرعت حتى شطحت بقولى :

فلا السابقون ولا اللاحقون

أحبوا حبيبى حبى أنا

(ديوان العشيق: قصيدة النجم الثاقب ص ١٤٥)

● وأبدأ كتابى بتساؤل بسيط ولكنه ذو مغزى ..

ذلك أن الله تعالى قد أنزل الرسالات السماوية و فيها الأمر
والنهى .. و وعد الطائعين بالثواب، و هدد المخالفين بالعذاب..

(١) رؤيا للمؤلف

منهج إلهي إفعل ولا تفعل ولك عندى على قدر ما تؤدى ..
وانتهى الأمر .. هذا هو المنطق الطبيعى ..

أما أن يقول رسول الله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين" حديث صحيح رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والبيهقى عن أنس .

ويقول الله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

فهذا أمر عجيب .. ما دخل الحب بالعمل .. لماذا يكون حب رسول الله فرضاً لا يؤمن العبد إلا به، بل ويكون إيمانه على قدر حبه ..

(١) سورة التوبة آية : (٢٤).

إن العامل الذى يعمل عندك ليس لك عنده إلا العمل
أتقنه أو فرط فيه .. وعليه تحاسبه وتجازيه .. أما أن تشتط عليه أن
يحبك .. فلا بد أن يكون فى الأمر سر كبير ..

بل أن يكون الإيمان مقرونًا بهذا الحب .. فلا إيمان بغير
هذا الحب .. ومن البدهى أن يكون الإيمان على قدر الحب..
وهذا أمر يحتاج إلى تعليل ..

ذلك أن المطلوب منا أن نؤمن ونسلم .. نوّمن بالقلب
واليقين .. ونظهر الإسلام بالعمل بالجوارح .. وباختصار.. الباطن
هو الإيمان... والظاهر هو الإسلام... فى أبسط التعاريف .

● ونحن نتعلم الإسلام وأحكامه ومظاهره بالتعليم..
فكيفية الصلاة معروفة ويتعلمها الطفل الصغير بالتقليد
والمحاكاة .. وكذلك باقى العبادات ..

ولكن الأمر يختلف فى الإيمان الباطن .. فهذا ليس كلامٌ
يقال ولا أفعالٌ نقلدها .. هذا يقين ومشاعر وذوق ..

بمعنى آخر .. أنا أستطيع أن أعلم ابنى الصلاة وحرركاتها..
ولكن كيف أعلمه الخشوع فيها .. كيف أنقل إليه الإيمان .. كيف

أُرَبِّى إِحْسَاسَهُ وَيَقِينَهُ الدَّاخِلَى بِحُبِّ اللّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ
وَشَكَرِهِ إلخ

لا تَقْل لى أن هذه المشاعر يمكن أن تُثَقِّل بالتربية
والتوجيه والكلام ..

الأُمُور الظاهرية تنقل بالأسباب الظاهرة .. والأُمُور
الباطنية تنقل بما يناسبها من الوسائل الباطنية أيضا .

* الحب أساس الإيمان

● فإذا قال رسول الله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين" رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس ، فلا تفهم منه إلا إنه لا وسيلة للإيمان أبداً غير محبة رسول الله ﷺ.

فيتصل خيط المحبة بين قلبه وقلبك.. وروحك وروحه.. وعلى هذا الحبل يسرى الإيمان. والقول فصل.. لن يؤمن أحدكم.. فلا إيمان للمؤمن إلا بحبه.. ثم على قدر حبه يكون إيمانه..

● و يأتي القرآن الكريم يتحدث عن رسول الله فيقول : ﴿.... قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

● ورسول الله يؤمن للمؤمنين .. وكيف هذا ؟؟

(١) سورة التوبة آية : (٦١).

لابد إذًا أن روح رسول الله ﷺ هي الروح العظمى ..
المؤمنة الأولى ... مشكاة الأنوار الإيمانية .. ومنها توزع
النورانيات .. ولا ينقص ذلك منها شيئًا رأيت لو أتيت بشمعة
موقدة وأشعلت منها آلاف الشمعات أَيْنُقْص ذلك من نورها شيئًا..

وهذا ما يؤكدُه قول رسول الله ﷺ "أنا أعلمكم بالله
أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه" .. رواه البخارى عن عائشة.

أعرف الخلق بالله تعالى .. الإيمان الكامل التام .. بل كل
الإيمان وكل النور... ومنه يُمد الأنبياء... والأولياء.. والمؤمنين...
وإلا فكيف يكون إمام الأنبياء جميعًا وسيدهم.

• ولن نطيل فى هذا الباب وقد أفضنا فيه فى كتاب
"محمد نبى الرحمة" فارجع إليه إن شئت ولكن وددت هنا أن
أشير إلى نقاط هامة :

• الأولى :- أنه لا سبيل إلى الإيمان أبدًا إلا بمحبة
رسول الله ﷺ المحبة الصادقة الخالصة.

• الثانية :- على قدر هذا الحب يكون الإيمان فى
قلبك من إمداد قلب رسول الله ﷺ عليه وسلم.

* الحب و الاتباع :

● الثالثة :- يجب أن نفرق بين الحب وبين الاتباع.. نعم
الاتباع من دلائل المحبة.... ولاشك ولكن الحب شئ والقدرة على
الاتباع شئ آخر.. وهذا له ثوابه وهذا له أجره فافهم !!

فالأعرابي يقول لرسول الله ﷺ أنه ما أعد للساعة
كثير صلاة ولا صيام ولا نُسك ولكن أعد لها حب الله ورسوله
فيحبه ﷺ أنت مع من أحببت.. كما روى البخارى عن أنس بن
مالك : "أن رجلاً سأل النبي ﷺ : متى الساعة يا رسول الله؟
قال: (ما أعددت لها). قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة، وليكنى أحب الله ورسوله، قال: (أنت مع من
أحببت)". رواه البخارى

ومن يحبه الأعرابي كان كثير الصلاة والصيام والنُسك
فافهم .. فإن رسول الله ﷺ بَشَّرَ الأعرابي بالصحة لحبه وما فى
يقينه من إيمان و ليس بكثرة متابعته ﷺ أما الاستدلال بآية
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

فهذا توجيه لمن فرقوا بين محبة الله ورسوله وزعموا محبتهم
للَّهِ تعالى مع عدم التزامهم بتعاليم برسول الله ﷺ ..

فالأية تنبههم وتعلمهم بأن ادعاءهم كاذب وأن رسول
الله لا يدعو إلا إلى الله .. وتعاليمه هي من الله .. فلا معنى
أن يحبوا الله ويتركوا تعاليم الله عند "محمد" فهذا ليس
حباً لله تعالى .

● الرابعة :- حتى في اتباع رسول الله ﷺ فهناك
فريقان :-

أ - قوم اتبعوه طلباً للأجر والثواب .. أى يرجون تجارة مع
الله لن تبور.

ب - قوم اتبعوه محبة برضاً وائتناس بالسنة واقتفاء لأثر
الرسول.

(١) سورة آل عمران آية : (٣١).

وفى الصنف الأول يقول القرآن فيه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

وفى الصنف الثانى يزيدهم رسول الله بشرى إليهم
فيقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". جاء
فى شرح الجامع الصغير للإمام المناوى : أخرجه الحسن بن سفيان
وغيره قال ابن حجر: رجاله ثقات وصححه النووى فى الأربعين .

نعم فى كل خير ولا شك .. ولكن هل الطامع الراجى فى
الأجر والثواب مثل من تحرقت كبده شوقاً ومحبة إلى رسول
الله فصار يفعل مثل ما فعل ابن عمر أعبداً الأمة بعد رسول الله
حيث كان يسير فى طرقات المدينة المنورة ويسأل "دلونى على
أثر مسير رسول الله عسى أن تواطئ قدمى أثر قدمه"!!! .


عجيب أمره !! وهل فى هذه المتابعة على أثر السير
ثواب وأجر .. أم الأمر محبة وود وشوق ولهفة !! .

(١) سورة الأحزاب آية: (٢١).

ثم نقطة أخرى .. هل هذا الاتباع يكون فى الأوامر
الظاهرة فقط أم لابد أن يكون فى الأمور الباطنية أيضًا .. فإن
تمثلنا بالظاهر و صمنا و صلينا وأطلقنا اللحي وقصرنا الأثواب دون
أن نكون متبعين فى الخشوع والرحمة والكرم وحسن الخلق
والخشية ومراقبة الله تعالى.. أ يكون هذا هو الاتباع المطلوب !! .

أوليس هذا حال غالب المسلمين اليوم.. مظاهر الله أعلم
ببواطنها .. وإسلام بلا إيمان !!

وكيف حالنا اليوم بين الأمم !! ولماذا لم ينصرنا الله عليهم
ويعلى كلمته كما وعد !!

أسلمنا.. ولم نؤمن.. اتبعنا الظاهر دون الباطن.. و وعد الله
﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ ﴾  ^(١). ننصر رسلنا والذين آمنوا.. أختبوا إلى الله
بقلوبهم و أرواحهم و التزموا بمنهج رسوله فى يقينه وأحواله ..
فتأمل وافهم فتح الله عليك.

(١) سورة غافر آية : (٥١)

• الخامسة :- الحب لا يأتي من فراغ ولا من جهل بمن تحب .. فلا بد أن تعرف شيئاً عمن تحب لكي ينبت هذا الحب .. فالمجهول بالكلية لا يُحِبُّ .. بل قد يُكرَهُ .. فالإنسان يخشى دائماً من المجهول لديه.

ولكن إذا عرفت جانباً عمن تحب وتعلقت به دفعك هذا إلى مزيد من المعرفة ومزيد من التعلق والحب وتدخل في دائرة ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١).

اهتدوا أولاً على قدرهم.. فزادهم الله من فضله بجوده وكرمه وليس الأمر ادعاءً، وتمنياتٍ، وغروراً. أعاذنا الله من هذا كله..

فيا أيها الأخ الكريم ماذا عرفت عن سيدنا رسول الله ﷺ ليكون باباً لك إلى محبته !! .

أما عرفت إلا خُلُقَهُ و صفاته !! ما أهون ما عرفت عنه صلى الله عليه وسلم بجوار أنواره وروحانياته وما أفاض الله عليه حتى قال له: ﴿..... وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٢) . ماذا عرفت

(١) سورة محمد آية: (١٧).

(٢) سورة النساء آية: (١١٣).

من فضل الله على رسوله حتى يكون العبد الأوحد الكامل
ويصطف خلفه صفوة البشرية من الأنبياء والمرسلين.

وهل أحببت رسول الله ﷺ الحب الواجب حتى يدخل
الإيمان في قلبك !! وهل عرفت كيف كان الصحابة رضوان الله
عليهم يُحِبُّونَ رسولهم و يهابونه و يُجِلُّونه!! هلم هلم أيها الأخ
المبارك وتدارك ما فاتك من عمرك.. وتعال معي لتحلق حول
دائرة الأنوار المحمدية عسانا ننال منها.. ببركته صلى الله عليه
وسلم ما ينير قلوبنا فيَدْخُلُ الإيمانُ والإحسان إليها لنكون في
النهاية من عباد الله الموحدين حقاً وصدقاً .. لأن في النهاية
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(١). سبحانه جل شأنه العظيم..

(١) سورة النجم آية : (٤٢).

* من الخصائص المحمدية

من الخصائص المحمدية النبوية قوله ﷺ "أوتيت جوامع الكلم" رواه أبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في الضعفاء ونصر المقدسى وسعيد ابن منصور.

وحديث: "أعطيت جوامع الكلم" رواه مسلم والترمذى عن أبي هريرة .. صدق رسول الله ﷺ ..

ونحن نتعرض لأبسط المعانى بلا تعقيد ولا تعسف.. فيكون معنى هذا الحديث.. أن الله تعالى أكرم نبيه ﷺ بأن يجمع عليه الصلاة والسلام المعانى الكثيرة فى قليل الكلام.. فيعبر القول السهل القصير تعبيراً كاملاً مستفيضاً عن كل ما يخطر على بال المتلقين للكلام من معان..

و معروف أن للغة العربية فى كلماتها مترادفات كثيرة.. ولكن لكل كلمة معنى لا تحل محلها مرادفة لها..

مثلاجلس وقعد الجلوس يكون لقائم .. والعود يكون لنائم.. كذلك رأى .. نظر .. رنا .. أبصر رأى قد

يكون بالبصر أو بالرأى.. ونظر بالعين وكذلك بالعقل.. ورنأ أى
نظر بطرف عينه... وهكذا..

فعندما يقول ﷺ : "أوتيت جوامع الكلم" فهو يُنبّه السامع
والقارئ إلى الدقة والحرص فى فهم مقصود كلامه صلى الله
عليه وسلم..

وفى القرآن الكريم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١) ..

والآية تدل على أن كل كلام رسول الله ﷺ مصدره الأنوار
الإلهية.. فليس عند رسول الله لا هوى ولا نفس بشرية مثلنا،
وكيف يكون والأنبياء أصلاً معصومون من الشيطان.. ونفوسهم
ارتقت بأنوارها إلى روحانياتهم النورانية فلا فرق بين..
روحانياتهم.. ونفوسهم..

لذلك يقول ﷺ : "إِنَّا معشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام
قلوبنا" أخرجه ابن سعد عن عطاء مُرسلاً وصححه السيوطى
وأخرجه الديلمى - عن أنس بنحوه ..

(١) سورة النجم الآيات: (٣-٤).

نعم .. فليس نومهم غفلة كنوم البشر العادى فتنبه !!

وقال علماء الفقه .. أن نوم الأنبياء .. ليس يناقض للوضوء فى حقهم .. وكذلك ترى أن الأنبياء يوحى إليهم فى نومهم وفى يقظتهم .. فلا فارق بين الحالتين .. وهذا أمر لا يُستوعبُ بالعقل البشرى العادى ولكنه حقيقة معلومة ..

فإن قلت لى أن رسول الله كان يأكل و يشرب و يتزوج كبشرى عادى .. قلت لك لا تنس الآية الكريمة .. ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾ (١) ..

فلا دنيا عند الأنبياء .. ودنياهم كلها هى فى سبيل الله والدار الآخرة ..

ولا عجب أن يكون لهم وحى فى كل هذا !! وإلا كيف عرف رسول الله ﷺ ما يسمى الآن .. بالطب النبوى .. وَحَدَّدَ

(١) سورة الأنعام الآيات: (١٦٢ - ١٦٣).

أساليب المداواة ، ومن علمه وأتاه بهذه الأساليب إلا أن يكون
وحيًا من الله تعالى .

حتى عندما كان رسول الله ﷺ يُبَاسِطُ أصحابه ويمازحهم
ليخفف عنهم وطأة الأنوار التي يعيشون فيها حوله كان لا يقول
إلا حقًا.. فلا هزل عنده .. كل كلامه ﷺ هو الحق..

يقول ﷺ " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح
الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " من
حديث ، متفق عليه عن النعمان بن بشير صدق رسول الله

و نحن في حديثنا معك نركز على الناحية الروحية الإيمانية
القلبية النفسية... حيث هي مصدر السعادة والرضا والسكينة...
أو العكس والعياذ بالله...

وفي كل دين مُنَزَّل تجد هذه الناحية الباطنية
الروحية..... وهي أساس الإيمان به، وهي لا تخضع بالكلية
لمقاييس العقل البشرى المحدود بالماديات التي حوله، فتفكيرك
وعقلك هو على قدر ما ترى وتحس بحواسك ومنطقك

الديوى.... فإذا تحدثنا عن الروحانيات والغيبيات... فإن لها مقاييس أخرى لا تخضع لإدراكات العقل البشرى أيًا كان.....

و لذلك كان الإيمان بالغيب ضرورة و أساساً فى الإيمان....
أما العلم فهو فقط دليل أولى لك على وجود الله و توحيده....
يوصلك إلى باب الإيمان فقط... أما اليقين فهذا مذاق وشهود
ومعاملة لك بالقلب ... ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (١).....

ثم إن الله تعالى يقول عن الإيمان: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)....

ورسوله ﷺ يقول " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فإنما
أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء
هل تحسون فيها من جدعاء." رواه أبو داود والبيهقى فى السنن
عن أبى هريرة

(٢) سورة الروم آية: (٣٠)

(١) سورة الأنعام آية: (٧٥).

فالإيمان أصلاً فطرى فيك ، يقينى بداخلك ولكنك
عندما كبرت وعاشت مجتمعك وفكرت بعقلك المحدود بدأت
تأخذ منحى آخر حسبما يودى بك عقلك ومجتمعك.....
فافهم.....

أساس التوحيد عندنا هو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ﷺ.....

فأما معنى لا إله إلا الله، فالكل يعرفها ويعيش بها والحمد
لله.... وإن كان السائد بيننا هو عبودية الترهيب والترغيب....
وعبادة الله تعالى إما طمعا فى ثوابه وجنته ، وإما خوفا من
عقابه وناره.. وهذه أدنى درجات العبودية عبودية الطمع
والرغبة والخوف ... وليست عبودية الشكر والمحبة والتسليم

على أية حال فإن الشق الثانى من الشهادة هو محل
اهتمامنا وحديثنا الآن

وما أكثر من كتبوا عن رسول الله ﷺ .. وفى نظرى ما أقل
ما عرّفوه لنا أو قرّبونا منه ﷺ فغالب ما كتبوه كان عن

بشريته وخلقه وعبقريته وآدابه وتعاليمه وسنته ﷺ وهذا غير كافٍ بالمرّة ، ولا يؤدي بعضاً من حقه علينا ﷺ ... ولا يهدينا إلا أقل القليل من أنوار هداة ﷺ

● أنظر إلى تعظيم الله تعالى له و تكريمه بالجمع بين اسمه تعالى و اسمه في كل أذان و في كل صلاة و في كل تحيات كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾ (١) ... و يصلی علیه و ملائکته دائماً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) ...

و جعله إمام المرسلين و الأنبياء، و سيد الخلق أجمعين كما قال ﷺ في الحديث الشريف : " أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر

الذى أحشر الناس على قدمى و أنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معى و كنت إمام المرسلين و صاحب شفاعتهم" رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن جابر بن عبد الله... ..

● وهو رحمة الله للعالمين كما قال تعالى له : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) و أول من ينشق عنه الأرض يوم القيامة كما قال ﷺ كما فى حديث الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من ينشق عنه الأرض ولا فخر". وفى رواية مسلم وأبو داود عن أبى هريرة : " و أول شافع، و أول مشفع " ... وهو النور والسراج المنير والهُدَى..... كل هذا التعظيم والتكريم من الله تعالى لأنه حبيبته ومصطفاه...

● و بعد ذلك هو ولى أمر المؤمنين... و رحمة ومودة...

(١) سورة الأنبياء آية : (١٠٧)

و بالمؤمنين رؤوف رحيم... وكفيلهم في الدنيا والآخرة... ويستغفر لهم في حياته و بعد مماته.. ويشفع عند الله لهم... بل ويؤمن لهم الإيمان الكامل ويوزعُ منه الإيمان عليهم ... و يرد السلام على من يصلى ويسلم عليه .. ويغذيهم بأنوار الإيمان والإحسان من أنوار الله تعالى عليه وإليه

● وأدب الله أصحابه ومعاصريه بتعليمهم التعامل مع حضرته.... فلا يبادرونه بالحديث قبل أن يسمح لهم ... ولا يزورونه إلا بإذنه ... ولا يرفعون أصواتهم في حضرته ، ولا ينادونه باسمه مجرداً كأي واحد منهم... بل ويتأدبون مع أهل بيته... وزوجاته أمهاتهم.

● و رسول الله ﷺ يعرف قدره عند الله فيعلمهم أن يتوسلوا إلى الله بجاهه ويقول أنه رحمة مهداة من الله تعالى لحديث "إنما أنا رحمة مهداة" رواه الحاكم في المستدرک وابن سعد، والحكيم عن أبي هريرة و يوزع شعره الشريف على من حضر من الصحابه للتبرك به كما روى مسلم في صحيحه: عندما أراد ﷺ أن يحلق شعره قال للحلاق : "ها" وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا، فقسم شعره بين من يليه، قال: ثم أشار إلى الحلاق وإلى الجانب الأيسر، فحلقه فأعطاه أم سليم، وأما في

رواية أبي كريب قال: فبدأ بالشق الأيمن. فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك، ثم قال "ههنا أبو طلحة" ؟ فدفعه إلى أبي طلحة.

● ويؤيده الله بالمعجزات ، فينشق القمر كما قال تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۖ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ ﴾ ^(١) ، وقد انشق القمر. وعلى هذا الجمهور من العلماء وثبت ذلك في صحيح البخارى وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضى الله عنهم، وعن أنس قال: "سأل أهل مكة النبى ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: (اقتربت الساعة وانشق القمر) إلى قوله: (سحر مستمر)" قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. ولفظ البخارى عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

● وينبع الماء من بين أصابعه الشريفة كما أخرج الشيخان عن أنس بن مالك أنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت

(١) سورة القمر الآيات : (١-٣).

صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضؤوا من عند آخرهم".

• ويكلم الغزاة لما رواه الحافظ أبو نعيم في (دلائل النبوة): عن أنس بن مالك وأم سلمة زوج النبي ﷺ "أن ظبية موثقة استغاثت برسول الله ﷺ قائلة يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني قبل ولي خشفان في هذا الجبل فإن رأيت أن تطلقني حتى أَرْضعهما ثم أعود إلى وثاقي. فأطلقها رسول الله - ﷺ - فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت. ولما وهبها له الأعرابي أطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها في الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله."

• والضب لما روى عن عمر "أن أعرابياً جاء بين يدي رسول الله ﷺ ومعه ضب قد صاده وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك، فقال رسول الله ﷺ يا ضب! فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافي القيامة! قال: مَنْ تَعْبُدُ يا ضَبُّ؟ قال: الذي في السماء

عرشه، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال: فمن أنا يا ضب؟ قال: أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدّك وقد خاب من كذّبك، قال الأعرابي: لا أتبع أثراً بعد عين، والله لقد جئتكم وما على ظهر الأرض أحد أبغض إليّ منك، وإنك اليوم أحب إليّ من والدي ونفسي، وإنني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلايتي، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله "... الحديث رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک وأبونعيم والبيهقي في الدلائل.

● والذئب لما رواه الإمام أحمد وصححه البيهقي: عن أبي سعيد الخدري قال: " عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الرّاعي فانزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقى الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ؟ فقال: يا عجبى ذئب يكلمنى كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ يشرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الرّاعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول ﷺ فنودي: الصّلاة جامعة ثم خرج فقال للرّاعي: (أخبرهم) فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: (صدق والذي

نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذة بما أحدث أهله بعده)".

● والجبل والشجر يحادثانه ويحادثهما ... ويسبح الحصى بكفه الشريف ... وحديث : "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث" رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي عن جابر بن سمرة.

● وقبل هذا كله معجزة القرآن الكريم..... وما فيه من أسرار وأنوار ... وهو هدى وهداية وإعجاز يظل حتى يوم الدين..... وهذه لوحدها تحتاج إلى شرح طويل

● وأكرمه الله تعالى بإسراء ومعراج فاق مقام جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة ، وفي هذا الأمر أسرار كثيرة سوف نتعرض لها إن شاء الله

● جمع ﷺ كل خصائص الأنبياء والمرسلين أجمعين وكملة الله جسداً ونفساً وروحاً ... فكان العبد الأكمل ... والنبى الأعلى ... والرسول الجامع الإمام ... وحبيب الله ومصطفاه ...

• كل هذا التكريم من الله تعالى وهو عبد الله بل سيد العباد ، ويتواضع ﷺ فيقول : "إنما أنا عبد: آكلُ كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد" رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه عن عائشة ويقول لرجل أخذته الرعدة عندما كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح "هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد" رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود وغيره

يتواضع ويباسط أحبابه وأصحابه ﷺ ولكنه هو العزيز بالله المؤيد بنصرهالمحفوظ بجنده.... حتى قال عنه سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١). صلى الله عليك وسلم وبارك يا سيدى يا رسول الله

هذه الشخصية المتفردة العظيمة ، لا يجوز أن نطلق عليها الأسماء والصفات الإنسانية العادية ، فنقول زعيم ، أو مصلح ، أو قائد ، أو عبقرى !!! فهذه الأوصاف لا تناسب هذا المقام الرفيع المتصل بالسماء وبنور الله ووحى الله وروح الله..... هذا عبد

(١) سورة الطور آية : (٤٨).

تفرد بالمقام الأعلى عند الله تعالى ..

وصدق جبريل عليه السلام حيث يقول : " قلبت مشارق
الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، وقلبت مشارق
الأرض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم "
رواه الحاكم فى الكنى وابن عساكر عن عائشة....

هذا النبى العظيم وهذا الرسول الكريم وهذا
البشرى الكامل المكمل

* الإيمان برسول الله :

إذا أردنا أن نتعرض لسيرته وأدبه وخصائصه فلا بد أن نتمهل
في دراستنا على أوجه ثلاثة : -

● محمد البشرى :- الإنسان والوالد والزوج ... صاحب
الآداب المثالية والأسوة لنا.

● محمد الرسول :- بأوامره ونواهيه ... ورسالته من السماء
وأحاديثه وشريعته.

● محمد النبی :- بإعداده الخاص من الله تعالى لتقبل
الوحي والأنوار الإلهية ... واتصال السماء بالأرض ...
والنفث في الروح ... ومخاطبة الملائكة الأعلى .

وحيث أنه الرسول إلينا ، وأسوتنا وقدوتنا ، وكفيلنا
وشفيعنا ، وولى أمرنا فلا بد أن يكون لكل مؤمن نصيب من
بشريته وآدابه وخلقه وكذلك نصيب من أوامره ونواهيه
وشريعته وأيضاً نصيب من نبوته وروحانيته

• و اسمحوا لى أن أترك الإعداد و الترتيب ، و أسترسل مع نفسى و روحى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ، من كتاب الله وسنة رسوله وأحاديثه الشريفة فالحديث لا ينتهى مهما طال... وما أحب إلى من الحديث عنه ﷺ .

دعونا نقلب كتب السيرة النبوية كما كتبها أصحاب السير و المؤرخون ، و نعيد النظر فى تفاسير بعض آيات القرآن الكريم... وما يلفت النظر فى الأحاديث النبوية الشريفة و الله الموفق والمستعان .

قبل أن نصعد هذا المرتقى الصعب فى الحديث عن شخصية وكيان رسول الله ﷺ ... دعونا نعيد النظر فيها فى بعض ما قرأناه من كتاب الله و الحديث الشريف و شروحها و نطرح بعض الأسئلة ولن نجيب عليها الآن ، ولكنها فقط لطرق الآذان والعقول المادية لتنبيهها .

الباب الثانى

❖ بشرية رسول الله ﷺ

وما دمنا نتحدث عن بشرية رسول الله ﷺ فدعوني
أتساءل مع الأطباء و علماء التشريح عن بعض خصوصياته عليه
الصلاة والسلام ..

● كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه !! كما فى حديث
"أحسنوا صلاتكم فإننى أراكم من خلفى كما أراكم أمامى" رواه
الإمام أحمد فى المسند عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فليشرح لنا علماء التشريح البشرى كيف يكون هذا
علمياً.. وأين العيون الخلفية وأين أعصاب الإبصار وأين وأين!!

● لم يكن لرسول الله ﷺ ظل فى الشمس !!!

● أنار وجهه الشريف للسيدة عائشة بيتها فى ظلام الليل،
والتقطت مخيطةً سقط منها !! كما ورد فى الحديث عن عائشة
قالت: "استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب
رسول الله ﷺ ، فسقطت عنى الأبرة، فطلبتها فلم أقدر عليها،
فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فضحكت،
فقال: يا حميراء ! لم ضحكت ؟ قلت : كان كيت وكيت ، فنادى

بأعلى صوته : يا عائشة ! الويل ثم الويل لمن حرم النظر إلى هذا الوجه ! ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهى أن ينظر إلى وجهي ". (الديلمى، كر).

• كان الصحابة يتطيبون بعرق رسول الله ﷺ و تقول أم سليم رضى الله عنها : " ما مسست طيباً ولا مسكاً أطيب من عرق رسول الله ﷺ " !! ..

كما روى عن عائشة و البراء رضى الله عنهما " ما مَسَسْتُ خُزْراً قَطُّ ولا حَرِيرًا ولا شَيْئًا كانَ أَلَيْنَ من كَفَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ولا شَمَمْتُ مَسكًا قَطُّ ولا عَطْراً كانَ أَطْيَبَ من عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " رواه أحمد والترمذى وقال هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

و نحن نعلم أن العرق البشرى هو إخراج من فضلات طعام الإنسان و شرا به .. فكيفما أكل و شرب يكون العرق بأَمَلاحه ورائحته ..

فما معنى أن يكون عرق رسول الله ﷺ أطيب ريحاً من المسك !! و أين قانون الطب البشرى فى هذا !!

• يخلق رسول الله ﷺ شعره فى حجة الوداع .. فيأمر الحجام بتوزيع شعره الشريف على صحابته حتى كان الصحابي يحتفظ بالشعرتين والشعرة الواحدة .. رسول الله بنفسه يأمر الحجام بهذا !! كما ورد فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه تأمل وتفهم فتح الله علينا وعليك ..

حتى كان خالد بن الوليد لا يحارب أبداً إلا وشعرة رسول الله ﷺ طى عمامته وكادت خطة حربيه فى موقعة اليرموك بالشام تتغير كلها لأنه افتقد العمامة ساعة من الزمن فأبى أن يحارب بدونها حتى وجدها فبدأ المعركة كما رواه الحاكم فى المستدرک والطبرانى فى الكبير عن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه: " أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها، فلم يجدوها، فوجدوها، وإذا هى قلنسوة خلقه. فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فخلق رأسه، وابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها فى هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهى معى، إلا رزقت النصر"...

وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يحتفظ بشعرة شريفة.. و إذا مرض يضعها فى الماء و يشربه و يغسل به عينيه و أوصى أن تدفن معه على صدره رضى الله عنه.. هذا أحمد بن حنبل فتنبه..

● بعض الصحابة شرب من دم حجامه رسول الله ﷺ مثل ابن الزبير رضى الله عنه .. ولم يعترض رسول الله .. ولم يبكته ولم ينكر عليه .. عن عبد الله بن الزبير قال: " احتجم رسول الله ﷺ وأعطاني دمه، قال: اذهب فواره لا يبحث عنه سبع أو كلب أو إنسان، فتنحيت فشربته ثم أتيت النبي ﷺ فقال ما صنعت؟ قلت: صنعت الذى أمرتنى، قال: ما أراك إلا قد شربته! قلت: نعم، قال: ماذا تلقى أمتى منك! " قال أبو سلمة فيرون أن القوة التى كانت فى ابن الزبير من قوة دم رسول الله ﷺ. رواه البيهقى فى السنن وابن عساكر.

● شرب بول رسول الله ﷺ روى الطبرانى فى الكبير عن أم أيمن قالت: " قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقممت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح النبي ﷺ قال يا أم أيمن قومي فأهريقى ما فى تلك الفخارة قلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال أما إنك لا تتجعين بطنك أبداً " .. وقال بعض الشراح خطأ وقعت فيه من شربته لأن هذا حدث ليلاً .. ولست أدري من قال لهم أنه

خطأ وقعت فيه !! وما أدراهم أن الأمر كان عن نية وقصد .. وهل
اعترض ﷺ عندما علم بالأمر !!

• صحابي استوهب رسول الله ﷺ عباءته لتكون له
كفنا بعد موته .. أنهاء الرسول عن هذا !!

• عندما قَبَّلَ العاص بن ربيع قدم رسول الله ﷺ أنهاء
عليه الصلاة والسلام عن هذا !! ما قال ﷺ إلا : أَخِي لَعْمَرَى !!

• عندما لدغ الثعبان سيدنا أبا بكر الصديق في غار ثور في
الهجرة وتفل ﷺ على موضع لدغة الثعبان فتعافى أبو بكر.. هل
كان ريق رسول الله ﷺ فيه من المضادات الحيوية ومضادات السموم
ما يناسب المقام أم كيف نفسر هذا !! ونفس الأمر على سيدنا علي
بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما تفل رسول الله ﷺ في عينه الرمداء
فصارت في الحال أصح من السليمة وقال : "ما رمدت منذ تفل النبي
ﷺ في عيني" . مسند الإمام أحمد ..

وهل يا أطباء الزمان ترياق سموم الثعابين هو علاج الرمد
أيضا !! أم أن ريقه ﷺ شفاء من كل داء ..

هذه ما هي إلا نماذج وأمثلة قليلة نذكرها وغيرها
الكثير وهي موثقة محققة عند أصحاب السيرة .. ما سقتها هنا إلا
للتدليل على خصوصية رسول الله ﷺ في بشرته وخصائصها..

فإن قلت لى .. هذا نبى .. وهذه معجزات .. والفعال هو
الله.. قلت لك يا سبحان الله يا أخى .. وهل هناك فعال فى الكون
إلا الله !! وهل المعجزات والكرامات إلا بأمر الله تعالى !!..

أما يقول الله فى قرآنه: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ^ع
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى^ع وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ
بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١).

وقال سبحانه فى البيعة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^ع فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ^ط وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢)!!

(١) سورة الأنفال آية : (١٧).

(٢) سورة الفتح آية : (١٠).

● الأمر كله لله تعالى .. و هل أحيا المسيح عليه السلام الموتى إلا بأمر الله وقدرته !! ولكن أى جسد وأى ذات تسرى فيها أنوار الله تعالى وقوته وقدرته و سرّه فتخرج المعجزات أو الكرامات !! ألا نظن أن هذه الأجساد الكريمة لابد وأن تخص من الله تعالى وتجهز تجهيزاً خاصاً لتحمل وتستطيع أن تفعل كل هذا بأمر الله تعالى !!

ونحن لا نتحدث الآن إلا عن إكرام الله تعالى لجسد رسوله ﷺ بهذه القدرات فافهم مقصودنا..

لذلك قلنا سابقاً فى كتاب "محمد نبي الرحمة" أننا لابد وأن ننظر إلى سيرة رسول الله ﷺ من جوانب ثلاثة:-

● أولهما :- محمد البشرى

● ثانيهما :- محمد الرسول

● ثالثهما :- محمد النبي

ذلك أن لكل منهم مقومات خاصة وإعداداً خاصاً من الله تعالى وإذا نظرت إلى كل جانب على حدة وتمعنت فيما كتبه المؤرخون وأصحاب السيرة ، فإنك سوف تكتشف آفاقاً

ومعاني جديدة ، أعجب كثيراً من عظمتها مع بساطتها
ووضوحها لكل ذى بصيرة ولم يُلْتَفِت إليها ..

• دعني أيها القارئ الكريم أسترسل بلا ترتيب ولا تنميق
فيما أريد قوله والله تعالى هو الملهم والموفق للصواب .

فعلى سبيل المثال :-

• عندما نقرأ في السيرة أن ليلة مولده ﷺ رَجَمَت الشُّهُبُ
الشياطين و حُجِبَتْ عن السموات السبع... وقد ذكر هذا القرآن
الكريم كما ورد في سورة الجن...

ويقول المفسرون في شرح هذه الظاهرة الربانية أن الله سبحانه
وتعالى أراد أن يحمي السماء من استراق الشياطين للسمع بها، وهذه
الشياطين كانت توسوس للكهان ببعض الأمور السماوية فتظهرهم
بمظهر العالم بخفايا السماوات وكذلك حماية للوحى السماوى لرسول
الله ﷺ من أن تبلغه أو تعرف الشياطين جزءاً منه..

هكذا يقول المفسرون .. ولكنى أتساءل هل بدأ الوحى فى
النزول يوم مولد رسول الله ﷺ !!

أين نحن من الوحي بعد أربعين سنة من مولده !!!

● تهدم ديوان كسرى فى بعض شرفاته ... وأُطْفِئَتْ نار
المجوس التى كانت مشتعلة منذ مئات السنين ...

وقد رَوَى ذلك كُتَّابُ السير و رواها الخرائطى فى كتاب
(هواتف الجان) بسنده قال: " لما كانت الليلة التى ولد فيها
رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة
شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخدم قبل ذلك بألف عام،
وغاضت بحيرة ساوة "

هذه كلها احتفالات بمولد رسول الله ﷺ ولا دخل لها
بالنبوة والرسالة ..

نستطيع أن نقول أن الكون كله سماءً وأرضاً يحتفل
بمولد رسول الله ﷺ .. يحتفل بنزول الصورة البشرية .. لذات
رسول الله ﷺ و ملاستها لأرض الله .. تكريماً للذات المحمدية
البشرية .. لذات رسول الله ﷺ .

● ولد ﷺ في الثلث الأخير (ساعة استجابة الدعاء بعد ذلك) ... من ليلة الإثنين سابع أو ثانى عشر ربيع الأول ، مختوناً مسروراً ، وعطس فحمد الله تعالى ...

عَلِمْتَ إِذَا كَيْفَ الاحتفال ببشرية رسول الله ﷺ وذاته الشريفة .. وإن شئت قلت أن ملامسة هذه الصورة المادية المباركة للأرض ، اهتزت له الأرض و الكون أجمع بمثل هذه المظاهر الكونية التي حدثت .. فهناك تكريم من الله تعالى لهذه الصورة البشرية والتي سبقت العرب جميعاً بتسميتها محمداً من الحمد و الثناء .. وهذا كله تكريم من الله ليوم المولد أيضاً ..

● وعندما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صيامه ليوم الإثنين فقال : "ذاك يوم ولدت فيه" .. كما ورد في الحديث الذى رواه مسلم والنسائى وابن جرير عن عمر وصححه .

فرسولنا ﷺ يحتفل بيوم مولده بصيام هذا اليوم شكراً لله تعالى ..

فإن قلت وهل الصيام من باب الحمد لله تعالى قلت لك انظر إلى ما فعله الرسول بيوم عاشوراء .. وجد اليهود يحتفلون به لنجاة سيدنا موسى من الغرق فقال : نحن أحق بموسى منهم .

وصامه صلى الله عليه وسلم احتفالاً أيضاً بنجاة أخيه موسى عليه السلام وقال : "خالفوا اليهود لأن عشت إلى قابل لأصومن التاسع و العاشر".

فإن قلت لى و أى أهمية ليوم المولد أو الممات حتى يحتفل العبد أو من حوله لقلت لك فانظر إلى كتاب الله تعالى حيث يقول سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ^(١)

قل لى أنت يا قارئى لماذا خص سيدنا عيسى نفسه بالسلام يوم مولده .. ويوم موته.. ويوم البعث !! لمحة لطيفة لذوقك أيها القارئ ..

اللّٰه سبحانه و تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد كما ذكر فى الأحاديث الشريفة ومعلوم أن اللّٰه تعالى قد جمع الأرواح جميعاً و أشهد الخلق على أنفسهم أأست بربكم.. وقد أجابوا "بلى" كل هذا فى علم الأرواح قبل خلق الأجساد .. ﴿وَإِذْ أَخَذَ

(١) سورة مريم آية : (٣٣).

رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ^ط قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا
كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾ .

كذلك أخذ الله العهد على الأنبياء جميعاً بالإيمان
والتصديق والنصرة لرسول الله ﷺ ..

وهذا كان أيضاً في عالم الأرواح وقبل خلق الأجساد
فإن رسول الله خاتم النبيين وآخرهم بعثة وهو إمامهم
وسيدهم.. ولاشك أن هذا العهد كان قبل مولده وبعثته ﷺ ..

● والسؤال بكل تحفظ .. ما أمر الله الملائكة بالسجود
لآدم إلا بعد أن اكتملت خلقته البشرية وصار بشراً سوياً !!

فهل يا ترى هناك حكمة جلت عن أذهاننا بأن يكون سجد
الملائكة لآدم عليه السلام بعد تمام خلقته بشراً سوياً ..

(١) سورة الأعراف آية : (١٧٢).

إن الصورة البشرية هي صورة العبد الكامل عند الله تعالى
فلا أشرف ولا أعلى من هذه الصورة و لذلك خلق الله تعالى أحب
العباد إليه وأعرفهم به وأعبدتهم له أو إن شئت قل إن الله خلق
البشر على أحب صورة إليه وهي صورة محمد ﷺ ..

● تكريم آخر للصورة البشرية تراها في أحاديث الرسول ﷺ
في احترام جسد الميت وتحذيره بقوله عليه الصلاة والسلام :
"كسر عظم الميت ككسره حيا " رواه أحمد في مسنده وأبو داود
وابن ماجة عن عائشة .

وكذلك في سنته ﷺ في غسل الميت والتوصية بأن يكون
الماء فاتراً لا بارداً ولا حاراً ولا يكون التدليك في الغسل شديداً ..
وكانك تعامل حياً لم يمت بعد ..

وكان رسول الله ﷺ يقوم للجنازة كيفما كانت ولا يجلس
حتى تمر فتبين تكريم الله تعالى للصورة البشرية عموماً ..

فإن قلت أن هذه الصورة البشرية هي صورة آدم وإبراهيم
وموسى والخلق أجمعين فلم تخص رسول ﷺ بالتكريم ..

● قلتُ: لك وهذه لمحة أخرى فاتتك لى معك..

تقرأ قول رسول الله ﷺ .. " لست كهيئتكم ... " كما ورد فى
الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها .. لماذا لم
يقول " لست كصورتم " !! ..

* وما الفرق بين الهيئة والصورة !!

رسول الله ﷺ أوتى جوامع الكلم وما ينطق عن الهوى.....
فافهم اللفظ وحاذر من تجاوزه إلى مرادف له ..

الصورة البشرية كلها واحدة ابن آدم هو ابن آدم ..

يقول ﷺ: "إني لست كهيتتكم، إني يطعمني ربي ويسقين"
رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها وفي رواية "إني أبيت
يطعمني ربي ويسقينى "... ما قال ﷺ " لست كصورتكم".....
فالصورة هي الصورة البشرية أما الهيئة ، فهي ليست
الصورة، وافهم الفارق بين المعنيين

أما الهيئة فهو الصورة البشرية المجردة مضافاً إليها
معنويات أخرى كهالة تحيط أو تتخلل الصورة البشرية ..

فهيتتكم وأنت ملك وحاكم غيرها وأنت مروؤس.. أو هيئتك
وأنت فرح غير هيئتك وأنت حزين منكسر وهذا على سبيل
المثال..

فإن استثنى ﷺ نفسه بالهيئة الخاصة له فقال لست
كهيتكم فاعلم أن المقصود هي أن الله تعالى قد أفاض عليه من
الأسرار والخصائص المعنوية ما ليس عندكم حتى إنها تخرجه
عن نطاق أوصاف الاحتياجات البشرية فهو يواصل الصوم ولا
يسمح لكم به ويواصل السهر ولا يسمح لكم به فإنه غيركم .. وإن
كانت صورته في مثل صورتكم ..

ولنزد هذا الأمر إيضاحًا فنقول :-

● رسول الله ﷺ يخطب الناس وهو قائم بينهم يقول :
"كلكم بنو آدم وآدم من تراب" أخرجه أبو داود و الترمذى
وحسنه من حديث أبي هريرة و رواه الترمذى أيضًا من حديث
ابن عمر و قال غريب....

● عجيب هذا القول :- رسول الله ﷺ يقول "كلُّكم" أيها
الناس .. وليس "كُلُّنا وأنا منكم" .. رسول الله في حياته لا
يفصل نفسه عن الصحابة ولا يخص ذاته بشئ عنهم ... فإذا
أُهدى إليه مزقة لبن دعا أهل الصفة ليشربوا أولاً .. وإذا دُعِيَ
أو أُهدى إليه طعامٌ دعى المحتاجين معه بل قبله .. ولم يخص
نفسه أبدًا ﷺ بشئ ..

ترى أن رسول الله ﷺ لا يعرف الفارق بين قول " كلكم
لآدم " ، وقول " كلنا لآدم " !! افهم ما أقصد ولا تشطط ولا تغلق
مفاهيمك ..

● و مما يلفت النظر أن رسول الله ﷺ عندما يتحدث عن
سيدنا جبريل عليه السلام يقول هذا أخى جبريل ... ويا أخى
يا جبريل !!!

و لا ترد علىّ بتساؤل غبى لتسألنى أوليس آدم أبو محمد
و أن محمداً من نسل آدم لو سألتنى هذا السؤال لعلمت أنك ما
أدركت ما أعنيه من معنى ..

نعم محمد من آدم .. و على صورته .. و آدم من تراب ..
و جسد محمد من تراب و لكن مع التحفظ و سنأتى إليه فيما بعد
لنعرف لم هذا التحفظ ..

● و هذا مثال آخر لتفهم ما أعنى .. قول رسول الله ﷺ :
"حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ، وَالطَّيِّبُ، وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ " !!. رواه أحمد فى المسند والنسائى والحاكم فى

المستدرك عن أنس .. أو قوله .. " أنتم أعلم بأمر دنياكم " رواه مسلم عن أنس وعائشة ..

انظر و تأمل فتح الله عليك .. من دنياكم !! أوليست هي دنياك يا رسول الله !! أولست تعيش فيها .. فلم هي دنياكم !!!..

أضيف ليس المقصود أن الناس لهم دنيا ورسول الله له دنيا أخرى غيرهم ولكن لن أشق عليك فأشير إليك إشارة عليك أن تفهمها ..

هل نسبة الدنيا إلى الناس .. كنسبة الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم !! وهل معترك الدنيا والحياة عند الناس كمعترك الدنيا والحياة عند رسول الله !! لن أزيد .. ولعلك تفهم ما أعنيه ..

نرجع مرة أخرى إلى الصورة البشرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك إنها كانت الجمال كله .. والجلال كله .. والكمال كله .. العبد الكامل .. العبد الأعلم بالله .. بل هو الوحيد العارف بالله الأكمل .. ومن سواه ما قدروا الله حق قدره ..

وهذا قول رسول الله .. أنا أعرفكم بالله.. وأعبدكم له..
فافهم!!!

فهذه صورة الكمال البشرى فى أبهى صورة ﷺ ..

• و نتساءل هل هذا الكمال كان فى الصورة فقط أم فى
الذات والخلق !!

الله تعالى يقول لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١﴾ ..
الله أكبر .. الكمال المطلق .. والجلال المطلق .. الله سبحانه
وتعالى بعظمته وقد شَبَّه عبده وحبيبه ومصطفاه ليشهد له، ويعلم
الخلق أجمعين بشرف رسول الله ﷺ ، فيقول له أنت أعلى
الخلق .. وأشرف الصفات .. وأنور الطباع .. وأسمى المشاعر
والأحاسيس .. وكل شئ كَمُلَ فيك يا محمد عظيم عندنا ولا
أعظم منك فى خلقنا.. الله الله.. وتبارك الله أحسن الخالقين..

• ورسول الله ﷺ يرد الحمد والثناء لله تعالى فيقول ..
"أدبنى ربي فأحسن تأديبي" أخرجه ابن السمعاني فى أدب الإملاء
عن ابن مسعود وصححه السيوطى وضعفه المناوى فى الفيض.

(١) سورة القلم آية : (٤).

افهم مقصود الحديث .. وكيف يُسَبِّح رسول الله ويشكر
ويُثْنِي على الله أفضاله عليه .. فيخرج من ذاته ونفسه ويجعل
الفضل كله لله تعالى .. مدح و تعظيم من الله و حمد و شكر من
رسوله بأدب عال و كلام مقتضب ..

هذه هي بعض مقومات الخِلقَة البشرية لرسول الله.. المثل
الأعلى للصورة البشرية فما شأن الخلق والأخلاق والنعوت
والصفات !!!..

● وصدق الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ (١).

فرسول الله ﷺ هو بشر .. بشرى الخلقه وأَعَدَهُ اللهُ إِعْدَادًا
خَاصًّا لاسْتِقْبَالِ الْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيةِ .. فهو ﷺ
عبد الله ورسوله .

(١) سورة الكهف آية : (١١٠).

فحين يطالبه كفار مكة بمعجزات على هواهم ليثبت لهم صدق دعواه وهى طلبات من باب التحدى و الجحود يرد الله عليهم كما فى الآيات الشريفة التالية:-

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۚ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ۚ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ ﴾ (١) ..

ويقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَلَا يَن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۚ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۚ ﴾ (٢) ..

(١) سورة الإسراء الآيات : (٩٠-٩٣). (٢) سورة آل عمران آية : (١٤٤).

فنحن لا نشك في بشرية رسول الله ﷺ ونؤمن بها يقيناً ...
ولكن أترى بشريته مثلنا !!

ومن المنطق البدهي أن سيد خلق الله أجمعين ، بالضرورة
أن يكون جسده الشريف هو الصورة المثلى جمالاً ... وجلالاً ...
وكمالاً ... للجنس البشري كله خلقاً وخلقاً ...

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١) ...

كرم بني آدم على إطلاقهم فكيف إذا بتكريم سيد ولد آدم...

● احتفلت السماء والأرض والكائنات كلها بملامسة هذا
الجسد الشريف المبارك لأرض الدنيا الترابية ...

ولا معنى لقول المفسرين بأن حجب الشياطين عن السموات

(١) سورة الإسراء آية: (٧٠).

كان حفاظا على سرية الوحي من الله إلى رسوله ... فهذا الوحي
لن يكون إلا بعد أربعين سنة كاملة ...

ثم كيف تشريحاً نفس رؤيا خلفية في البشر ، أو عرقاً مثل
المسك بل أطيب !! والمفروض أنه إفراز لمخرجات طعام الجسم
المادى !! وكيف لا يكون له ظل !!!

● و بعد كل هذا يقول ﷺ : " ما بين قبري ومنبري
روضة من رياض الجنة " رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وسعيد ابن
منصور - عن أبي سعيد والبيهقي في الشعب و الخطيب و ابن
عساكر - عن جابر بن عبد الله .

عجيب أمر هذا الحديث !!

ما بين القبر الذي دفن فيه جسد رسول الله ﷺ .. و منبره
الذي كان يخطب عليه .. أى المسعى والممشى بين المقامين
الذى كان يتشرف بمسير رسول الله ﷺ جعله الله روضاً من رياض
الجنة .. تكريماً من الله تعالى لأثر فعل الجسد في حياته .. بين بيته
أو قبره - لا فرق - و منبره ..

نسأل سؤالاً .. إذا كان الله قد أكرم هذه البقعة من الأرض
التي تجاور قبر رسول الله حيث وُرى جسده الشريف المبارك
فجعلها روضة من رياض الجنة تكريماً لهذا الجسد وتعظيماً
لشأنه .. فما نالت هذه البقعة هذا الشرف إلا لأنها مجاورة لجسد
رسول الله ﷺ .. فما بالك بتكريم الله تعالى لهذا الجسد
نفسه وبمكان حوى هذا الجسد !! .

الروضة في الجوار فصارت من رياض الجنة .. لأنها جوار
المحبوب صلى الله عليه وسلم فكيف بمكان ضم جسد
المحبوب ذاته .. وما بالك بالجسد الشريف عينه !! .

* مسجد قباء ..

و مرة أخرى يَغْفُلُ الناسُ عن مدى بلاغة رسول الله ﷺ و رمزه و منتهى تواضعه و أدبه العالى مع الله تعالى و إنكاره لذاته الشريفة فلا يدعو إلا إليه و لا يُعَظِّمُ إلا شَعَائِرَهُ .. و يتوارى تواضعه العظيم تاركاً الذوق لأصحاب الذوق و السعادة عند الله ..

أولُ جُمُعَةٍ اجتمعت في الإسلام كانت في مسجد قُباء..
إحياءً لهذه الشعيرة و تذكيراً للمسلمين بجهاد الأوائِل في سبيل الله .. كرم الله هذا المسجد ..

الله أكبر .. مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ جمعة واحدة ..
أصبح مزاراً و بركة للمسلمين .. و عظم الله هذا المكان ..
و أكرم زائره بصلاته فيه .. فعَدَلَت الصلاة فيه أداء عمرة.

الحديث : " الصلاة في مسجد قباء كعمرة " رواه أحمد
في مسنده و الترمذى و ابن ماجه و النسائى عن أسيد بن ظهير
بسند صحيح.

ألم يتساءل المسلمون إذا كان هذا ثواب من صلى في
مسجد قباء ركعتين فكيف بمن يصلى في المسجد النبوى
ذاته .. وكم جمعة صلاها رسول الله في مسجده هذا !! وكم
كان لهذا المسجد من شأن في عهد رسول الله ﷺ .. وكم
ألوية جهادٍ عقدت فيه .. وكم خطبة دعا فيها الرسول إلى الله ..

و حول المسجد حجرات أمهات المؤمنين .. وفيها رسول
الله بذاته الشريفة .. أنفاسه .. وعرقه .. وممشاه .. وصحته ..
ومرضه .. ووحيه .. وقرآنه .. وأدبه .. وتعاليمه .. كل هذا في
ذلك المسجد المبارك .

لعلك تقول : لقد قال ﷺ : " صلاة في مسجدي هذا أفضل
من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " رواه مسلم وأحمد
والنسائي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة وابن عمرو عن
جبير بن مطعم وعن سعد و عن الأرقم

أقول لك .. خانك الفهم والذوق يا قاصد وجه الله
فتح الله عليك ..

لو أنى حاج أو معتمر .. و صلاتى فى البيت الحرام بمائة
ألف صلاة فكيف بالله عليك أتركها وأذهب إلى المسجد
النبوى لأصلى فيه فيكون جزائى ألف صلاة بدلاً من مائة ألف !!

بينما يحجب رسول الله الناس إلى الصلاة فى " قباء " بأجر
عمرة .. أفهم من هذا الحديث معنى آخر تمامًا .. وأحس أن
رسول الله ﷺ يقول للمؤمنين يا من يريد من الله الثواب
والجزاء .. عظموا شعائر الله تعالى .. البيت الحرام بمائة
ألف جزاء ومسجد قباء بأجر عمرة ..

أما إن جئتني فى مرقدى ومسجدى هذا .. فإن
جعلت نيتك الصلاة فيه فلك أجر الألف .. وما أقله ..

أما إذا كانت نيتك زيارتى والسلام على .. زيارة خالصة لى
فهذا أمر آخر بينى وبينك .. أنت زائرى وأنا مضيفك ..
تذكرنى بالسلام والصلاة على فى هذا المكان .. فدعنى
استضيفك بلا تحديد .. أتيتنى بالحب وأنا لك الكفيل والشفيع
والمضيف .. والفضل كله لله تعالى فإنى عبده ورسوله وحبابه
كما أتيتنا بالحب فسأوفيك بالحب والحنان وإنى رحمة الله
المُهْدَاة .. دعنى أقوم بواجب ضيافتك كما أحب لك ..

اللَّهُ .. اللَّهُ .. اللَّهُ .. يا رسول الله .. ومن أولى بنا منك
يا رحمة الله للعالمين ..

فإن انبرى لنا جاهل مستعلم ليقول هذا قبر ورسول الله
مات لنقول له خست و جهلت و أسأت الأدب و حسابك على الله ..

الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والأنبياء موتى فى
قبورهم!! رسول الله ﷺ يرى موسى قائماً يصلى فى قبره .. ولا
يصلى محمد ﷺ .. روى الإمام أحمد فى مسنده و مسلم فى
صحيحه و النسائى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " مررت
ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره ". رسول الله
يرى هود و صالح يحجان على حمارين أشهبين .. و لا يحج
هو ﷺ .. من الميت !! و من الحى !! ..

وكم من حديث لرسول الله ﷺ يدعونا لزيارته حباً و مودة
وعندما زار أبو جعفر المنصور "الروضة الشريفة" فى حياة "الإمام
مالك" رضى الله عنه وبعد الزيارة وقف يدعو الله فأخذته الحيرة
أبعد أن يكون مواجهها بوجهه للمقصوده يسلم على رسول الله ثم
يوليه ظهره ليدعو متجهاً للقبلة فسأل "الإمام مالك" إلى أين يتجه

بوجهه فقال له الإمام عليه رضوان الله.. ولم تصرف عنه وجهك
وهو قبلتك يوم القيامة و شفيحك..

أنظر إلى أدب العلماء المحققين الذين فتح الله عليهم
بالعلم والذوق والأدب واستمع إليهم واتبعهم يفتح الله لك
أبواب رحمته وفضله ..

صلى الله عليك وسلم وبارك يا سيدى .. وبنورك
أكتب و من هديك أقول وباللّهُ أصول و أجول و لن يكون فى
كتابى هذا إلا ما علمتنيه أو أعلمتنيه أو أقرأتنيه .. وليس
لى من مصدر و مرجع إلا آيات كتاب الله و أحاديثك الشريفة
وسنتك المطهرة ..

فهذا ممشى رسول الله للصلاة بين بيته و منبره ... قد جعله
الله تعالى روضة بركة مشاه عليه الصلاة والسلام ...

فما بالك بالمكان الذى فيه الجسد ذاته !!

بل و ما بالك بالجسد الشريف ذاته الذى بممشاه فقط
صارت الأرض روضة من رياض الجنة !!

● طلبت أم المؤمنين " عائشة " رضى الله عنها أن توضع قطعة من قميص رسول الله ﷺ على صدرها فى كفنها عند دفنها.....

● وهل وزع رسول الله ﷺ شعره الشريف بين الصحابة إلا ليقينه أنه بركة وخير عظيم لهم !!

● وكان عند سيدنا على كرم الله وجهه قطعة من عصا رسول الله ﷺ ، وطلب كرم الله وجهه أن تدفن معه أيضا

● فجسد رسول الله ﷺ جسد مبارك ... وكل ما ومن لامسه مبارك كذلك ...

و صورته كصورتنا مع فارق الكمال والجمال والجلال، وهيئته ليست كهيئتنا ...

و صدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرْتَبِطُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) ...

(١) سورة الأعراف آية : (١٩٨).

نعم لا يبصرون حقيقة هيئتك وكيانك ... وإن كان يظهر
بالصورة البشرية الترايية ... واسألك سؤالاً ..

لو كان هذا الجسد عادياً مثل أجساد البشر أكان يتحمل
رحلة الإسراء والمعراج على ظهر البراق ، وهو يسير بسرعة تقارب
سرعة الضوء !! وانظر إلى مسماه ووصفه حيث يضع حافره حيث
ينتهى بصره ...

وهذا يعنى سرعة ارتداد الضوء إلى بصره باختصار ... أى ما
يقارب سرعة الضوء وانظر إلى اسمه " براق " .. والمصدر "بَرْق" ..
أيتحمل الجسم البشرى العادى حرارة الإحتكاك بذرات الهواء
والتي تصهر الفولاذ كما يعرف علمياً!!!

• بل نأتى بعد ذلك إلى قصة المعراج ... وهل يعرج
الجسم المادى العادى إلى السموات !!!

فإن قلت لى : هذه معجزات بتجهيز خاص من الله سبحانه
وتعالى ليتحمل كل هذا ... قلنا لك وهذا ما نقوله تماماً ... بشرى
مجهز تجهيزاً علوياً سماوياً خاصاً ليتحمل ما كلف به ... وكل هذا
بأمر الله تعالى وقدرته ...

و نحن نحب أن نتساءل دائماً كيف ولم !!! وهذا شأن العلماء
والأنبياء كذلك والله سبحانه يحثنا على التدبر وإعمال الفكر ...

انظر إلى قول سيدنا " إبراهيم " عليه السلام ، حيث قال:
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰئِمَّا
تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ
يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) ..

كيف !! سؤال عن الكيفية ، عن الأسلوب ، فنحن أيضاً
نتساءل كيف !! ليزداد علمنا ، فنزداد إيماناً و يقيناً .

يقول الله تعالى عن بنى اسرائيل: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ
آيَةً مَّلَكِهِمْ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ مُوسَىٰ ۚ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ..

(٢) سورة البقرة آية : (٢٤٨).

(١) سورة البقرة آية : (١٦٠).

● وقيل كان فيه قطعة من عمامة "هارون" ، وقطعة من عصا "موسى" ... و كان بنو إسرائيل لا يقاتلون و لا ينتصرون إلا ببركة هذا التابوت موجوداً بما فيه معهم .

والشئ بالشئ يذكر

● ألم يأمر سيدنا يوسف عليه السلام إخوته بأن يذهبوا بقميصه ويلقوه على وجه أبيه سيدنا يعقوب عليه السلام !! فارتد إليه بصره !!

انظر و تأمل إكرام الله تعالى لأنبياؤه جسداً و آثاراً وبركات...

ولكى نوجز رأينا نقول : -

● أنه ﷺ هو بشر بمقدار ما يؤدى رسالته للناس فيحادثهم ويحادثونه و يأمرهم و ينهاهم و يعلمهم و يأخذ بأيديهم إلى الفلاح ويكون لهم الأسوة الحسنة والحجة لله عليهم...

● أما ما بعد ذلك فلا يعلمه إلا الله ... ألم يقل ﷺ " ما يعرفنى إلا الله " .

* لَا يَسْعُنِي إِلَّا رَبِّي

• تأمل واقعة سؤال سيدنا جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان ... يقول الراوى فى حديث أبى عامر الأشعرى فى مسند أحمد ١٧٦٣١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أُنْبَأَنَا شُعَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ عَامِرٍ أَوْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- " بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ يَحْسِبُهُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ وَضَعَ جَبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتِي النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ فَقَالَ: (أَنْ تُسَلِّمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَتَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ). قَالَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ قَالَ: (نَعَمْ). ثُمَّ قَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْقَدَرِ كُلَّهُ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ قَالَ: (نَعَمْ). ثُمَّ قَالَ مَا الْإِحْسَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ

كُنْتُ لَا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ). قَالَ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنْتُ قَالَ :
(نَعَمْ). وَ نَسْمَعُ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْهِ وَلَا
يُرَى الَّذِي يُكَلِّمُهُ وَلَا يُسْمَعُ كَلَامُهُ. قَالَ فَمَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (سُبْحَانَ اللَّهِ
خَمْسٌ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) (إن الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا
تكسب غداً وما تدري نفس بأى أرض تموت إن الله عليم
خبير). فَقَالَ السَّائِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ شِئْتَ حَدِّثْتُكَ بَعَلَامَتَيْنِ
تَكُونَانِ قَبْلَهَا فَقَالَ : (حَدِّثْنِي). فَقَالَ : (إِذَا رَأَيْتَ الْأُمَّةَ تَلِدُ رَبَّهَا
وَيَطُولُ أَهْلُ الْبُيُوتِ بِالْبُيُوتِ وَعَادَ الْعَالَةُ الْخُفَاةُ رُعُوسَ النَّاسِ).
قَالَ وَمَنْ أَوْلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : (الْعَرِيبُ). قَالَ ثُمَّ وَلَّى فَلَمَّا
لَمْ تَرَ طَرِيقَهُ بَعْدُ قَالَ : (سُبْحَانَ اللَّهِ - ثَلَاثًا - هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ
لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا جَاءَنِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا
أَعْرِفُهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرَّةُ) ". وكذلك رواه أحمد عن ابن
عمر في رواية أخرى .. " أن سيدنا جبريل أتى النبي ﷺ ، وجلس
قبالته (حتى لامست) ركبتاه ركبتيه، ووضع يديه على فخذيهِ
الشريفيْن .. ثم جعل يسأل عن الإيمان والإحسان... إلخ".

• ونحن نتساءل أهذه جلسة المتعلم المتأدب !! ثم سأله

فيجيب رسول الله في صدقه جبريل حتى يقول الصحابة فعبنا
يسأله ثم يصدقه ...

إن رسول الله كان يعلم صحابته أن يجلسوا حيث انتهى بهم
المجلس .. وأن يلقي التحية على المجلس كله من مكانه .. فما
بال سيدنا جبريل يكاد يحتضن الرسول ﷺ بيديه ورجليه!!!

لا نفهم منها إلا التبرك برسول الله ﷺ جسداً و مادة بشرية...
وقد كان كل الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على هذه
الملامسة مع رسول الله ، ومس أى جزء من جسده الشريف فضلاً
عن التبرك بأى من آثاره المباركة ﷺ .

وقد كان رسول الله في تلك الساعة في حضور مع ربه أذهله
عن الخلق .. حتى إنه قال ﷺ ، " ما غمَّ على جبريل إلا هذه
المرة " ... فرسول الله لم يعرف جبريل في تلك الساعة لانشغاله بربه
عن الخلق ... فجاء جبريل ليغتنم هذا المعراج الروحي العظيم
لرسول الله ﷺ تلك اللحظة .

• يقول السيد المسيح في القرآن : ﴿ وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيَّنَّ مَا

كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿١﴾ .. " أَيْنَمَا
كنت " !! فافهم مادية وجوده ... فيها البركة ومنه البركة وعليه البركة...

و يقول سبحانه في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا
نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ .. وما كان حولها إلا موسى عليه السلام .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده وأبوداود والنسائي وابن
حبان في صحيحه وابن ماجة والحاكم في المستدرک عن أوس بن
أبى أوس .. قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنْ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ
أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " .. فى أى بقعة .. وفى أى مكان .

إذا كان كل هذا تشریفًا لأجساد الأنبياء عمومًا ، و تشریفًا
لآثارهم فكيف يكون تشریف الله تعالى لهذه البشرية
المحمدية الكاملة المكملة منه تعالى !!

• و نزيد فنقول : أن رسول الله ﷺ كان يخاطب و يرى

(٢) سورة النمل آية : (٨).

(١) سورة مريم آية : (٣١).

الملائكة ، و يخاطب و يرى الجن ، فأى عين وأى أذن هاتان ...
أمثل سائر البشر !!!

و لاحظ أن هذه المخاطبات و الرؤى كانت فى الحالات
المعتادة لرسول الله ﷺ ... فلم يكن ينتابه مثل ما ينتابه ساعة
نزول الوحي من حال شدة و معاناة كما ذكروا .

صلى الله عليك وسلم و بارك يا سيدى يا رسول الله ... سيد
البشرية ... و سيد ولد آدم ... العبد الكامل ... و النبى الأوفى ..
و الرسول الصادق الأمين .

• و سبق أن ذكرنا أن رسول الله ﷺ يقول " كلکم لآدم ،
و آدم من تراب " كما ورد فى الحديث الذى أخرجه أبو داود
و الترمذى ، و لم يقل (كلنا لآدم) بنون الجمع .. بينما يخاطب
سيدنا جبريل فى الإسراء و المعراج و غيره فيقول : " يا أخى يا
جبريل " .. كأنه ﷺ جعل أخوته و مشابته لجبريل عليه السلام
وليس لأحد من أهل الأرض !!!

• و خلاصة القول هو أن بشرية رسول الله ﷺ هى " بشرية

خاصة "معدة إعدادا خاصًا من الخالق القدير... فهو في الوصف
العام بشري... وفي الخصوصية بركة تمشي على الأرض...
وطوبى لمن رآه أو لمسه أو لمس شيئًا من آثاره ﷺ.

* آل البيت و فاطمة الزهراء

معنى الزهراء .. هى التى لا يرى لها دم حيض ولا نفاس ،
وقد ورد فى الحديث كما روى النسائى أن النبى ﷺ قال : " إن
ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث " .

و العلم الحديث يؤكد من علم التشريح و وظائف الأعضاء،
أن الجنين يتغذى على هذا الدم، و لذلك يقوم جسم المرأة
بتبطين جدران الرحم به و بما يهيئ للجنين الظروف الملائمة
للنمو و الغذاء .. إذا ما حدث تخصيب للبويضة، و يثبت هذا
اتصال الحبل السرى بين الجنين و المشيمة .. فإذا لم يتهياً
للبويضة الإخصاب تجمعت و تمزقت هذه البطانة من الرحم
ونزلت فيما يسمى بالدورة الشهرية أو الحيض عند النساء .. أما إذا
ما حدث الحمل فى تلك الآونة انقطعت الدورة الشهرية عن
المرأة لقيام هذه البطانة بتغذية الجنين .

و معنى انقطاع الحيض عن المرأة هو أنها غير قادرة على
الإنجاب لعدم تهيئة الظروف المحيطة المناسبة للجنين من
غذاء و خلافه ..

هذا هو المعنى العام للدورة الشهرية عند المرأة ..

فإذا ما كانت امرأة لا تحيض .. ثم تحمل و تلد.. ولا يُرى لها دم حيض ولا نفاس أيضاً أى زهراء .. فلنا أن نتساءل على ماذا كان يتغذى الجنين فى بطنها !! وكيف كان ينمو!! وكيف كان يعيش فى رحم غير مهياً - علمياً- بهذه البطانة !!

و نحن لا نستطيع الرد على هذا التساؤل .. ولكنه مجرد لفت نظر !! إلى هذه الظاهرة الفريدة التى امتازت بها بنت رسول الله ﷺ السيدة البتول "فاطمة الزهراء" رضى الله عنها وعن ذريتها أجمعين ونحن معهم ومنهم بإذن الله تعالى...

و نحن لا نزيد فى كلامنا .. و لا ننحو منحى الغلو فى الاعتقاد .. ولكن بلا شك أن لذرية مولاتنا الزهراء خصوصية ربانية .. تتميز بها حملها .. والله تعالى أعلم بها .. وبالإجابة على تساؤلنا .. وما هى إلا عناية إلهية خاصة بأبناء الزهراء رضى الله عنها وعنهم أجمعين.

لذلك حُقّ لرسول الله ﷺ أن يقول: "النجوم أمان لأهل

السماء وأهل بيتى أمان لأمتى" .. ويقول ... ويقول الحديث رواه أبو يعلى فى مسنده ورواه ابن أبى شعبة والحكيم وابن عساكر عن سلمة بن الأكوع وحسنه السيوطى

إن قال قائل: ولكن آل البيت هم آل على وآل عقيل وآل العباس وآل الحارث وآل جعفر .. ولم يتميزوا جميعاً بهذه الظاهرة !! ولكن هذه "بنت محمد" أشرف خلق الله تعالى ..

والذى ورد أنه لما نزلت الآية الكريمة: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١)

جمع رسول الله ﷺ ابنته "فاطمة" وابنيها "الحسن" و"الحسين" والإمام "على" كرم الله وجهه خلف ظهره الشريف .. وجللهم جميعاً بكساء وقال: "هؤلاء هم أهل بيتى اللهم فطهرهم تطهيراً" .. فهناك خصوصية لأولاد "فاطمة" رضى الله عنها بين أهل البيت جميعاً .. (من حديث رواه ابن أبى شعبة وابن عساكر)

(١) سورة الأحزاب آية: (٣٣).

ولاحظ أن كل نسل لرسول الله ﷺ هو من ابنته "فاطمة الزهراء" ولذلك يقول ﷺ: " لكل بنى أم عصة ينتمون إليهم إلا ابني فاطمة، فأنا وليهما وعصتهما". قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

و حديث " كل بنى آدم ينتمون إلى عصة، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم ، وأنا عصبتهم" رواه الطبرانى فى الكبير عن فاطمة الزهراء وحسنه السيوطى .

وروى مسلم وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : " إنما فاطمة بضعة منى .. يؤذيني ما آذاها".

ولذلك لم ينل هذا الشرف ولم يطلق وصف "الزهراء" إلا على السيدة "فاطمة" رضى الله عنها .. والتي تناثرت ذريتها المباركة الكريمة فى أنحاء الأرض كلها من الشرق إلى الغرب تناثر النجوم فى السماء .

وأخرج الإمام على بن موسى الرضا عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت : " قبلت فاطمة بالحى فلم أر لها دماً

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَرِ لِفَاطِمَةَ دَمَ حَيْضٍ وَلَا نَفَاسٍ .. فَقَالَ
لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ابْنَتِي طَاهِرَةٌ مُطَهَّرَةٌ لَا
يَرَى لَهَا دَمٌ فِي طَمَثٍ وَلَا وَلَادَةٍ " .

• وإذا انتهينا إلى هذا المفهوم المبسط ... فكيف ترى
نسله الشريف !!!

نحن الآن نعلم الكثير عن علم الوراثة وهندسة الجينات...
ألا تتصور أن يكون أهل بيته عليهم السلام فيهم من بعض هذه
المواصفات !! وكل على قدره ورزقه من الله تعالى !!!

إذا قال رسول الله ﷺ : " حسين مني وأنا منه أحب الله
من أحب حسيناً " رواه أحمد ، و البخارى فى الأدب ، والطبرانى
فى الكبير ، و الحاكم و أبونعيم فى فضل الصحابة - عن يعلى بن
مرة الثقفى و رواه الترمذى وحسنه .

• و هذا أمر يطول شرحه (فحسين مني) مفهومة .. أما (أنا
من حسين) فأمر يحتاج إلى إيضاح .

ولذلك يوصينا رسول الله ﷺ بآل بيته فى أحاديث كثيرة.. منها
" إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف

عنها هلك " رواه الحاكم فى المستدرک عن أبى ذر ... وحديث "النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتى أمان لأمتى" رواه أبو يعلى فى مسنده عن سلمة بن الأكوع ورمز لحسنه وابن أبى شعبة ومسدد والحكيم، والطبرانى فى الكبير وابن عساكر ... ومنها حديث "فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى" رواه البخارى ... "كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى" رواه ابن عساكر عن ابن عمر ... "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما" رواه ابن ماجه والحاكم فى المستدرک عن ابن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير عن مالك بن الحويرث والحاكم فى المستدرک عن ابن مسعود... ليت شعرى .. وهل فى الجنة إلا الشباب .

و يقولها القرآن الكريم صراحة حيث يقول : ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) ...

(١) سورة الشورى آية : (٢٣).

و هل تظن أن آل البيت المكرم هم المستفيدون من حبك
لهم ... هيهات ثم هيهات فقد أكرمهم الله بجدهم ﷺ و شرف نسبهم
إليه و أمرك الله و رسوله بالصلاة عليهم تشريفا لك و قربى إليهم .

• افهم معنى ورثة النبی "الحقیقی" بالوراثة كما قال سيدنا
زكريا: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ ۖ وَأَجْعَلْهُ
رَبِّ رَضِيًّا ۖ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ سَحْيٌ لَمْ نَجْعَلْ
لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۖ ﴾ (١) ...

و قد قال ﷺ : " إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة "
رواه البغوى ، و ابن عساكر و سعيد ابن منصور و الترمذى عن
عائشة و قال هذا حديث غريب.

هذا فى أمور الدنيا ... أما الأنوار الإلهية فقد قال " العلماء
ورثة الأنبياء " رواه ابن النجار عن أنس و نحوه الترمذى و ابن

(١) سورة مريم الآيات: (٥ - ٧).

عساكر ... و هم بالطبع ورثة الدعوة النبوية الظاهرة ... وإن كان
عالمًا بالله فقد ورث الباطن مع الظاهر...

فالدعوة الظاهرة ميراث الأنبياء للعلماء... والدعوة الباطنية
الروحانية ميراث آل بيت النبوة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى
آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ذُرِّيَّةٌ
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾^(١).

لذلك عندما نزلت سورة التوبة في وقت الحج و أبوبكر في
الحجيج ، قال رسول الله ﷺ : " لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا
رجل من أهلي، فدعا عليا فأعطاه إياها". رواه الترمذى و قال :
هذا حديث حسن غريب من حديث أنس...

كما قال له " يا على!! أما ترضى أن تكون منى بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه ليس بعدى نبى". رواه أحمد،
و الترمذى و ابن ماجه و البيهقى ...

• ولذلك أكرم رسول الله ﷺ سيدنا "سلمان الفارسى"،

(١) سورة آل عمران الآيات: (٣٣-٣٤).

لسبب ما لا يعلمه إلا الله ورسوله فقال "سلمان منا أهل البيت" رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن عمرو بن عوف...

ولم يخص عمرًا ولا أبا بكر ولا غيرهما ... بل شرف خاص
لسلمان رضي الله عنه .

• أما قوله ﷺ " آل محمد كل تقى " رواه الطبراني في الأوسط عن أنس

فقد صدق عليه الصلاة والسلام ، فما التقوى إلا منه ومن
تعاليمه وإيمانه ودعوته ... فمرد كل تقوى وعمل صالح
إليه ﷺ ... فهو الأصل والأساس والأب الروحي لكل من سار على
هديه وسنته ودعا بدعوته ... صلى الله عليه وسلم وبارك .

الباب الثالث

❖ حول بشرية رسول الله ﷺ

و نحن عندنا الآن صورة بشرية كاملة مكملّة على خُلُقٍ عظيم.. و روح عالية عُلّيا تُورانيّة بها نور الله و كلام الله.. اجتمعت الصورتان فى بشرية محمد ﷺ.. قل لى أى صورة أكمل و لا أجل من هذه الصورة.

هذا هو محمد الذى كان يمشى على الأرض و يقول للأعرابى "هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد". رواه ابن ماجه و الحاكم عن أبى مسعود و قال فى الزوائد : هذا إسناد صحيح و رجاله ثقات. " إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد من مكة "... تواضع من رسول الله و إرجاع الفضل و النور كله إلى الله تعالى.

هذه الصورة البشرية عندما تنزل إلى الأرض و تلامس الأرض ألا يتغير و يحتفل بها كل الكون.

و هذه الصورة البشرية المحمدية إذا عاشت بين الناس كيف يعاملونها و كيف يكون الأدب معها و كيف يجلونها..

انظر إلى آيات سورة الحجرات فى أدب المعاملة المطلوبة لرسول الله من المؤمنين.

افهم معنى الآية ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

عجيب .. محمد ليس كواحد منكم .. افهم .. و من يفعل
هذا لن أدخله النار ولن يكون جزاءه كذا وكذا .. لا .. الأمر أكبر
من هذا .. من يعامل محمد كرجل منكم فإن أعماله كلها ستحبط
ولا يكون له عمل بعد ذلك .. يا الله.

(٢) سورة الحجرات الآيات : (١-٣).

(١) سورة النور آية : (٦٣).

عقاب من لا يُبجّل رسول الله ولا يتأدّب معه.. وأمسك عما أريد
قوله أكثر من هذا.. افهم قولي.. وتأمل.. زادكم الله هدىً ونوراً .

أمر آخر يلفت النظر : -

معلوم أن رسول الله ﷺ عانى كما يقولون من كربات الموت
حتى كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها رضوان الله تقول: "
واكرب أبتاه فيرد عليها رسول الله ﷺ : لا كرب على أبيك بعد
اليوم !! " رواه أبو يعلى وابن خزيمة وابن عساكر عن أنس .

عجيب هذا الأمر .. فنحن نعرف من القرآن الكريم أن المحتضر
من الصالحين . تحضر رسل ربك بالسلام و التحية و روح وريحان
و يقولون سلام عليكم و تبشرهم البشريات العلية من الله تعالى ..

فما بالك بالأنبياء بل بسيد الأنبياء ومختار الله تعالى
ومصطفاه من جميع خلقه .. لِمَ هذا الكرب .. ولم هذا العناء !!

معلوم في كتب السيرة أن آخر ما نطق به رسول الله ﷺ
كما ورد في حديث أنس : أن رسول الله ﷺ كان آخر ما تكلم

به: "جلال ربى الرفيع، فقد بلغت" ثم قضى ... رواه الحاكم فى
المستدرک بسند صحيح.

ما معنى هذا !!

هذا رد من رسول الله على أمر فيه خيرة له فاختار ﷺ :
"جلال ربى الرفيع .." وإلا فماذا تفهم من هذه الجملة !! وإذا
كان خيار لرسول الله ﷺ فى هذا الموقف العظيم فماذا يعنى
هذا .. وممن يكون الخيار !! ومن الذى يختار !!

أن هذا الروح العظيم والروح النورانية الأولى عشقت
هذا الجسد الكامل المكمل خُلُقًا و خِلْقَةً و عِبَادَةً و أَدَبًا.. ورأت
منه خلال ثلاثة وستين عامًا كيف يكون العبد عبدًا لله تعالى بخير
عبادة .. وخير قنوت .. وخير عزة به .. وله سبحانه .. الأسوة
الحسنة .. والعبودية الكاملة ..

فهل تترك الروح هذا الجسد النير الموحد العابد القانت
الجميل الجليل هكذا ببساطة .. عَشَقَ الروحُ الجسدَ .. وعَشَقَ الجسدُ
الروحَ .. وأنوار الروح خفى على الجسد .. وصفات الجسد انطبعت فى
الروح .. حتى صارت صور رسول الله الروحية التى يراها المؤمنون
فى نومهم أو يقظتهم .. هى صورة هذا الجسد المبارك ..

فيا لله كيف يكون الانفصال سهلاً ولا يتمسك كل منهما
بالآخر كمال في كمال من كمال إلى كمال.. جل الله الخالق..
المصور.. وعز قدس الله.. الفتاح.. العليم.. سبحانك يا قادر..
يا مقتدر.. يا نور النور.. و قدس الأقداس.. لا أحصى ثناء عليك
أنت كما أثنيت على نفسك يا الله..

و صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله
وصفيه و مجتبه و حبيبه و مشكاة نور الله فى الأكوان صلاة
من ذات قدس الله و نوره إلى قلب روح مشكاتك و نورانيتك
يا سيدى يا رسول الله..

يا قارئى .. إن تذوقت ما كتبتة فى هذا الباب فأليك ما هو
أخطر .. يقول ﷺ : " ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض
الجنة " حديث حسن صحيح .. رواه أحمد وأبو يعلى وسعيد ابن
منصور عن أبى سعيد و رواه البيهقى فى الشعب و الخطيب وابن
عساكر - عن جابر ابن عبد الله والخطيب وابن عساكر - عن سعد
بن أبى وقاص .

يقول عليه الصلاة والسلام : " مررت ليلة أسرى بى على
موسى قائماً يصلى فى قبره " رواه أحمد فى مسنده ومسلم
فى الصحيح والنسائى عن أنس...

ويقول في حجة الوداع: "رأيت نبي الله هود وصالح
يحجان على حمارين أشهبين" ... ويقول: "إن الله حرم على
الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه أحمد في مسنده
وأبوداود والنسائي وابن حبان في صحيحه وابن ماجه
والحاكم في المستدرک عن أوس بن أبي أوس.

و يقول: "حياتي خير لكم تحدثون و يحدث لكم، فإذا أنا
ميت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض على أعمالكم: فإن رأيت خيراً
حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم" رواه البزار من حديث
ابن مسعود؛ قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

ويقول: "ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى
حتى أرد عليه السلام" رواه أبو داود و البيهقى عن أبي هريرة...

فالأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ... وهم قائمون يصلون فى
قبورهم... ويحجون على الحمير ...

و لو قلنا هذه أرواحهم ... نسأل و هل تحتاج الأرواح إلى
مراكب لتركبها !!

* أَلْفَاظُ الْمَعَانِي لِعَالَمِ الْمَلَكُوتِ :

و يشير كل هذا إلى جهلنا التام بعالم الأرواح ، و ما بعد الموت... من الواضح أن قوانينه ، وأسس ، ومظاهره ، ومقاييسه تختلف تماما عن قوانين وأسس ومظاهر ومقاييس كوننا المنظور هذا.... و ليس لدينا منها إلا المسميات فقط للدلالة و تقريب المعانى للأذهان ...

و على سبيل المثال لو حاولنا بعقولنا و علمنا المادى ، أن نفسر و نفهم ضمة القبر ، أو عذاب القبر و نعيمه لشخصين متجاورين فى القبر هذا يعذب و هذا ينعم..... لما استطعنا فهمها و لا كيفيتها و هذا أول ما يقابلنا من عالم الملكوت بعد أن نترك عالم الشهادة .

• و يضرب الله لنا مثلا فى الدنيا لهذا الأمر بما يسمى الرؤى أو المنامات ، التى يراها النائم و هو فاقد لوعيه و احساسه ، ثم يذكرها بعد صحوه و قد يكون لها تأويل و تفسير ، بل و قد تحدث كما رآها تماماً

فإذا تأكدنا من هذه المفارقة بين العالمين سوف تتغير لدينا مفاهيم كثيرة درج السابقون على شرحها على قدر إدراكهم وعقولهم

• فبعد أوصاف الجنة و النعيم الذى ذكره القرآن الكريم تفصيلا، يقول رسول الله ﷺ : " فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر " رواه البزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد وفى الحديث القدسى، قال الله تعالى: " أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر " الحديث متفق عليه عن أبى هريرة ...

يا الله.... إذا ما هذه الأوصاف المذكورة والمسميات المعنية...

• يفهم من هذا أن هذه الأوصاف ما هى إلا من باب وصف المجهول بالمعلوم لتقريب المعنى إلى الذهن فقط ، وإلا فكيف يكون التعريف و كيف تكون الإشارة !!

• و لكن الكيان و الوجود الحقيقى لهذه المسميات يختلف تمامًا عن المفهوم المادى لدينا

وهذا ينطبق على كل وصف جاء فى القرآن أو ذكر فى
الحديث النبوى فى هذا الشأن

فقول الله تعالى فى أول سورة فاطر : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتِلْكَ
وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ...
فلا يتبادر إلى ذهنك جناح الطير كما فهم السابقون و وضعوا
وأجهدوا أنفسهم فى وصف قوة الجناح وجماله و كماله ...

وماذا تقول إذا سألك طفلك وهو يعلم بأنه لا هواء فى
الفراغ الكونى... كيف تطير الملائكة فى الفراغ الكونى !!!
وليس بها هواء و الهواء لازم للطيران كما هو معلوم !!!

فإذا نظرنا إلى كلام الله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الَّذِلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢) ...

(٢) سورة الإسراء آية : (٢٤).

(١) سورة فاطر آية : (١).

و إلى أقوال العرب .. فى أن هذا قوى الجناح ، أو مهيض الجناح ، فهمنا من الآية معنى آخر حيث يعبر الله تعالى عن قوة الملائكة بأجنحتهم مثنى و ثلاث و رباع .. متفاوتون فى القوة .

• ومثال آخر :-

قول الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ ^(١) ...

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٢) فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ... إلى آخر هذه الآيات ، التى تذكر أن هناك تسجيل وكتابة لكل ما يفعل العبد فى دنياه ، يسجل فى صحف تقرأ وتنشر يوم القيامة ...

و نحن نتساءل سؤالين :-

الأول ... هل هذا التسجيل على ورق من أوراقنا أم على شرائط مغناطيسية، أو أسطوانات ليزر، حسبما يتغير الوقت والزمان!!!

(٢) سورة الانشقاق الآيات : (٧-٨).

(١) سورة الإسراء آية : (١٣).

هذا ما تعود عليه البشر حتى اليوم ... والله أعلم بما
يستجد... والقياس عليه كما ترى باطل لا محالة.

والدليل أو السؤال الثانى ...

كيف نفهم قول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْورُ ۖ ﴾^(١).

وكيف نفهم ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ
أَحَدًا ۖ ﴾^(٢)

هذا معناه وجود هذه الأعمال بكيان كامل له حركة وحضور
وغياب... إذا يفهم من الآية أن الأعمال والأفعال، لها كيان يصعد
وينزل ويحضر ويغيب

(٢) سورة الكهف آية : (٤٩).

(١) سورة فاطر آية : (١٠).

وهذا ليس معناه الكتابة والتحرير والتسجيل الذى نعرفه نحن.

و المقصود هو أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن أفعالنا فى حياتنا الدنيا و ما فيها، محسوبة علينا ، و محاسبون عليها ... و لا يمكن إنكارها أو تكذيبها ، فهى حقائق ثابتة ، موجودة بكيفية لا ندركها بعقولنا ...

أما أن تُحدّد مفهومنا لهذه المعانى بالإدراك البشرى العادى فلا ينطبق هذا المنطق على قوانين عوالم الملكوت أو عوالم النفس و الروح إذا أردت أن تسميها ..

• فإذا قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٧٢) ...

فحذار أن تفهم أن النفخ كنفخنا ... تعالى الله عما نقول علواً كبيراً فالله منزّه عن النَّفَس و الشَّفَتَيْن ، فإنه سبحانه ليس كمثله شئ فالنفخ المقصود غير النفخ لدينا و قوله "كن" ... سبحانه ليس باللسان و الشفتين أمثالنا و لا بالكاف والنون عندنا...

(١) سورة ص آية : (٧٢).

تنبه لهذه الأمور فإنها كبوة كبيرة ، وزلة ليست هينة ، عند
من تعرض لمعانى الآيات والأحاديث ...

فإذا حاولت تفسير أمور الحياة الآخرة وكذلك الأمور الروحية
فى الدنيا أيضاً ، على قدر عقلك و منطقك المادى الأرضى..... فلن
تستطع إدراك معانى ما جاء بهذه الخصوصيات الغيبية.

• فلا تعجب إذا قلنا أن أجساد الأنبياء لها صفات أخرى
روحية مضافة عن أجسادنا ، إعداداً لها من الله تعالى لتقبل
الوحي ، والاتصال بالأنوار الإلاهية .

• ولذلك أمرك الله تعالى ورسوله أن تؤمن بالغيب... وأن
تخشى الرحمن بالغيب ... وأن تعبد الله كأنك تراه...
ولكنك لن تراه بالمعنى المفهوم لديك ...

ثم لاحظ أن لديك رؤية بالعين .. و رؤية بالقلب .. و رؤية
بالروح .. و رؤية بالفؤاد .. هلم جراً ... ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى
﴿ ١١ ﴾ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ ...^(١)

(١) سورة النجم آية : (١٢).

ولكل رؤية نور ، ووسيلة ، وإدراك خاص بها ، وهذا أمر يطول شرحه .. وربما نتطرق إليه فيما بعد ، بإذن الله.

فإِذَا تعرضنا مثلاً إلى مناجاة سيدنا موسى عليه السلام على جبل الطور... فحذار أن تفهم أن المناجاة كانت بالكلام والحروف والسماع بالأذنين !! فإن هذا يستلزم جهة أماماً وخلفاً وخلافهما ، فإن هذا يحد الله تعالى في جهة وحيز، والله منزّه عن هذا كله ، فالله تعالى في كل مكان وجهة فكيف يتحدث من جهة واحدة أو مكان واحد !!

• ثم إن الله تعالى أقرب إليك من حبل الوريد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) .. فالله بداخل البشر كما هو خارج البشر، ومعهم أينما كانوا... فالله تعالى في كل مكان...

فإذا كان الحديث من الله سبحانه الذي يملأ الوجود فلا بد أن يكون من داخلك كما هو من خارجك ... ولا بد أن يكون

(١) سورة ق آية : (١٦).

السمع بالأذنين ، والبصيرة ، والقلب ، وكل ذرة فى الجسم ،
وهذا لا يستلزم نطقاً و لا حرفاً و لا كلاماً ككلامنا .

• فاللّٰه ينجى موسى من داخله ... و موسى أيضا يرد من
داخله... بل فى الحقيقة هنا يندم الداخل و الخارج و لا يكون
زمان و لا مكان فالحديث كله باطنى ، و بغير حروف كلام...
و هذا أنسب لجلال الله تعالى و عظمتة ...

• فإذا تعرضنا لواقعة الإسراء و المعراج فلا بد أن نترث فى
فهم أحداثها ...

اللّٰه سبحانه و تعالى فى السماء و فى الأرض ... و ليس فى
جهة يصعد إليها ... و الكرة الأرضية معلقة فى الهواء و سطح
الأرض كلها هو السفلية لمن و ما عليها ، و الفوقية تكون لما يعلو
فوق الرأس... فالفوقية المادية هنا لا معنى لها ...

فإذا قيل صعد و ارتفع ، فليس معناه الصعود و الارتفاع عن
الأرض بقدر ما هو الصعود و الارتفاع عن حياة الجسد و البشر...
ترفع و ارتفع و ارتقى عن قوانين المادة .

نحن نقول ترفع فلانا و ارتفع .. أى ترك الأدنى فى المعنى
و الذوق أو الدرجة و الرتبة و ارتقى إلى ما هو أعلى .

وكذلك قولنا صعدت روح الميت، فلا بد يقصد خروج روح الميت
منه... فهي أصلا لم تكن فيه مادة و لا حيزاً لتتركه و تصعد بعيداً عنه ...

ولكنها ارتقت و ارتفعت عن النظر المادى إلى الجسد
المادى الترابى ، و رجعت للانشغال بخالقها خالصة له و لا شأن لها
بأمور الدنيا .

و أين تصعد الروح !! و الله يقول فى الحديث القدسى الذى
أخرجه الإمام أحمد فى الزهد عن وهب بن منبه: "إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ
السَّمَاوَاتِ لِحَزْقِيلَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ حَزْقِيلُ: سُبْحَانَكَ مَا
أَعْظَمَكَ يَا رَبُّ! فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ صَعْفَنَ عَنْ أَنْ
يَسْعَنِي وَوَسْعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيْنِ" ..

فإذا كانت الروح بهذه السعة ، و أوسع من السماء والأرض...
فأين تظن أن تذهب إلى مكان ما !! لابد إذاً أن يكون لهذا
الصعود معنى آخرًا ...

• وقس على هذا قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ
 إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ
 الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ
 مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١).

الله تعالى ليس له جهة ولا مكان ... فالرفع هنا نفهمه بالترفع
 والرقى عن القوانين المادية الكونية ... أما كيف فهذا أمر لا
 يعلمه إلاه تعالى .

وإذا سألت عن معنى " مُتَوَفِّيكَ " ... فإن لها أكثر من معنى
 محتمل ...

ولا ننسى ما اكتشفه العلم بأن الأرض كرة معلقة فى
 الفضاء... فليست هناك فوقية ، بل أن الفوقية يقابلها سفلية على
 الجانب الآخر من الكرة الأرضية ... فالصعود إذاً على هذا
 الأساس ، لا يكون إلا صعوداً نسبياً بالنسبة لنقطة على الأرض .

(١) سورة آل عمران آية : (٥٥).

• فإذا ما قيل أن " البيت المعمور " ... هو فى السماء السابعة... و يقابل البيت الحرام فى الأرض ، أو هو أعلى البيت الحرام ، فإننى لا أفهم الفوقية المادية ... ولكن افهم أن تقديس البيت الحرام من أهل الأرض يقابله و انظر إلى معنى المقابلة هنا.. يقابله تقديس أهل السماء للبيت المعمور..... و الناس تدخل تزور البيت الحرام فى الأرض ... وكذلك الملائكة فى السماء تدخل و تزور البيت المعمور... و وصف "حرام" هو للبيت فى الأرض... و وصف "الأنوار و التقديس" هما للبيت فى السماء.

• و يبقى لدينا وصف مشابه لهما، و هو "بيت العزة"... و هذه أتركها للقارئ و السامع ليستلهم من الله تعالى معنى بيت العزة.... حيث يتجلى الله تعالى بعزته و قدرته و عظمته وآياته!!!

و عندما ذكر الله تعالى فى سورة النور ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(١) ...

لوحظ أن المفسرين أشاروا إلى أن المقصود بالبيوت فى الآية هو المساجد و هى بيوت الله ... و قد صدقوا

(١) سورة النور آية : (٣٦).

و لكن فاتهم أننا نحن المسلمين ليس لدينا صلاة بالغدو ولا بالآصال.. فإن هذين الوقتين يكره فيهما الصلاة ... فلعل الأوفق أن تكون البيوت المقصودة هنا هي قلوب المؤمنين العامرة بالذكر والتقوى ليل نهار.. ولذلك تكمل الآية ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ حِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ^٧ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(١) ..

• والشئ بالشئ يذكر..

فى قوله تعالى فى سورة الجن : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) ﴿١٨﴾.

و أنا أفهم هنا على أنها كيان السجود ... كل مكان تسجد فيه يسمى لك مسجداً ، بإسم هيئة وصار اسم مكان ... إى أن سجودك و عبادتك لا تكن إلا لله تعالى .

و خلاصة القول أنه قد يكون فى الجسد المادى الترابى أسرار روحية قد تغير من قدراته ومواصفاته، سواء هذه القدرات

(٢) سورة الجن آية : (١٨).

(١) سورة النور آية : (٣٧).

حسية أو معنوية ... فلا تعجب ولا تستنكر ... فالله تعالى هو الفعال لما يريد.... وهو سبحانه وتعالى واضع القوانين الكونية للكون.... ولكنه سبحانه لا يحده قانون ولا حدود لقدرته سبحانه.

والمقصود من كل كلامنا هذا حتى الآن هو أن نبين لك أننا نعيش في عالم كبير ، ملئ بالغموض والأسرار ، وأن محاولة استجلاء هذه المعاني بالعقل الإنساني المفكر قاصرة تمامًا عن إدراكها ...

لذلك يدعو رسول الله ﷺ (لابن عباس رضى الله عنه "اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل" رواه أحمد في مسنده وابن أبي شعبة و الطبراني و قال في مجمع الزوائد : رجالهما رجال الصحيح)

فأما الفقه في الدين فهذا أمر معناه واضح ... أما التأويل فالمقصود به استخراج المعاني الباطنية المغطاة في الأسلوب الظاهر الصريح أى فهم رموز و أمثال و أمثلة .

• فإذا ما قلنا إن أجساد الأنبياء فضلا عن جسد نبينا محمد ﷺ هي في صورتهم كصورنا ، ولكن هيئاتهم تختلف عنا

بكيفية لا ندركها ... ويجب ألا نستنكرها أو نردها بعقولنا
المحدودة .

ونرجع بعد كل هذه المقدمة إلى الجسد الشريف لرسول
الله تعالى لنؤكد بأنه جسد لا كأجسادنا... وهيئته لا
كهيئتنا... وهو أيضاً بشرى الخلقة من نسل آدم عليه السلام
وأبوه "عبد الله" وأمه "آمنة" ...

صدق الله تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (١) ...

والمعنى أن الله تعالى حتى لو افترضنا أنه أنزل إلينا ملكاً
من السماء ليقوم بهداية الناس ويستقبل رسالة السماء إلى الأرض،
لجعل هذا الملك رجلاً وألبسه لباس البشر وجعل صورته بين
الناس كمثلهم

ولكننا جعلنا لهم أعياناً يبصرون بها الملائكة والجن
وأعينكم لا تبصرهم وآذاناً تسمع الوحي والنداء من السماء،

(١) سورة الأنعام آية : (٩).

وأنتم لا تسمعون لهم أجساد تتحمل الصعود إلى السماء وأنتم لا تستطيعون هذا ... إلخ .

فخصوصية جسد رسول الله الشريف خصوصية منطقية بل ضرورية و غير عادية نظراً لطبيعة رسالته ونبوته .

• ملحوظة أخيرة في هذا الشأن

الأرض تبكى والسماء تبكى والجبال تسمع و تغنى والشجر يسبح وكل كائن فى الكون له تسبيح وإحساس .

انظر إلى الآيات :-

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾^(١)

﴿ وَقِيلَ يَتَّزِضُ آبُلَىٰ مَاءِكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢)

(١) سورة الدخان آية : (٢٩).

(٢) سورة هود آية : (٤٤).

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ^(١)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا^ط يَجْبَالُ أُوِيٍّ مَعَهُ
وَالطَّيْرُ^ط وَالنَّارُ لَهُ الْخَدِيدَ﴾ ^(٢)....

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^ج وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ^ط إِنَّهُمْ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ^(٣)...

و في الحديث الشريف " أُحُدُ جَبَلٌ يَحِبُّنَا وَ نُحِبُّهُ " رواه
البخارى عن سهل بن سعد و الترمذى عن أنس ... " حديث أبى
عبس بن جبر مرفوعاً " جبل أُحُدٌ يَحِبُّنَا وَ نَحِبُهُ وَ هُوَ مِنْ جِبَالِ
الجنة " أخرجه أحمد ...

" الحجر الأسود يمين الله فى الأرض " أخرجه الحاكم
و صححه من حديث عبد الله بن عمر ...

(٢) سورة سبأ آية : (١٠).

(١) سورة الرحمن آية : (٦).

(٣) سورة الإسراء آية : (٤٤).

و روى ابن عدى ، و ابن عساكر عن ابن عمر قال : " دخل
رسول الله ﷺ المدينة فخرج الناس فجعلوا ينظرون إلى رسول
الله ﷺ ، كلما مر على قوم قالوا : يا رسول الله ! ههنا ! فقال
رسول الله ﷺ : (دعوها فإنها مأمورة) - يعنى ناقته - حتى
بركت على باب أبى أيوب الأنصارى " ...

و غيرها كثير و آخر ملحوظة فى هذ الشأن ، هى أن لكل
مخلوق نفس لها إحساس و حديث و فعل أيضاً ...

فهناك نفس جمادية لا تتحرك ولا تنمو
نفس نباتية لا تتحرك ولكن تنمو
نفس فلكية تدور فى مسار محدد
نفس حيوانية تتحرك وتنمو وتفكر
نفس بشرية تتحرك وتنمو وتفكر وتتخيل
نفس نبوية لها مميزات تزيد عن النفس
البشرية، و يصعب التعرض لها .

و لكل نفس حس و علم و تسبيح لله تعالى و لكن لا تفقهون
تسبيحهم كما قال الله تعالى ..

بهذا نكتفى بالتعرض للصورة البشرية للرسول ﷺ وإن
كنا أمسكنا عن التفاصيل و لخصنا ما لا يجب تلخيصه... والله
المستعان و منه الهداية.

و صلى الله و سلم و بارك على مولانا و سيدنا محمد و على
آله و صحبه و سلم.

الباب الرابع

○ الرسالة وجوامع الكلم

النظرة الثانية إلى حضرة رسول الله ﷺ الرسالة
المحمدية .. شريعة الله في الأرض.... وهذا هو الجانب الأظهر
من ميراث رسول الله ﷺ ، وهو النظام الإلهي الكامل لتنظيم
الكون بمخلوقاته لكل زمان ومكان

و معروف أن المصدر الأول لهذا الهدى هو القرآن الكريم....
والمصدر الثاني هو حديث رسول الله ﷺ أقوالاً وأفعالاً
وإقراراً....

ومن أهم قواعد الإيمان عندنا هو التسليم واليقين بأن
رسول الله قد بلغ الرسالة كاملة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ،
وتركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا
هالك...

فرسول الله قد أدى الأمانة كاملةً من رب الأرض و السماء
إلى من أرسل إليهم ، فكان القرآن الكريم ... بمعجزاته اللغوية
و العلمية و الروحية و النورانية ... ثم جوامع الكلم منه ﷺ كما
في الحديث "أعطيت جوامع الكلم، و اختُصر لي الكلام
اختصاراً" رواه أبو يعلى في مسنده عن عمر....

وهو الذى لا ينطق عن الهوى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

(١) سورة النجم الآيات : (٣-٤).

* المعانى و النور :

و القرآن هو كلام الله.... نور من نور.... و من آياته ما نزل من تحت العرش كما يقول ﷺ : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة - قال - وعرشه على الماء". رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.... ومنها "أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطهنَّ نبي قبلى" رواه أحمد و سعيد ابن منصور عن أبي ذر.....

و يصف الله تعالى القرآن بأنه النور المنزل من السماء إلى الأرض .. و هو القول الثقيل على رسول الله ﷺ .. و هو الهدى و هو الذكر .. إلخ .

و لا نطيل الحديث فى خصائص القرآن الكريم فهذا أمر ما أكثر من تحدثوا فيه ، و لكن هنا أحب أن أشير إلى بعض الملاحظات : -

• أولاً: الفرق بين القرآن والمصحف :-

القرآن هو نور من الله فيه النور و به النور ... أما المصحف فهو الصورة العربية بالأحرف والكلمات والآيات التى تعبر عن وتدل على الأنوار الإلاهية ..

فالقرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ نوراً من الله تعالى ... و خرج من فمه الشريف آيات بينات بلسانه العربى المبين حصر هذه الأنوار الإلاهية إخراجها على هيئة حروف و كلام ، هذا هو دور رسول الله و معه جبريل عليه السلام فيما يسمى بالوحي ونزول الوحي عليه .

يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ ﴿١٧﴾ ^(١) ، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) ... ويقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٣) ...

(٢) سورة الدخان آية : (٥٨).

(١) سورة مريم آية : (٩٧).

(٣) سورة الشعراء آية : (١٩٥).

و تقول السيدة عائشة رضی اللہ عنہا أنه ﷺ " كان خُلِقَ القرآن " رواه أحمد في مسنده و مسلم وأبو داود عن عائشة....
وتقول : " كان قرآنا يمشى على الأرض " .

• و خُلِقَ رسول الله ﷺ كان قرآنًا قبل البعثة أيضًا ، وقبل نزول القرآن عليه ، وهذا بخلاف الصحابة الذين تخلقوا بأخلاق القرآن عقب نزول كل آية تخص ذلك الخلق... أما رسول الله ﷺ فهو الصادق الأمين الموحد المسلم ذو مكارم الأخلاق منذ نشأته وقبل نزول الوحي .

و في سورة الرحمن تجد سياق الآيات ﴿ ٱلرَّحْمٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ ۝٥ وَٱلْقَمَرُ ۝٦ يُحْسِبَانِ ۝٧ وَٱلنَّجْمُ ۝٨ وَٱلشَّجَرُ ۝٩ يَسْجُدَانِ ۝١٠ وَٱلسَّمَاءُ ۝١١ رَفَعَهَا ۝١٢ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝١٣ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ۝١٤ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ۝١٥ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ۝١٦ ﴾^(١)...
انظر إلى التسلسل و ترتيب الآيات... و علم القرآن قبل خلق الإنسان و هذا يستلفت النظر ...

(١) سورة الرحمن الآيات : (١-٩).

وقوله تعالى : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١) ...
يشير التساؤل !! فهو أمر ألا يعجل بالقرآن و ليس ألا يستعجل نزول
القرآن ... و الفرق بين المعنيين كبير .

عَلِمْنَا بِالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ خَلَقَهُ
الْقُرْآنَ وَأَنَّهُ كَانَ قَرَأْنَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ .. وشهد له أهل زمانه
بهذا حتى الكافرون منهم .. وسؤالى ...

القرآن نزل على رسول الله بعد سن الأربعين كما نعرف..
أكان خُلِقَ رسول الله القرآن قبل أن ينزل القرآن أم بعد نزوله!!

هل تعلم رسول الله أخلاق القرآن بعد أن كانت الآيات
تنزل بالصدق والأمانة والقنوت والرحمة .. إلخ ... أم أن
رسول الله ﷺ كانت هذه صفاته حتى قبل الوحي و نزول
القرآن!!..

(١) سورة طه آية : (١١٤).

الإجابة .. معروفة فقد كان ﷺ يلقب بالصادق الأمين من قبل البعثة وفيه مكارم الأخلاق من قبل البعثة وتستطيع أن تقول أن فيه أخلاق القرآن قبل أن ينزل القرآن عليه بالوحى .. لاشك فى ذلك..

والسؤال .. كيف كان خلقه القرآن من قبل أن ينزل عليه القرآن!!

لَا تَرُدَّ عَلَىٰ بَقَوْلِكَ اللَّهُ أَدَبُهُ .. اللَّهُ عِلْمُهُ .. فَنَحْنُ يَا سَيِّدِي نَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُّرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .. وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ هُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يَرِيدُ .. وَلَكِنِّي أَسْأَلُ كَيْفَ !! كَمَا سَأَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ كَيْفَ تَحْيَى الْمَوْتَ وَ لَمْ يَقُلْ لَهُ هَلْ تَحْيَى الْمَوْتَ !! أَفَهُمُ الْفَارِقُ .. سَأَلَهُ كَيْفَ .. أَرِيدُ أَنْ أَفَهُمَ .. أَرِيدُ أَنْ أَرَى .. أَرِيدُ أَنْ أَتَذُوقَ .. وَ لِذَلِكَ سَأَلَهُ رَبَّهُ ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿^(١).

(١) سورة البقرة آية : (٢٦٠).

فقال : سَيِّدُنَا وَاَبُونَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَاشَا يَا رَبِّ
العَالَمِينَ .. بَلَى آمَنْتُ وَاَسْلَمْتُ لَكَ .. وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي اَيَّ
لَا رَى عَيْنٍ الْيَقِينَ الْمَادَى بَعْدَ حَقِّ الْيَقِينَ الْمَعْنَوَى الَّذِى وَصَلَتْ
إِلَيْهِ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ..

افهم رموز كلام الله تعالى فى كتابه و افهم سر كلام الأنبياء
لرب العالمين تجد الكثير والكثير مما غاب عن أذهاننا و تفكيرنا..

نعود إلى سؤالى .. و الجواب معلوم لدينا .. أن رسول الله
كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ .. أَمَّا الْمُسْلِمُونَ
وَالْمُؤْمِنُونَ فَظَلُّوا يَتَخَلَّقُونَ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ الْآدَابِ رَوِيدًا رَوِيدًا..
وَلَا دَاعَى لِلِاسْتِفَاضَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَهُوَ مَعْلُومٌ ..

إِذَا فَرَسَوا اللَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ الْقُرْآنُ فِي قَلْبِهِ وَفِي رُوحِهِ
بِآدَابِهِ وَتَوَجُّهَاتِهِ وَتَخَلُّقِهِ بِهَا فَكَانَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ الْمُؤْمِنُ
الشَّاكِرُ الْحَامِدُ الْقَائِمُ السَّاجِدُ الزَّاهِدُ الرَّحِيمُ..... إِلَى آخِرِ
صِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ ﷺ ...

قرآنا يمشى على الأرض .. من قبل أن ينزل القرآن !!
وكيف هذا !!

• لابد أن نتوقف قليلاً عند معنى القرآن .. القرآن هو نور من الله تعالى أنوار إلهية .. يقول ﷺ عن بعض آياته: "أنها نزلت من تحت العرش قبلاً" .. عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ " أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعْطهن نبي قبلي." رواه أحمد وسعيد بن منصور .

القرآن معنوى و ليس مادى .. يقول تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَصْرِكُمْ إِنَّا كُنَّا نُنْصِرُهَا ۚ ﴾ (١).

و لو صعدت الجبل و معك مصحف القرآن لما اندك الجبل ..
لِمَ !! لأن المعنى ليس المصحف .. بل المقصود هو القرآن فافهم ..

يقول تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٢).

و معروف أن هذا الثقل كان يصيب رسول الله ﷺ وقت نزول الوحي حتى أن الناقة كانت تبرك به و لا تستطيع الحراك كما رواه الطبرانى فى الكبير عن أسماء بنت يزيد قالت : " إني لآخذ بزمام

(١) سورة الحشر آية : (٢١). (٢) سورة المزمل آية : (٥).

العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ نزلت عليه المائدة فكادت من ثقلها
تدق عنق الناقة " .. ولكن المصحف وما بين دفتي المصحف لا
يفعل هذا .. القرآن كلام الله .. نور الله .. فافهم !!

فعندما يقول الله تعالى فى سورة الرحمن .. ابتداء
﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾^(١).

تجد أمراً عجيباً .. الرحمن تعالى .. تفرد بجلاله و عظمته
و تكرم فعله القرآن .. يا سبحان الله لمن علم القرآن .. يقول
المفسرون للإنسان !! وأين الإنسان يا سادة فى هذا التسلسل ..

سياق الآيات يدل على أن الله خَلَقَ الإنسان و بعد ذلك
علمه ربه البيان و الكلام و الحروف و الحسبان و المعانى .. كل
هذا بعد أن قال سبحانه علم القرآن .. أنظر و تأمل و لا تستعجل
فى الحكم و لا تقل لى لم يقل أحد من المفسرين هذا ..

يقول تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٧٢ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٧٣ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٧٤ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝١٧٥﴾^(٢).

(١) سورة الرحمن الآيات : (١-٤) . (٢) سورة الشعراء الآيات : (١٩٣-١٩٦) .

ويقول سبحانه: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۚ وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي
عِلْمًا ۖ ﴾ (١).

تركيب الآية غريب .. الله يأمر رسوله ألا يعجل بقول
القرآن من قبل أن يأتيه الأمر بالوحي .. كيف !! هل القرآن
مخزون عند رسول الله والأمر له بألا يظهر منه إلا ما شاء الله..
متى شاء الله ..

المعنى واضح .. ما عندك يا محمد لا تقله إلا بأمرى..
وبأذنى...

(١) سورة طه آية: (٢٠).

* بداية الوحي :

• آية أخرى : -

سيدنا جبريل فى أول بداية الوحي يقول لرسول الله ﷺ :
"اقرأ" .. عجيب هذا الأمر !! ويرد عليه الرسول "ما أنا
بقارئ" .. فيغطه جبريل حتى يبلغ منه الجهد ويقول له : "اقرأ" ..
وهكذا ثلاث مرات . كما ورد فى الحديث الذى رواه البخارى
ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها.

أولاً :- الأمر بـ "اقرأ" غير الأمر بـ "أتل" .. مم يقرأ .. وماذا
يقرأ !! هل أقول لك اقرأ إلا إذا كان عندك شيئاً تقرأ منه وعلى
علماء اللغة العربية أن يَعْرِفُوا لنا الفرق بين اقرأ و اتل و رسول
الله يقول : ما أنا بقارئ ..

لست أدري لم فهم الناس أن "ما" هنا نافية بمعنى أنى لا
أعرف القراءة و لماذا لم يفهموها بمعنى الاستفهامية !! أى
ماذا أقرأ .. من أين أبدأ ..

قال السابقون أن "ما" هنا نافية سار اللاحقون على دربهم..
فليقرأ جبريل وليرد محمد و قضي الأمر.. ولا معنى لهذا الجهد..

لا .. الأمر غير هذا تمامًا.. في الحقيقة أن الكلام عند
محمد.. والنور في قلب محمد قديمًا .. والقول قول
محمد.. بلسان محمد عربي مبين.. و جبريل أمين الوحي ..

• ستعرف دور جبريل فيما هو آتى : -

يقول العلماء أن القرآن محفوظ في البيت المعمور .. و نزل
إلى بيت العزة ثم نزل من بيت العزة متجهًا إلى لسان رسول الله..

هذا كلام طيب وإن كنا لا نفهم فنحن لا نعرف ما هو
و أين البيت المعمور و لا ما في البيت المعمور و لا حتى ما في
السماء السابعة و لا السماء الدنيا و لا نعرف حدود السموات..

بل أن العلم أثبت أن السموات تحيط بالأرض من جميع
الجوانب و أنها معلقة في الفضاء فتعريف السماء يحتاج إلى
مراجعة و تدقيق غير المفهوم القديم لأزمان من كانوا يظنون
الأرض على قرن ثور و أن نهاية الأرض عند بحر الظلمات ..

• حديث آخر به لفظة عالية منه ﷺ حيث يقول "إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن (يس) ". أخرجه البزار عن أبي هريرة .

يلفت نظري أنه ﷺ لم يقل "سورة يس" ... بل قال "يس" !!
و نحن نعلم أن "يس" ... هو من أسمائه ﷺ ... و القرآن نزل على قلبه ﷺ ... و كان خلقه القرآن ... و كان قرآنًا يمشى على الأرض ...
فما المقصود يا ترى من أن قلب القرآن "يس" !!!

لا أزيد و لا أنقص لكن تحسب و تفهم فتح الله عليك .. يقول
الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ (١).

يا محمد لولا لسانك و شفئك و أنفاسك لما نُطِقَ القرآن
حروفاً عربية ... فإن دور رسول الله ﷺ أن يخرج القرآن
النوراني من قلبه و روحه على هيئة حروف و كلمات عربية .. أى
بلسانه .. حتى يقرأ الناس مثله .. افهم هذا المعنى .

(١) سورة مريم آية : (٩٨).

وما كان غطُّ جبريل لرسول الله في المرة الأولى لنزول
الوحي إلا ليحرك الباطن إلى الظاهر فينطق لسان وفم رسول
الله ﷺ .. ليظهر ما في الروح إلى الجسد .

القرآن هو الأنوار في روح رسول الله ﷺ .. وفي الحقيقة
أن قلب المؤمن هو بيت الله .. افهم .. فقلب رسول الله هو
أولى القلوب في الخلق ليكون بيت الله ..

فإن تعجبت من هذا المعنى فتعال معي ...

اقرأ قوله تعالى في سورة النور : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٨﴾ رِجَالٌ
لَّا تُلْهِيمُ تَجَرَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٩﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۝ (١)

(١) سورة النور الآيات : (٣٦-٣٨)

إن قال المفسرون أن المقصود بالبيوت هنا أنها المساجد...
قلت لهم أن المساجد عندنا ليس فيها صلوات لا في الغدو ولا
الآصال.. بل تكره الصلاة قبيل شروق و غروب الشمس كما هو
معروف.. ولكن المقصود هنا بيوت الله هي قلوب عباده العامة
به و بذكره و بأنواره ... كما وصف ربنا في قرآنه بعض القلوب
بأنها غُلف... و عمياء و كالحجارة ... و كما عرّف ربنا من قبل
الحى و الميت عنده .. و الحى حى بذكر الله .. و الميت من
غفل عن ذكر الله .. فافهم ...

القرآن كلام الله و هو نور .. و المطلوب أن يخرج رسول
الله بالعربية كى يقرأ و يتدبر و يقيم الشريعة فى الأرض... كيف
يتأتى هذا لمحمد بن عبد الله !!

هنا يأتى دور جبريل فيقف بين قلب و روح رسول الله
و شفتيه الشريفتين حتى يستطيع الرسول أن يحول هذه
الأنوار إلى كلمات و جمل و آيات ... و لذلك كان رسول الله
يتصبب عرقاً و يحمر وجه الشريف و يجهد جهداً شديداً ... لتحويل
هذه الأنوار إلى مادية مسموعة و مكتوبة و مقروءة..

يقولون أن أمين الوحي هو جبريل.. نعم فهو الدالّ على مواضع الأنوار و المساعد للصورة البشرية المحمدية أن تنتقل من الصورة البشرية إلى صورة أخرى بين الروحانية المحضة والترابية المحضة و يقف فيها جبريل في هذا الوسط العجيب لتتحول أنوار الله تعالى إلى كلام على لسان رسوله العربي المبين.

• وهناك ملاحظة هامة... إن قلنا أن القرآن في روح رسول الله و قلبه فاعلم أن الجسد لا يعرف ماهية الروح و لا ما فيها.. نعم هو مرتبط بها و لكل جسد روحه.. و الروح لها العلويات و الجسد له الماديات و نادراً ما يطلع الجسد على ما في الروح.. لأن لهذا قوانينه و معيشته و لتلك قوانينها و معيشتها.

فرسول الله ﷺ القرآن في قلبه و روحه.. و لكن شفتاه لا تنطق بالآية إلا في مكانها و زمانها و مساعده خادمه جبريل يساعده على هذا ..

إن رفضت كلامي هذا فأسألك سوألا؟؟

الإسراء و المعراج.. تقدم رسول الله و علا.. و تأخر جبريل و قال: لو تقدمت لاحترقت أما أنت يا محمد فلو تقدمت

لاخترقت.. الأعلى عند الله محمد أم جبريل.. الأقرب إلى الله
محمد أم جبريل.. الأعلم والأعرف والأعبد محمد أم جبريل!!

هل يتلقى الأعلى درجة وقرباً عند الله من الأدنى
والأقل منه .. هل يعقل هذا .. ولم !! وسر الله تعالى عند رسول
الله .. والله سبحانه يصف رسوله بأنه السراج المنير .. والقرآن
أنه نور .. والله تعالى سمى نفسه النور وهو النور فلم الوساطة في
التلقى بالوحي من جبريل !!

أُمسك عن الكلام حتى لا أقع في المحذور ..

و نعود إلى حديثنا السابق :-

• فسر العلماء قول رسول الله لسيدنا جبريل :- ما أنا
بقارئ... بمعنى أنه لا يعرف القراءة .. فهل أعطى سيدنا جبريل
لرسول الله كتاباً أو شيئاً ليقرأ منه !!!

أقال له :- ردد ورائي ما أقول !!! أم قال له :- اقرأ !!! ومم
يقرأ رسول الله !! ولم لا يكون مقصود الرسول ﷺ ما أنا بقارئ
بمعنى من أين أقرأ وماذا أقرأ !!! فإن عندى الكثير !!!

و يغطه سيدنا جبريل وكأنما يُقَلَّب الروح بالجسد ، و يُظهر ما
خَفِيَ من الروح ... و يُشير إليه من هنا من ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ ﴾ (١) !!! .

و الغريب أن سيدنا جبريل يقول لسيدنا رسول الله "اقرأ" .. فيرد
رسول الله بعده ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ... وكأن سيدنا جبريل
يشير لرسول الله إلى أول بداية القرآن ... أى إبدأ من "اقرأ" .

بأسلوب آخر أقول : لو كان قول "اقرأ" من سيدنا جبريل
هو فعل أمر لرسول الله ﷺ لما كرر رسول الله في كلامه هذا
الأمر و قال هو أيضاً "اقرأ" هل وضح ما أقصده لك !!!

• و الجميع يعلم أن أكبر و أقدس معجزة لرسول الله ﷺ
هو القرآن الكريم ، كلام الله تعالى بأسراره و أنواره ... ﴿ إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ
﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ..

(٢) سورة الواقعة الآيات : (٧٧-٨٠) .

(١) سورة العلق آية : (١) .

و لاحظ أن لفظ " المطهرون "، مبنى للمجهول ، أى من طَهَّرَ بغيره .. وليس المتطهرين ... فما بالك بمن طهره الله وزكاه أليس هو المطهر ... فالمطهر حقا هو من طهره الله وزكاه ، والمتطهر هو المتطهر بفعل وأداة ولعلك أدركت المغزى أى أن هذا الكتاب المكنون المحفوظ المقدس عندنا لا يَمَسُّ معانيه وأنواره ولا يفهم رموزه إلا من طهرناه نحن ورفعنا روحه إلينا .

و لأضرب مثلاً واحداً من كتاب الله تعالى .. يقول سبحانه.. ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾^(١)..

يقول العلماء أن هذه الآية تدل على أن مس المصحف لا يكون إلا للمتوضئ .. ونحن نوافقهم على ذلك احتراماً وتقديساً لكتاب الله تعالى ..

و لكن لو نظرت بتأمل فى الآيات لوجدت أن الله تعالى يتحدث عن قرآنه الكريم .. الأنوار الإلهية .. المحفوظة عنده

(١) سورة الواقعة الآيات : (٧٧-٨٠).

تعالى فى كتاب مكنون محفوظ مصان لا يعلم كنهه إلاه سبحانه
وتعالى.. وهذا السر العظيم عند الله لا يمسّه ولا يقترب منه .. إلا
المُطَهَّرُونَ !! ولم يقل المتطهرون .. أى الذين تطهروا باغتسال
أو بوضوء....

و فرق بين من تطهر بنفسه.. و من طَهَّرَ بأسلوب آخر.. فإن
قلت أن المطهرين هم الذين طهرهم الله نفساً وروحاً وأنار
بصائرهم وارتقت أرواحهم فجاز لهم أن يمسوا هذه الأنوار
الإلهية المكنونة المحفوظة.. فأى اعتراض على هذا المعنى!!!!

• سيدنا عبد الله بن عباس عندما يقرأ ﴿هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَبِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ
ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۚ وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾^(١)..

(١) سورة آل عمران آية : (٧).

الوقف في المصحف بعد قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَلَكِنَّ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَانَ يَكْمَلُ فِي تَلَاوَتِهِ وَيَقِفُ بَعْدَ ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ۚ ﴾ .

و هذا ذوق رفيع لسيدنا عبد الله بن عباس .. فلو أن العلم بالتأويل لله وحده فقط .. لأصبح الكتاب مُعَمَّاً فيه على جميع خلق الله ... ولكن الله يقول : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۚ ﴾ (١) ..

فالأية فيها استثناء .. لمن يريده الله تعالى ...

وهل الاستثناء يكون إلا للراسخين في العلم !!!؟

وهل يخشى الله تعالى من عباده إلا العلماء !!!؟

المقصود من كلامنا أن القرآن هو نور الله تعالى ، و السر الأعظم و النور الأكرم ... و رسول الله تعالى هو أيضاً آية الله

(١) سورة البقرة آية : (٢٥٥) .

الكبرى فى الكون ... والروح الأعلى ... و مثل نور الله فى الكون، فالأنسب بالمنطق العقلانى أن يكون تكريم القرآن هو أن يكون منزلًا من الله تعالى إلى نبيه رأسًا ، وهو الأعلى مقامًا من سيدنا جبريل و من كل الملائكة ... فهو الأولى بتلقى القرآن من الله مباشرة ..

﴿وَأِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١) ..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٢) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾
 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٢٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ...

أى أنزل بجملته و أنواره و أسرارهِ و كنوزه ليوضع فى قلب أو قل روح رسول الله ﷺ .. ثم ماذا !!!

يأتى جبريل أى الوحي ليكون رفيقًا لمحمد وهو يخرج هذا النور الإلهى منجمًا مؤقتًا بتوقيت الأحداث عند رسول الله ..

(١) سورة النمل آية : (٦). (٢) سورة الشعراء الآيات : (١٩١-١٩٦).

فينطقه بحرف و لسان و شفتى رسول الله ﷺ ... وهذا دور جبريل
مساعدة رسول الله على تحويل هذه الأنوار إلى حروف وكلمات
تخرج من فم و نفس رسول الله ﷺ ... وهذا أمر بالغ الصعوبة نظراً
لتحويل مادة إلى مادة... وأى مادة نورانية بحثة... وأى مادة
مقدسة هي ... إلى حروف و ألفاظ عربية !!!

• وكم كان يرى رسول الله جبريل عليه السلام و لا ينتابه ما
كان ينتابه ﷺ عند نزول الوحي ... فهذا التغير الذى كان
يحدث لسيدنا رسول الله ليس لرؤية الملك ولا لحديث الملك ،
ولكنه فقط عند خروج القرآن من شفتى رسول الله ﷺ ... أى
عند حدوث هذه الترجمة النورانية إلى العربية ...

يقول الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ
لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

و أنت تحمل المصحف و تسير به فوق الأرض والجبل....
فافهم الفرق بين اللفظين ... فالمصحف غير القرآن ...

(١) سورة الحشر آية : (٢١).

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾^(١)...

سبحان الله تعالى... القول لا يوصف بالثقل، ولكن الله تعالى يجعل الناقة تبرك حين نزول الوحي على رسول الله وهو عليها... ثقل مادي... و ثقل معنوي .

فأعجاز القرآن في لغته وألفاظه وتركيب آياته ، وفي معانيه ، وفي علومه ، وفي تذكيره ، وعبره ، وقصصه ، وأحكامه ، والشرع الذي نزل به ... ثم قبل ذلك إعجاز في نوره الإلهي المكنون طي آياته المباركات ...

لذلك يدعو رسول الله "لابن عباس" أن يُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ.... ويقول الإمام "علي" كرم الله وجهه: "ما خصنا رسول الله نحن آل البيت بشئ عن الأمة إلا بفهم في آية من آيات الله يؤتيه الله لمن يشاء."

فمعاني الآيات قد يكون في الظاهر المحدد كأغلب آيات الأحكام التشريعية ... وقد يكون في آيات أخرى الرمز الذي

(١) سورة المزمل آية (٥).

يحتاج إلى تأويل ... كما يقول ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة
أحرف لكل حرف، (وفي رواية لكل آية) منها ظهر و بطن و لكل
حرف حد و لكل حد مطلع" رواه الطبراني عن ابن مسعود ورواه
البعث في شرح السنة عن الحسن و ابن مسعود مرفوعاً....

* شعب الإيمان و أهل البيعة :

• يقول ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله و أدناها إمطة الأذى عن الطريق" رواه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى فى الأوسط و رجاله مستورون و رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة.

سبحان الله ... الناظر إلى هذا الحديث يرى معناه سهلاً بسيطاً كغالب أحاديث رسول الله ﷺ ... يوضح عليه الصلاة والسلام أن الإيمان فروع و صفات يتصف بها المؤمن ما بين شهادة ألا إله إلا الله حتى أبسط الأعمال و أهون الأفعال و هو إمطة الأذى عن الطريق ... فهذا من صفات المؤمن ...

و نحن نقرأ فى السيرة النبوية العطرة أن بيعة العقبة الثانية حضرها السبعون من الرجال و اثنان من النساء فالجمع كله اثنان و سبعون ...

عاهدهم رسول الله ﷺ و عاهدوه على نصرته و نشر دينه والدفاع عنه ... أتساءل فى حياء ... أودع رسول الله ﷺ الإيمان

فى قلوبهم بأمر الله تعالى... و صاروا هم فعلاً فى المدينة المنورة
حملة لواء الإسلام و المناصرين لله ورسوله ... و من المدينة
انتشر الإسلام... و الإيمان ... و تكونت نواة الإسلام ...

و ما يتبادر إلى ذهنى ... أَحْمَل كل واحد من الحاضرين
شعبة من شعب الإيمان !!! و صار متخلقاً بها و مدافعاً عنها دون أن
يدرى أن الله قد اختصه بهذه الشعبة ... فكانوا جميعاً معاً يمثلون
فى المدينة نموذجاً رائداً للمؤمن الكامل ... كلٌ منهم يتخلق
بشعبة فضلاً عن بقية الشعب طبعاً ...

هل هناك ارتباط روحى بين هذا العدد من الأنصار و بين
شعب الإيمان المذكورة فى هذا الحديث ...

الله ورسوله أعلم ... فهذا أمر روحى بحث... و من أعمال عالم
الملكوت التى لا تطلع عليه النفس و سبحان من هو أعلى و أعلم...

• و الشئ بالشئ يذكر ...

فوجد أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً...
و العجيب أن عدد الرسل على أصح الروايات هو نفس عدد أهل

بدر ... الذين قال ﷺ مناجياً ربه "اللهم إن تهلك هذه العصابة
فلن تعبد في الأرض" في الحديث الذي رواه مسلم عن عمر
بن الخطاب... و كأن لكل منهم نصيب من توثيق الدين وزرعه
في هذه الأرض ... كما فعل الأنبياء السابقين بدعواتهم لهداية
الخلق ...

ولذلك يعرفنا ﷺ " أن الله أطلع على أهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ... رواه الإمام أحمد و الحاكم
في المستدرک عن أبي هريرة.

يا سبحان الله لا ذنوب لهم ... و لا معاصٍ جزاء ما قدموا
أنفسهم و حياتهم في سبيل الله تعالى و نصره دينه ...

فالمغفرة لهم من الله... و العصمة من الله للرسل فلا ذنوب
لهم أيضا ... مشابهة أم مماثلة !! أم صدفة !! و هل عند الله صُدف !!

انظر و تأمل فيما بين السطور من معانٍ روحية تستلفت النظر
و يدق معناها على القارئ العادي و لكنها لا تُغَطَّى على أولى
الألباب و النهى ... جعلنا الله و إياك منهم بفضل و كرمه...

الباب الخامس

○واردات و تأملات في كتاب الله

كتاب الله تعالى نَزَلَ لكل زمان فلا تنتهى عجائبه و لا يَخْلُقُ
على كثرة الرد و إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أعلاه لمغدق
و إن أسفله لمثمر و إنه يعلو و لا يُعلى عليه ...

و علماء المسلمين درجوا منذ قرون طويلة عند محاولات
شرحه أو تفسيره أن يتقيدوا بما قام به سابقوهم فى القرون الأولى
من هذه المحاولات و لا يذكرون شرحاً أو تفسيراً لآية إلا ردوه
إليهم و ذكروا مراجعهم و التزموا بما قالوه .

و إن كان فى هذا المنهج حرص كبير على عدم تهجم الكبير
و الصغير على محاولة شرح آيات كتاب الله دون أن يكونوا أهلاً
لهذا المرتقى العالى .. و لكن أيضاً لهذا الاتجاه سلبياته ومنها
الوقوف بالتفكير و المعانى عند مستوى تفكير زمان هذه القرون
الأوائل ..

و هناك بعض التفاسير لهم - هؤلاء القدامى - لا يمكن أن
تطابق المعرفة فى العصر الحديث ... تفكير البشرية و علم البشرية،
و البشرية نفسها لها طفولة.. و صبا.. و شباب .. و رجولة...

و القرآن الكريم يخاطب كل هذه المراحل .. فهل يعقل أن تكون المعانى واحدة فى كل هذه المراحل مع الاكتشافات المتطورة لآيات الله فى الأرض و العلوم التى تُكتشف و العقول التى تتقدم ...

طبعاً يستثنى من هذا الكلام كله .. كل ما جاء فى كتاب الله من أحكام و أمور تعبدية .. فهذه لا تتغير و لا تتبدل أبداً لأنها تناسب كل عصر و كل زمان و كل مكان ..

و لكننا نتحدث فيما سوى ذلك من بعض الآيات التى تتعرض لأمر كونية أو عقائدية مثلاً .. إذ ذكر المفسرون القدامى أن المقصود "بالذرة" فى كتاب الله هى ذرة الرمل .. فنحن لدينا الآن مسمى علمى بشئ يسمى بالذرة تختلف كلية عن ذرة الرمل .. فهل نربى عقول أطفالنا على معنى ذرة الرمل أم على ما استجد من معنى ...

و لا أطيل .. و لنستعرض القليل من مثل هذه المعانى

و بالله التوفيق

١. الملائكة ذوو أجنحة:

يقول تعالى فى أول سورة فاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتِلْكَ
وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)

ولو تقيدنا بالتفسير القديمة التى اعتبرت الجناح مثل جناح
الطير .. وما دام هو جناح مَلَك .. والمَلَك عظيم فلا بد أن يكون
الجناح مزيّنًا بالذهب و الفضة و اللآلئ طبعًا !! وسيدنا جبريل يحمل
قرية سيدنا لوط عليه السلام على طرف جناحه وليس على جناحه كله
نظرًا لقوته و عظمته ... إلخ هذه التفسير .

و ماذا يكون ردُّك إذا سألك طفلك الصغير الذى يعلم الآن
أنه لا هواء بين الكرة الأرضية و القمر و النجوم و أن الطيران لا بد
و أن يكون فى هواء و ليس فى فراغ .. فكيف تستعمل الملائكة
أجنتها فى التحليق بدون هواء !!!

(١) سورة فاطر آية : (١).

فإذا عرفت أن لفظ الجناح تذكره العرب بمعنى القوة
و الشدة .. فيقولون مَهِيضُ الجناح على المستذل الضعيف ..
و فى القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ
مِنَ الرَّحْمَةِ ... ﴾^(١).

فإذا فهمنا لفظ الجناح فى القرآن الكريم بمعنى القوة
و السطوة لكان المعنى أكثر استساغة و عقلانية و ليس هناك من
داع لأن نَصِفَ الجناح بالذهب و الفضة و نزيد و نعيد فى كلامنا
ثم لا نستطيع أن نرد على المتسائلين عن الطيران و كيفيته...

و صدق الله تعالى فإن لكل ملك قوة خاصة و مقومات
خاصة تهيؤه لما خلقه الله تعالى له....

و هل تتصور أن رضوان خازن الجنة مثل مالك خازن النار!!
الجمال و الأنس كله فى رضوان .. و الغضب و القسوة كلها فى
مالك.. و الاثنان يتمتعان بصفات من الله تعالى من الرضا
و الغضب..

(١) سورة الإسراء آية : (٢٤).

٣. الصحف و الأقلام و الكتابة

فى القرآن الكريم :

ترددت فى القرآن الكريم هذه المسميات عند الحديث عن تسجيل أقدار الخلق .. و أعمالهم .. و حسابهم عند البعث .

فالملائكة تسجل الأقدار و تكتب لكل عبد فى بطن أمه عمله و عمره و شقى أم سعيد .. ثم عليه فى حياته فى الدنيا كرام كاتبين يسجلون أعماله و أفعاله ... ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١) .. و يوم القيامة .. ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا يُسِيرًا ﴾ (٣) وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٢﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ ﴿٢﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿٣﴾

(٢) سورة الإسراء آية : (١٣).

(١) سورة ق آية : (١٨).

(٣) سورة الإنشقاق الآيات : (٧-١٥).

و القرآن مليئ بمثل هذه الآيات و التى فى معناها كلها أن
كل صغير و كبير مسطور عند الله تعالى مسجل سواء القضاء
و القدر أو الأعمال و الأفعال للعباد و نحن نؤمن بهذا و الحمد
لله.. و لكن السؤال هل الكتابة مثل الكتابة و الأوراق مثل
الأوراق و الأقلام مثل الأقلام !!

تعالى الله عما نقول علواً كبيراً ...

و نحن نسأل أكان الناس قديماً يعرفون كتابة إلا على الحجر
و الجلد و الورق و هل كانوا يسجلون إلا نقشاً أو كتابة بقلم أو ما
شابه !!

فإذا جاء القرآن الكريم و ذكر هذا التسجيل فبأى وسيلة
يشرحه لا بد و أن يكون بما درج عليه الناس حتى يفقهون
و يعلمون .. و طبعاً لا بد أن يكون سجل الكتابة مد البصر فإن فيه
كل صغيرة و كبيرة .. و لا بد أن أقلام الحق سبحانه و تعالى تكون
من العظمة و الكثرة بحيث لا تكفيها الأشجار و لا ماء البحر مداداً
للكتابة .. نعم صدق الله تعالى .. و يضرب الله الأمثال للناس ..

ولكن الله تعالى ليس كمثله شئ ... و لا كلامه ككلامنا..
و لا صفاته كصفاتنا .. و كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك ..

نحن الآن فى عصر الحاسبات الآلية و الله أعلم بما سيأتى به العلم بعد ذلك و نحن الآن نسجل معلوماتنا بأساليب مختلفة تمامًا..
وما كان تحتويه مئات الكتب و السجلات نستطيع كتابته فى آلة صغيرة لا تتعدى حجم الكف البشرى.. و نستخدم أساليب كتابة غير القلم و الدواة .. بل نحن الآن نسجل الأحداث و نصورها على أجهزة لا تكذب و لا تبالغ و لا تغير ...

هل ترى أن ملائكة الله تعالى ملتزمون فى سجلاتهم و أدواتهم بالنصوص الحرفية و أسماء المسميات أم تطوروا - و استغفر الله العظيم من قولى هذا - ليُلاحقوا العلم و ما يكتشفه الإنسان!!

لعلك معى فى أن الأوفق أن نقول أن الوصف الذى جاء فى القرآن الكريم ما هو إلا لتقريب المعنى إلى الذهن البشرى..
و الله تعالى أعلم بمقصوده و كلفيته .. فلا السَّجِل مثل السَّجَل و لا الأقلام مثل الأَقلام !! .

• و سأتناول معك إلى ما هو أبعد من هذا

يقول تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ ﴾ (١)

و يقول تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا
فِيهِ وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّاتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ ﴾ (٢)

أى حضور للأعمال يوم القيامة.. حضور و ليست كتابة
فافهم.. و صعود للكلم الطيب .. و رفع للعمل الصالح .. تنبه
لكل هذا !!

أنت إذاً أمام عالم كامل مخلوق تراه يتحرك أمامك..
لا كتابة و لا صوراً بل كائن متكامل يصعد و يهبط و يحضر ...

(٢) سورة الكهف آية : (٤٩).

(١) سورة فاطر آية : (١٠).

الأعمال مخلوقة إِذَا لِلَّهِ تَعَالَى .. وصدق الله إِذ يقول :
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦).

وقد قال عليه السلام : "إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ
وَالصَّدَقَةُ عَنِ يَمِينِهِ، وَالصِّيَامُ عِنْدَ صَدْرِهِ" (أَبُونُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ -
عَنْ ثَوْبَانَ).

"إِنِ الْمَيِّتَ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ جَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَوَقَفَتْ عِنْدَ
رَأْسِهِ.. وَجَاءَ صِيَامُهُ فَوَقَفَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ....." أَى تحولت الأفعال
الدنيوية إِلَى كِيَانٍ لَهُ مَوَاصِفَاتٌ وَكَلَامٌ وَحُجْجٌ لِيَدَافِعَ عَنِ الْمَيِّتِ
فِي قَبْرِهِ وَيُؤْنِسَهُ فِي وَحْشَتِهِ الْجَدِيدَةِ...

وهذه الأعمال المخلوقة لا شك تسبح الله تعالى فكل
الكون يسبح .. و كل المخلوقات تسبح .. بصرف النظر عن كونها
أفعال على هيئة معصية أو طاعة فإنما يصيرها معصية أو طاعة نية
العبد الفاعل لها ..

(١) سورة الصافات آية : (٩٦).

فَإِنْ قَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ وَإِنْ قَتَلَ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا
فَهُوَ شَرٌّ .. وَالْقَاتِلُ وَاحِدٌ فِي الْحَالَتَيْنِ .. فَهَذِهِ الصُّورَةُ لِلْفِعْلِ
مَخْلُوقَةٌ مَسْبُوحَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى .

وَلَا زَيْدُكَ تَأْكِيدًا .. انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ
بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ
يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾^(١)

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الرِّعْدَ مَا هُوَ إِلَّا صَوْتٌ نَاتِجٌ عَنْ تَفْرِيقِ كَهْرَبِي
فِي السَّحَابِ ...

إِذَا بِالْقِيَاسِ فَكُلُّ صَوْتٍ يَسْبِحُ اللَّهَ تَعَالَى .. حَتَّى دَقَاتِ قَلْبِكَ
هِيَ مَخْلُوقَةٌ تَسْبِحُ اللَّهَ تَعَالَى وَقَدْ قَالَ سَادَاتُنَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَابَ
لِلَّهِ مِنْ مَعَاصِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَجْعَلُ تَسْبِيحَ أَعْمَالِهِ فِي صَحِيفَةٍ
حَسَنَاتِهِ هُوَ .. أَلَيْسَ هُوَ الْمَتَسَبِّبُ فِي إِيجَادِهَا ..

فَافْهَمِ إِذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢)

(١) سورة الرعد آية : (١٣) .

(٢) سورة الفرقان آية : (٧٠) .

و آخر كلامنا فى هذا الموضوع أعجب من أوله

• أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْوَرَاثَةِ أَثْبَتَ أَنَّ الْجِينَاتِ وَالْكروموسومات فى خلية الإنسان و التى لا تُرى بالعين المجردة فيها من الصفات الوراثية ما يحدد شكل المولود و أمراضه و مزاجه و... و.... إلخ !!

و من يدرى فربما يكتشفون فيما بعد أن هناك دقائق أخرى فى جسم الإنسان تحدد أعماله للخير أو للشر ... الله أعلم .

أَوَلَسْتُ مَعَى أَنَّ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ أَوْ الْأَوَامِرِ الْوَرَاثِيَّةِ فى الجنين هى كتابة لأقداره فى حياته ؟! أَوَلَيْسَتْ هَذِهِ سَجَلَاتِ إِلَهِيةٍ كَتَبَتْ عَلَى ابْنِ آدَمَ وَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْلُوبٍ لَمْ يَكُنِ الْبَشَرُ يَعْرِفُهُ قَبْلًا !! وَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ ...

و ما الأقلام و الصحائف المذكورة فى القرآن إلا من باب تعريف المجهول للناس بالمعروف لديهم ..

و الله أعلى و أعلم .

٣ - "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" (١)

• يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا
بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ
بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

و يقول تعالى : ﴿..... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
نُورٍ﴾ (٣)

• وفى الحديث القدسى : إن الله تعالى قال : " من عادى
لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشيء أحب
إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى
أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر
به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى
لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله

(١) سورة الطور آية : (٤٨).

(٢) سورة الحديد آية : (٢٨).

(٣) سورة النور آية : (٤٠).

ترددى عن قبض نفس المؤمن: يكره الموت، وأنا أكره مساءته " رواه البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة.

• ووردت أحاديث نبوية كثيرة مُجَمَّل معناها أن المؤمن ينظر بنور الله و من أمثلتها : " اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل " رواه البخارى فى التاريخ والترمذى عن أبى سعيد الحكيم، وسمويه، و الطبرانى فى الكبير و ابن عدى فى الكامل عن أبى أمامة بن جرير عن ابن عمر.

• ودعوة رسول الله ﷺ " اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسانى نوراً، وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً، و عن يمينى نوراً و عن يسارى نوراً، و من فوقى نوراً، و من تحتى نوراً، و من أمامى نوراً و من خلفى نوراً، واجعل لى فى نفسى نوراً، وأعظم لى نوراً " رواه أحمد فى مسنده و البخارى ومسلم والنسائى عن ابن عباس.

آيات الله وأحاديث رسول الله مليئة بهذه المعانى ... من يتق الله يجعل له نوراً و فرقاناً يُفَرِّق به بين الحق و الباطل.. و إلهاماً يُفَرِّق به بين الفجور و التقوى و يرى و يبصر و يشاهد ما لا يراه الآخرون من عامة الناس..

و سبق أن قلنا أن النور لا يُرى في ذاته و لكن به تدرك
الأشياء، وسيلةٌ هو للإدراك و المعرفة.. و بها تدرك الأشياء المادية
أو المعانى و العلويات الروحية

و نحن طبعًا نفهم و ندرك أن التقى الورع يمدّه الله بحكمة
و فراسة و بصيرة نافذة فهو ينظر بنور الله جل و علا ...

و يقول الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام : ﴿ ... وَالْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾^(١)

و المعنى واضح أيضًا .. عناية من الله تعالى في كل شئون
كليمه موسى رضيعًا و صبيًا و شابًا و هكذا

أما أن يقول لحبيبه محمد ﷺ : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾^(٢) فلا أدري حقا كيف نفهمها!!!!

و الله جل شأنه ليس كمثله شيء .. فلا يجوز أن نشبه
أو نجسّد أو نمثل .. و الله إنى لعاجز عن بيان أو تذوق هذا
المعنى الرفيع السامى ..

(٢) سورة الطور آية : (٤٨).

(١) سورة طه آية : (٣٩).

أترك لروحك وقلبك وإيمانك و يقينك ان تحس و تتذوق
هذا المعنى و هذا التكريم و التشريف و الخصوصية لعبده
و حبيبه و رسوله و صفيه و مصطفىه .

ثم من حقى بعدها أن أسألك سؤالاً غير استفهامى .. كيف
يرى رسول الله محمد على هذه الحال !! و كيف و ماذا تكون
مدى رؤيته !! و نوع رؤيته !!

أما قول الله تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا^١ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾^(١)
وقوله تعالى : ﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾^(٢)

فاللفظ هنا يدل على العناية التامة المناسبة لهذا الموقف
البالغ الصعوبة والغير عادى فى تاريخ البشر أجمعين .. فالسفينة
ليست ككل السفن بنظامها و تقسيمها و حمولتها التى حوت
نماذج من الخلائق كلها فضلاً عن تفجر الأرض عيوناً
و انهيار الماء من السماء .. و موج كالجبال ... إلخ.

(١) سورة هود آية : (٣٧).

(٢) سورة القمر آية : (١٤).

• نور الله و ظل الله

وما دمنا تكلمنا عن العين و النور - و الشئ بالشئ ى ذكر-
فلنسأل سؤالاً ..

يقول عليه السلام " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله:
إمام عادل، و شاب نشأ فى عبادة الله ، و رجل قلبه معلق
بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، و رجلان تحابا فى الله
فاجتمعا على ذلك و افترقا عليه، و رجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه، و رجل دعتة امرأة ذات منصب و جمال فقال (إنى أخاف
الله رب العالمين)، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم
شماله ما تنفق يمينه " رواه البخارى و مسلم و النسائى عن أبى
هريرة و مسلم عن أبى هريرة و أبى سعيد معاً و رواه مالك
و الترمذى عن أبى هريرة. الحديث الشريف.

و أشتمُّ من هذا الحديث نورانية عالية المقام... فالله نور.. نور
السموات و الأرض و مثل نوره المشكاة المذكورة فى القرآن الكريم
والتى يقول المفسرون ونحن نوافقهم على أنها هى ذات رسول
الله صلى الله عليه وسلم و السؤال هو : هل تعرف للنور ظلاً!!..

إنما الظل يكون للأجسام الكثيفة التى لا يخرقها الضوء
فتترك سواداً يماثل هيئتها لعدم اختراق النور لها

و نحن نعلم أن الملائكة لا ظل لهم.. وكذلك كان رسول
الله ﷺ فى حياته لا ظل له..

وما دام رسول الله ﷺ قد قال أن لله سبحانه وتعالى ظلاً
إذاً فلا بد أن يكون الأمر كما قال ﷺ .. ولكن المسمى هو
المسمى والماهية تختلف.. فليس الظل مثل الظل المعروف
لدينا.. فإن ظل النور لا بد وأن يكون نوراً أيضاً.

فَظِلَّ الله تعالى أفهمه تعبيراً مجازياً من سيدنا رسول الله
عن صفة جمالية من صفات الله تعالى فيها السلام والأمان
والسعادة والنعيم المتميز ...

وما دام ظل النور هو نور أيضاً .. والله نور ومحمد مشكاة
النور فأترك لك فهم هذه الدقيقة اللطيفة !!! ولا تشطح فإن
محمدًا ﷺ هو عبد الله وحبيبه ورسوله.. ولكن أى فيض من
الله على هذا العبد الأمثل الأكمل الأعرف الأحب لله تعالى !!!
صلى الله عليك وسلم يا سيدى يا مشكاة النور...

ولا تتساءل عن الكيفية والماهية هنا والكُنْه والكيان فلا
تنسى أننا نتجراً ونتحدث عن أعلى عوالم الروحانيات
والملكوت الأعلى .. أو تريد أن تطبق قوانين أرضك وعقلك
الطيني على هذه العوالم العليا !!!.

٤ - " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ " (١) :

يقول الله في كتابه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٢)

و يقول أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٣)

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ

نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٤)

الفرح بالدنيا ومعطياتها مذموم عند الله تعالى فإنها لا

تسوى عند الله جناح بعوضة وإلا لما سقى الكافر منها شربة ماء...

(٢) سورة القصص آية : (١٦).

(١) سورة يونس آية : (٥٨).

(٤) سورة التوبة آية : (٨١).

(٣) سورة يونس آية : (٧).

و الله سبحانه و تعالى يوجه عباده إلى دار البقاء و الخلود
و يبعد عنهم زيف الدنيا و غرور الشيطان و عبثه بهم ...

و يجعل الله تعالى للمؤمن فرحاً راقياً جميلاً يناسب روحه
و يفتح لها أبواب جنة الخلود و الرضوان .

فافرح أيها العبد المؤمن بنعم الله عليك العظمى و رحمته
الكبرى الباقية الدائمة لك ...

اقرأ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ ﴾^(١)

تغمدهم الله بنعمه و فضله فلم يمسههم سوء و اتبعوا رضوان
الله ...

و هل ترى أن الله تعالى قد أنعم عليك بنعمة أكبر و أجل
و أعلى من نعمة هدايته لك و هديته إليك بمحمد ﷺ !!

(١) سورة آل عمران آية : (١٧٣).

و الآية واضحة و صريحة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)

ويقول عليه السلام : " إنما أنا رحمة مهداة " رواه الحاكم في المستدرک عن أبی صالح و عن أبی هريرة و صححه السيوطی وابن سعد، و الحکیم عن أبی صالح مرسلاً

أعرفت إذا بمن و بماذا يكون الفرح للمؤمن !!

بالله ورسوله

يقول تعالى: ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا^ط قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ^ط بَلِ اللَّهَ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ^ط لِلْإِيمَانِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢)

فالله تعالى يَمُنُ على عباده أن هداهم للإيمان بعظم و علو شأن هذه الهدايه الدائمة الباقية للعبد التي فيها خيراً الدنيا و الآخرة ...

(٢) سورة الحجرات آية : (١٧).

(١) سورة الأنبياء آية : (١٠٧).

وهل رحمة الله سبحانه إلا رسوله محمد ﷺ!! من باب
الرحمة أدخل لأستجير من العذاب أيًا كان نوعه..

و أنت تعلم أن لله سبحانه صفات جلالية مثل القاهر،
المتكبر، المنتقم .. إلخ ... و صفات جمالية مثل الرؤوف ، الرحيم،
الرحمن ، الباسط ... إلخ

فإني أستجير برحمة الله من عذاب الله .. كما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " اللهم إني أعوذ برضاك من
سخطك ، و بمعافاتك من عقوبتك إلى آخر الدعاء " . كما
ورد في صحيح مسلم الحديث الذي رواه أبو هريرة عن
عائشة رضي الله عنهما.

فأنا ما خرجت عن الأسماء و الصفات.. فافهم رحمك الله.

و سبق أن قلنا أن رسول الله نفسه علّم الصحابة أن يدعوا
الله و يستشفعوا برسوله كما في حديث رد البصر على الأعمى
و فيه الدعوة " اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بعبدك و بنبيك
محمد نبي الرحمة .. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى

لى فشفعه فى" .. أخرجه النسائى وزاد فى أخره "فرجع وقد كشف الله عن بصره"، وأخرجه أيضا ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم كما أخرجه الطبرانى كما ذكره ابن تيمية فى رسالته التوسل والوسيلة وذكره الشوكانى فى تحفة الذاكرين...

و يقول ﷺ : " توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم " يا سبحان الله.. ماذا يقول لهم رسول بعد هذا كله !!

و صدق رسول الله : " شفاعتى يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها " رواه ابن منيع عن زيد بن أرقم وبضعة عشر من الصحابة ورواه عنه الديلمى أيضاً وصححه السيوطى.

الأمر بسيط أن لا تؤمن بهذا لأنك لا تراه ولا تحاول أن تعرفه .. دع غيرك ممن رأوا وذاقوا وشربوا وعرفوا ولا تفرض عليهم جهلك وحرمانك وتدعى التوحيد واليقين .

وإنى لأسألهم سؤالاً يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (١) .

لماذا أيها السادة يستغفر رسول الله للمؤمنين و المؤمنات !!
و لماذا يقول أبناء سيدنا يعقوب يا أبانا استغفر لنا.. !! أوليس الله
قريباً من كل العباد !!

هل فى استغفار الرسول لى ميزة عن استغفارى لنفسى !!
لاشك أنه كذلك رغم أنف الجاهل المعترضين ...

اللهم ببركة رسولاك و نور نبيك و سر محمد حبيبك افتح علينا فتوح
العارفين و اجمعنا على حضرته دنيا و أخرى و اجعلنا بنور ذاته للمتقين
إماماً يارب العالمين. أنت الواحد الأحد الفرد الصمد ورسولك رحمتك
وهداك و أنا على ذلك من الشاهدين يا رب العالمين.

ثم إن حديث الشفاعة معلوم و معروف و مشهور و لا داعى
لتكراره هنا .

(١) سورة آل عمران آية : (١٥٩).

• نعلم أنه يوم القيامة يستجير الخلق من الهول ويلوذون بالأنبياء الذين يلوذون جميعاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول آنذاك " أنا لها .. ويقوم ﷺ " بلواء الحمد والثناء والتمجيد لله ثم يشفع فيُشَفَّعَ ﷺ " .. حديث حسن صحيح لا ينكره إلا منتطح محروم جاهل مستعلم .

يا سبحان الله.. لماذا تلجأ إلى رسول الله في الآخرة وترجو منه الشفاعة ولا تستغيث به في الدنيا !! والله إن هذا لشئ عجاب !!

يا سادة أنتم أحرار في معتقداتكم ولكن لا تفرضوا علينا جهلكم .. و اتركوا باب الرحمة مفتوحاً أمام المسلمين المنكسرين ...

و حقاً أقول : لقد شُغِفْنَا برسول الله ﷺ .. واستجرنا به .. واستغننا بحضرته .. فتشفع لنا .. وأجارنا .. وأغاثنا .. والله على ما أقول شهيد ... ويا فرحتنا برسول الله .. ويا حبنا لرسول الله .. ويا عزتنا برسول الله .. ويا قوتنا برسول الله ﷺ .. والحمد لله رب العالمين ..

٥ - "الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ" (١) :

نعود أيضاً إلى هذه السورة ماذا بعد ذكر اسمه تعالى .. تكرم الله تعالى وعلّم القرآن ... هكذا مباشرة .. ثم خلق الإنسان.. وبعد أن خلق الإنسان علمه البيان !!

يقول عليه السلام "إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام، هو عند العرش، وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان" رواه الترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرک عن النعمان بن بشير وحسنه السيوطى .

إلى ماذا يشير هذا الحديث .. ألا يدل على أن القرآن كان موجوداً قبل الخلق ..

فإذا كان الله تعالى قد علّم القرآن قبل خلق الإنسان كما فى سورة الرحمن فلا بد أن يكون قد علّمه لموجود ساعته..

(١) سورة الرحمن الآيات : (١-٢)

فإذا نظرت في أحاديث رسول الله التي تقول " كنت نبياً و آدم بين الروح والجسد " أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح، و صححه الحاكم أيضاً. و كذا أخرجه أحمد و الدارمى و أبونعيم، و الطبرانى عن ابن عباس .

و يقول تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ ﴾ (١).

ثم يخاطب رسوله فيقول تعالى : ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ۚ ﴾ (٢).

فالله تعالى أخذ العهد على النبيين أن يؤمنوا و ينصروا رسول الله ولا حظ أنهم كلهم سبقوا ميلاده بآلاف السنين .. ثم

(٢) سورة الزخرف آية : (٤٥).

(١) سورة آل عمران آية : (٨١).

يواسى ربنا جَلَّ شأنه رسوله الكريم ويقول له اسأل من أرسلنا
قبلك من رسلنا ... ما الأمر !! ماذا تفهم ... حضور لأنوار رسول الله
قبل بعثة الأنبياء و كلام من سيدنا رسول الله أيام بعثته وقد
أفضوا إلى ربهم!! فهو معهم و هم معه و ينصرونه و يتحدث إليهم...
ماذا تفهم بعقلك!!!

و لكن هذا هو القرآن الكريم يثبت أن وجود نور رسول الله
ﷺ كان سابقاً عن ولادته بالكثير و أن "آدم" كان يعرفه و "إبراهيم"
و "نوح" و "موسى" و "عيسى" وقد عاهدوا الله على نصرته...

بهذا الشرح المبسط تستطيع أن ندرك من الذى تعلم من
الله القرآن قبل خلق آدم عليه السلام !!

• و هذا يؤكد قولنا السابق أن خُلِق رسول الله كان هو
القرآن قبل أن ينزل عليه الوحي و قبل البعثة لأن نور القرآن فى
روحه ﷺ جُمْلَةً .. و قد شرحنا هذا الأمر تفصيلاً فارجع إليه .

وإن قال قائل لِمَ لَمْ يذكر الله تعالى هذه المعانى ظاهرة جلية!!
نقول له هذا الأمر ليس بالأساسى فى العقيدة و ليس من المعلوم من

الدين بالضرورة .. ثم لا يدركه إلا ذوى الروحانية العالية و بفيض من
الله تعالى .. والله تعالى لا يذكر شيئاً ولا يخفى شيئاً إلا بحكمة يعلمها..
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١).. صدق الله العظيم .

و لكننا نورد هذه المقتطفات البسيطة هنا لكي تفتح قلبك
و تُحَلِّق على حافة أنوار رسول الله ﷺ فتدرك خصوصيته عند الله
فتحبه و يحبك و يزداد حبك له كلما عرفت من أنواره .. لتؤمن
أنه حقاً عبد الله و لكن أى عبد أفاض الله عليه مثل هذا الفيض
العظيم .

صلى الله عليك و سلم و بارك يا سيدى يا رسول الله .

(١) سورة القمر آية : (٤٩).

٦ - رسول الله وهداية الخلق :

وردت آيات كثيرة فى كتاب الله تعالى بأن الرسول ﷺ هو السراج المنير و نور المشكاة و أنه الهادى بأمر الله إلى الله ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

ثم نجد الآية الكريمة تقول : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

و نحن نؤمن بحمد الله أن الهادى هو الله لاشك فى ذلك، و الرزاق و الشافى و الفعال و القاهر فوق عباده هو وحده جل شأنه العظيم .. ما فى ذلك من شك .. و لله تعالى جنود السموات و الأرض .. رُسلًا للموت .. و رُسلًا للرزق و رُسلًا للشفاء و الله أعلم بعباده .

و لكن لماذا يقول رسوله إنك لا تهدي من أحببت !! ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ

(٢) سورة القصص آية : (٥٦).

(١) سورة الشورى آية : (٥٢).

بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ...

نفي تلاه إثبات تلاه استدراك !!!

و الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَٰسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وإن كانت تختلف بعض الشيء ...

رسول الله ﷺ رحمة للعالمين ... بالمؤمنين رؤوف رحيم ..
ليس في قلب حضرة إلا المودة و الرحمة و الهدى و الحب
فهو رحيم بكل المخلوقات ، و يحب كل الخلق .. و حريص على
هداية كل الخلق فلو هدى رسول الله ﷺ كل من يحبهم لآمن
الخلق أجمعين .

ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون فريق في الجنة و فريق في
السعير و تمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين ...

(٢) سورة الفتح آية : (١٠) .

(١) سورة الأنفال آية : (١٧) .

ما العمل إذًا في خلق الله الذين يحبهم رسول الله
وَيَتَمَنَّى لَهُمُ الْهُدَايَةَ وَلَمْ تَكْتُبْ لَهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ !!

اللَّهُ سبحانه و تعالى جعل في قلوب عباده المؤمنين محبة
رسول الله ﷺ .. وهذه المحبة من الصغير إلى الكبير هي قطار
الإيمان و مفاتيح الأنوار إلى قلوب المؤمنين من نور قلب رسول
اللَّهُ ..

فمن أحب رسول الله هداه الله بهدى نبيه محمد..
أو قل من أراد الله هدايته وضع في قلبه حب نبيه محمد و من
لم يرد الله له هدى ختم الله على قلبه و العياذ بالله ... فأنت
يا محمد لن تهدي من تحب فلا تحزن لعلك باخع نفسك ألا
يكونوا مؤمنين .. ولا تحزن عليهم ...

و لكنك يا محمد تهدي من يحبك أنت .. فمن أحبك
تهديه أما من تحب أنت فأمره متروك لله

• و لذلك و عندما يذكر شراح السيرة كيف أنه صلى الله
عليه وسلم عندما شرح الله صدره يقولون أن الملائكة قد أخرجت
من قلبه ﷺ حظ الشيطان !!! .

ولست أدري كيف فات المفسرين والشرح أن النبي نبئ
منذ أن كان روحاً بلا جسد .. وعندما يولد يكون معصوماً قبل
البعثة وبعدها .. فكيف يكون للشيطان حظ في قلب سيد الأنبياء
والمرسلين !!!.

أقول و بالله التوفيق .. كان ما أخرجه الملكان من قلب
رسول الله إنما هو حظ الشيطان من رحمة رسول الله ﷺ ..

فرسول الله لا يعرف إلا الرحمة كما قال الله تعالى .. سواء
كان هذا المخلوق إنساً أو جنّاً أو ملكاً أو حتى إبليس ، فلو ترك
نصيب إبليس من رحمة رسول الله ﷺ لاختلف نظام الكون
كله... والله تعالى دبر الكون بحكمته وعلمه .

هل أدركت الآن لم يؤكد رسول الله على المؤمنين حبهم
له ويقول " لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه
وولده ووالده ...!! " رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

صدق رسول الله ﷺ وصدق الله تعالى أنك يا محمد
ياحبيبي ومصطفى لن تهدي كل من تحب.. ولكن تهدي كل
محب لك. والله أعلم بمراده .

٧- " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " (١)

و يقول تعالى عن قصة الخلق : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) ...

والقرآن فيه الكثير من الآيات الدالة على هذين المعنيين:-

الأول: الله سبحانه و تعالى قد نفخ من روحه فى آدم والبشر..

الثانى : أن الله تعالى أقرب إليه من حبل الوريد ..

و روح المؤمن والكافر .. مؤمنة عارفة بالله تعالى نورانية المنشأ والصفات والأثر سواء فى الكافر أو المؤمن فهى قائمة بذاتها و لا ترتبط بالنفس أو الجسد إلا إرتباط النسبة والإمداد بأنوارها وهداها .. ولكن النفس لها حجاب عليها لأنها واسطة بين الروح والجسد .

(٢) سورة الحجر آية : (٢٩).

(١) سورة ق آية : (١٦).

فالروح مانحة النور .. وهى رحمانية لا يحدها مكان أو زمان
وهى قديمة ..

والنفس مانحة الحياة .. وهى أثرية تسرى فى الدم كالبخار
وفىها الصفات والإحساس والإدراك وهى تموت وتحيا..

والجسد مانح الحركة .. وهو ترابى مؤقت يظهر اعتباراً من
الحمل و يفنى بالموت ..

لا نريد أن نتوسع فى هذا الأمر فإن الاستفاضة فيه تحتاج
إلى كتاب (يمكنك الرجوع إلى كتابنا قواعد الإيمان الباب
الثانى) .. ومقصودنا فى قولنا هذا هو أن الله تعالى أقرب إليك
من حبل الوريد الذى هو داخل صدرك فى أقصى عمق بين
العظام والعضلات .

ولا أدرى كيف يكون هناك قرب أكثر من هذا ...

ويقول ﷺ فى الحديث القدسى : " ما وسعنى أرضى ولا
سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن " ذكره فى الإحياء
بلفظ قال الله: " لم يسعنى سمائى و لا أرضى و وسعنى قلب

عبدى المؤمن اللين الوداع." قال العراقى و فى حديث أبى
عتبة عند الطبرانى بعد قوله " و آنية ربكم قلوب عباده الصالحين
و أحبها إليه ألينها و أرقها " .

و قد تعرضنا من قبل للآية الكريمة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

و ذكرنا قبلاً أيضاً أن الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى
الدم .. مجموعة تأملات تشعر منها ببساطة أن الإنسان فى ذاته
عالم متكامل .

فإذا قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأَخْفَى ﴾ (٢) فهذا منطقي فالله داخل كما هو خارجك
لذلك يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور .. الأعمال بالنيات كما
قال ﷺ .. والنية محلها القلب ..

(١) سورة التوبة آية : (١٢٨).

(٢) سورة طه آية : (٧).

و على أفعال القلب و توجه النية فيه يكون الثواب على
العمل الصادر من الجسد كما قلنا قبلاً و بعد ذلك تبقى لدينا
أعمال باطنية صرفة .. مثل الحب و الخشية و الحسد و الرياء ..
إلخ، و هذه أيضاً محل الحساب و الجزاء .

فأنت إذاً لست مراقباً فقط ظاهراً بل و باطناً من الله
تعالى .. بل أنت دائم الحديث معه .. تتوب إليه .. و تخلص له ..
و توقن به .. و تخاف منه .. و تحبه و ترجوه و تدعو بالذل
و الانكسار إليه .. و كل هذا قد يحدث باطناً دون أن يكون للجسد
و لا حتى اللسان دور فيه ...

ويقول ﷺ : " الرؤيا الصادقة حديث يحدث الرب بها
عبده "

إذاً الحديث دائر دائماً بينك و بين الله تعالى .. يحدثك
فى نفسك و تسمعه فى نفسك ...

• و هل تظن أن الله تعالى عندما أوحى إلى أم موسى أن
أرضيه ... إلى آخر الآية الكريمة بالأوامر الإلهية لها .. أظن أنها

سمعت هذا الوحي بأذنيها أم بحديث في نفسها هي ربما ظنت
في ذلك الوقت أنها خواطر من نفسها حتى كادت بعد أن أنفذت
هذه الأوامر أن تبدى به لولا أن ربط الله على قلبها مرة أخرى..

فَاللَّهُ سبحانه وتعالى منزّه عن الصوت البشري والجهة
والمكان ... فاللَّهُ تعالى في كل مكان وأينما تولوا فثم وجه الله
و خارجك و داخلك ..

• الإسراء و المعراج :

و حذار أيضاً أن تظن أن رسول الله ﷺ فى مناجاة الإسراء
و المعراج قد سمع بأذنيه الشريفتين.. أو حتى رأى بعينه أو تكلم
بلسانه ...

و تأمل قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ^(١) الفؤاد
رأى و سمع و تحدث أيضاً و لكن الله تعالى يتحدث عن البصر
والسمع فى أول سورة الإسراء ﴿ سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَرَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٢)

و ما زاغ البصر وما طغى ... بل التزم بالأدب الأعلى
و الحضور الكامل ...

و نفهم من الآيات أن الله تعالى قد أعد له هذه المناجاة
إعداداً خاصاً فجعله سميعاً بصيراً بكيفية زائدة عن البشر العادى..

(١) سورة النجم آية : (١١).

(٢) سورة الإسراء آية : (١).

فإنه صلى الله عليه وسلم كان قبل هذا الإعداد سمياً بصيراً
كغيره من البشر.. فلا بد أن يتم هذا الإعداد الزائد عن إعداد
البشر العام بإعداد خاص لسماع ورؤية ما لا يستطيع البشر العادى
أن يسمعه أو يراه ...

فرسول الله ﷺ فى المعراج تحدث وسمع ورأى من ذاته
فى ذاته حيث لا مكان ولا زمان ... وانكشفت الحجب فى تلك
اللحظة الآنية فرأى الماضى والحاضر والمستقبل فى مشهد
واحد...

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(١)...
بمعنى أنه رأى كبرى آيات ربه.. كشف الله له الحجب التى لم
تكشف حتى لسيدنا جبريل .. فأراه الله تعالى وأطلعته ﷺ على ما
حوت روحه العظيمة من أنوار وأسرار .. فعرف قدر ذاته عند الله
تعالى ...

وأسأل الله العفو إن كنت مخطئاً ..

(١) سورة النجم آية : (١٨).

• و عندما يقول تعالى : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (١)

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ
مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

حذار أن تفهم أن هذا الحديث قد صدر من هذه الجهة
أو أى جهة .. وإنما كان هذا مكان وقوف سيدنا موسى .

أما الحديث لا يمكن أن يسمعه سيدنا موسى بأذنيه .. وإلا
كان كحديثنا موجات هوائية تستلزم نطقاً و حروفاً و فمّاً وشفتين .
والله تعالى منزّه عن كل هذا كله .

فالله سبحانه وتعالى فى داخل سيدنا موسى كما هو
خارجة .. ولم يكن الحديث من خارجه وليس من داخله .. وما
فى داخله إلا الله تعالى ..

(٢) سورة القصص آية : (٣٠).

(١) سورة مريم آية : (٥٢).

و يجيب موسى أيضاً من داخله إلى داخله .. وما نطق
بكلمة ولا حرف !! ولماذا ينطق بلسان و شفتين وهو يناجى
ويخاطب من داخله كما هو حوله ...

فإن قلت لى فنحن فى الصلاة نناجى الله بألسنتنا وهو فى
داخلنا أيضاً قلت لك أن هذه أمور ومناسك تعبدية فرضها الله
تعالى علينا بهيئة مخصوصة وألفاظ مخصوصة لا نحيد عنها لنظهر
بعبودية العبد المسلم لله تعالى وتكون باطنة ظاهرة .. هذا أمر
آخر لا يجوز القياس عليه ...

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... نعم رميت وما رمى إلا
الله بأمره وقدرته.. فالفعل إليك فقد رميت بيدك .. ولكن لولا أمر
الله وقوته لما رميت .. فالله تعالى رمى لا أنت ... نسبة إضافة إلى
العبد ونسبة خلق إلى الله تعالى ... فالأمر كله والفعل كله والخلق
كله لله تعالى الفعال لما يريد والقاهر فوق عباده .

• و عندما تعرض المفسرون لشرح مناجاة سيدنا موسى قالوا
إن الله تعالى قد كلمه بقوة عشرة آلاف لسان .. الله أكبر طبعاً
على قدر تصورهم. أليس هو الله العظيم الجبار !! طبعاً هذا على
قدر علمهم آنذاك .

ثم قالوا إن موسى عليه السلام قد سمع بجسمه كله وليس بأذنيه ... و سبحان الله هنا قد لمسوا شيئاً من الحقيقة لمساً طفيفاً فما دام موسى قد سمع بجسمه كله إذاً فهذا ليس مثل كلام البشر.. فإن كلام البشر وقوة الألسنة لا يؤثران إلا في الأذان فقط فإذا سمع موسى بيديه ورجليه واستوعب الصوت المقدس بجسمه جميعاً... فهذا إذا ليس بصوت كالذى نعرفه....

• ألا ترى أن وصف رسول الله ﷺ للجنة بقوله : -

قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " . أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة والطبرانى عن ابن عباس .

ما مقصود رسول الله ﷺ من تعبير ما خطر على قلب بشر !!

ألا يدل على أن المسميات قد تكون هى المسميات و لكن الكنه و الكيان لا يخطر على قلب بشر لأنه خارج عن نطاق علمه وعقله وتفكيره ..

و مثلاً... جرى عرف الناس أن يسكروا و ينتشوا بشرب
الخمر.. واللّٰه تعالى سوف يذيقهم النشوة والسكر والسعادة التي ما
بعدها نشوة ولا سكر ولا سعادة .. فبماذا يخاطبهم !! لابد أنها خمر
إذاً .. ولكن حاشا أن تكون خمر لله كخمر الناس.

إن الجمال و الجلال و الكمال الإلهي لو تبدى لكائن
فلا بد أن يسكر و ينتشى و يسعد و يرقص .. نعم و ما خمرى كخمر
الناس لكن إذا أبديت وجهي ذقت خمرى . و الأمثلة كثيرة ولا
داعي للإطالة ..

ولكن تنبه لأمر هام ...

اللّٰه تعالى صدق وعده ومن أصدق من اللّٰه قبيلاً .. لذلك
فمن آمن بأوصاف اللّٰه تعالى للجنة على ظاهر معناها فسوف
يجدها كذلك تصديقاً لوعده اللّٰه له .. ثم لدينا مزيد ..

صدق رسول اللّٰه ﷺ حين قال " ينعم الناس على قدر
عقولهم " الناس يعملون بالخير، وإنما يعطون أجورهم على قدر
عقولهم. رواه أبو الشيخ عن معاوية بن قرّة عن أبيه .

• إن كل العوالم الغيبية الملكوتية تخرج عن نطاق الفهم العقلانى البشرى وليس من وسيلة لمعرفةا إلا الشهود والمشاهدة وليس النقل والكلام ...

والحديث المشهور لسيدنا حارثة حيث سأله رسول الله ﷺ :
" (كيف أصبحت .. فقال حارثة : أصبحت بالله مؤمناً فقال ﷺ :
لكل شئ حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟) قال : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وكأنى بالجنة والنار ، وكأنى بعرش ربى بارزاً ، فقال ﷺ : (عرفت فالزم عبدُ نَوَّرَ الله قلبه بالإيمان) " أخرجه البزار من حديث أنس ، والطبرانى من حديث الحارث بن مالك.

وإذا كان سيدنا حذيفة بن اليمان يقول لرسول ﷺ
"أصبحت وكأنى أرى عرش الرحمن بارزا " الحديث ... يرى
عرش الرحمن !! ورسول الله يقول له "عرفت فالزم" !!

ماذا يرى هذا الصحابى الجليل !! و كيف يعيش فى هذه
الدنيا !! و أمسك عن الكلام خوفاً من الزلل !!! و الله تعالى أعلم
بمراده

٨ - "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (١) :

يتردد على كثير من الألسنة كما يتكرر في كثير من التفاسير المعروفة في شرح هذه الآية الكريمة أن كل مخلوق قد خلق من الماء ، حتى أن بعض العلماء قد اشتط في الإجتهد فقال أن أول ما خلق الله تعالى هو الماء... واستدل بالآية الكريمة ﴿...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾ (٢).

وكان الأولى أن ننتبه إلى

• أن العرش ليس مادياً ولا عنصرياً .. والله تعالى أعلم بالعرش و بالكرسى .. ولا يجب التناول بالزج باجتهاداتنا في هذه المفاهيم القدسية العالية حتى وإن كانت بعض الإشارات عنها قد وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله ﷺ .. فما هي إلا إشارات ورموز لعالم الملكوت الأعلى ..

وكما سبق لا يجوز الخوض في التعريف والشرح بألفاظ عالم الملك إلى عالم الملكوت.. فلكل عالم من هذين العالمين دلالة خاصة لنفس الألفاظ...

(١) سورة الأنبياء آية : (٣٠).

(٢) سورة هود آية : (٧).

ويقول تعالى : ﴿..... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

بينما يقول جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ....﴾ (٢).

و (جعل).. في اللغة العربية غير.. (خَلَقَ).. كما هو معروف.. فالخلق ؟؟ هو الإيجاد و الجعل ؟؟ هو تكييف المخلوق الموجود و تهيأته و جعله مناسباً لطبيعة رسالته وطبيعة خلقته....

فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿... الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٣).

و يقول تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٤).

(٢) سورة النور الآية : (٤٥).

(١) سورة الأنبياء آية : (٣٠).

(٤) سورة النحل آية : (٧٢).

(٣) سورة طه آية : (٥٠).

﴿ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ ﴿٢٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى ﴿١﴾ ﴿٢٩﴾

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ
مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ
أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَارْتْنَا وَمَتْنَعَا إِلَى حِينٍ ﴾ ﴿٣١﴾

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ
الْحَرَامَ وَالْهُدَى وَالْقَلِيدَ^٤ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

(٢) سورة فاطر آية: (١١).

(١) سورة القيامة الآيات: (٣٨ - ٣٩).

(٣) سورة النحل آية: (٨٠).

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٢﴾﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ۚ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٥﴾﴾.

(١) سورة المائدة آية: (٩٧).

(٢) سورة النساء آية: (١).

(٣) سورة النور آية: (٤٥).

(٤) سورة البقرة آية: (٢٩).

(٥) سورة ق آية: (٣٨).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾^(١)

ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾^(٢).

وبالتأمل في هذه الآيات نستطيع استنباط ما يلي :-

أولاً: إن الله تعالى قد أطلق لفظ الماء على كل ما يتكون منه الجنين البشري.. وهو مرة ماء دافق.. ومرة ماء مهين.. والمقصود من هذا الماء هو منى الرجل ومنى المرأة.. وما هو بالماء المعتاد الذي تعارفنا عليه.. بل فيه الماء الذي نعرفه وفيه الحيوانات المنوية وفيه البويضة وفيه إفرازات أخرى يعرفها تفصيلاً أهل هذا العلم ولكن الله تعالى سماه كله باسم الماء.

(٢) سورة الطارق الآيات : (٥ - ٧).

(١) سورة النحل آية : (٨١).

ثانيًا : حدد سبحانه جل وعلا أن كل دابة قد خلقت من ماء... والدابة هي كل ما ومن يدب على الأرض من إنسان وحيوان.. ومنهم من يمشى على بطنه.. وما يمشى على رجلين.. وما يمشى على أربع.

وكما أن للإنسان ماء مخصوص خلق منه.. كذلك لكل كائن ماء مخصوص خلق منه.. وليس ماء الإنسان كماء الحيوان.. وليس ماء كل حيوان مثل ماء الآخر.. بل لكل كائن سلالة خاصة وماء خاص.. له تركيبه الخاص ومزاجه الخاص .

ولكنه سبحانه وتعالى قد أطلق اللفظ الواحد على الجميع لتشابه المسميات الداخلة في تركيب كل ماء وإن اختلفت عن بعضها البعض ... والجميع ماء بعموم اللفظ .

ثالثًا: خلق الله تعالى أمنا "حواء" من أبينا "آدم" عليهما السلام ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

(١) سورة النساء آية : (١).

وما كانت من ماء آدم عليه السلام .. بل منه أى من جسده هو .. ثم بث منهما رجالاً كثيراً و نساء ... و جعل ذكوراً و إناثاً .. هياً سبحانه للذكر ذكوره .. و هياً للأنثى أنوثتها .. و جعل لكل نوع منهما تهيئة خاصة و إمكانيات مختلفة متباينة.. ليقوم الذكر بدوره و تقوم الأنثى بدورها ..

رابعاً : يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١١﴾ ۝﴾^(١).

فالسماوات خلقت من دخان أو كانت فى أصل نشأتها دخان.. ولا يتبادر إلى ذهنك هذا الدخان المعروف لدينا من لهيب النار وشررها.. بل هو على الكيفية التى أرادها الله سبحانه.. ومقصودنا أن أصلها لم يكن الماء.. لا السماوات ولا الأرض ولا الأفلاك.. وغيرهن كثير... والله أعلم بما خلق ويخلق.

(١) سورة فصلت الآيات : (١١ - ١٢).

خامساً : تحديد اللفظ القرآنى بجعلنا من الماء كل شئ حى يحدد لنا أمرين :

الأول : أن جعلنا هى غير خلقنا .. ومعروف أن الكائنات الحية منذ نشأتها كأجنة حتى فنائها بالموت والتحلل يدخل فى تركيبها جسداً وأعضاءً عنصر الماء الذى نعرفه ويحدث فى هذه الكائنات تفاعلات كيميائية وفيزيائية لا تتم إلا بوجود الماء فيها .. وتارة يكون الماء مادة تفاعل أساسية .. وتارة يكون وسطا فقط تتم فيه التفاعلات الكيماوية ولا يدخل هو فى هذه التفاعلات .. ولو لم يوجد هذا الماء ولو بنسبة ضئيلة للغاية لا تتم هذه التفاعلات فى الكائن الحى .. وبالتالى يموت لعدم قيام أعضائه بوظائفها الكيماوية الحيوية.

بل إن نسبة الماء فى الكائن الحى لابد وأن تكون فى ميزان الاعتدال بقدرة الخلاق العليم جَلَّ شأنه فإذا زادت هذه النسبة أو نقصت عن الحدود التى وضعها الله سبحانه وتعالى شكى الجسد واعتل ومرض وربما أدى عدم ضبط هذه النسبة إلى الهلاك والفناء..

فالكائن الحى لا يستغنى عن قدر معين من الماء لاستمرار حياته وبدونه يحدث له الجفاف والموت والفناء وزيادته يمرض وقد يموت أيضاً إن لم يعالج لإعادة النسبة الربانية إلى مستواها المعتاد...

أما الجُماد و الأفلاك و غيرها فبعضها تلزمه نسبة معينة من وجود الماء فيه.. وبعضها لا يلزمها بل إن بعض الصخور يدخل فى تركيبها نسبة من الماء وتُكوّن معه شكلاً هندسياً معيناً خاصاً بها.. ولو سحبنا الماء منها وتعرضت للتجفيف لتغير شكلها الهندسى وبعض مواصفاتها الأخرى وعلماء طبقات الأرض والكيميائيون على علم بهذه الأمور .

و هى عمومًا لا تدخل فى تعريفنا تحت مصطلح الأحياء...
و إن كانت لها حياتها ونهايتها وتسبيحها كما قال تعالى: ﴿... وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾^(١).

ولكننا دائماً عندما نتحدث عن الأحياء نقصد بها تلك التى تولد وتنمو.. وتشخ وتغنى... والأحجار والجبال ليست كذلك...

(١) الإسراء آية : (٤٤).

و لكن عالم النبات ينطبق عليه قانون الأحياء.. لذلك فعنصر الماء أساسى فى حياته.. فالبذرة لا تنبت إلا فى وسط به نسبة معينة من الماء أو الرطوبة.. وكذلك سريان الغذاء فى النبات و حياته ثم جفافه و موته مرتهن بوجود الماء فيه جذوراً و أعواداً و أوراقاً.. و لو مُنِعَ الماء عن النبات لجف و مات.

و نوجز ما قلناه كله فى خطأ القائلين بأن الله قد خلق من الماء الذى نعرفه و هو المركب الكيميائى من الأيدروجين و الأكسجين، كل شئ حى...

و لكننا نقول أن الماء أساسى و ضرورى لحياته و لا حياة بدونه...

و نقول كذلك أن لفظ الماء الذى ورد فى القرآن الكريم ليس كله بمعنى واحد .. فماء الشرب الذى قال الله عنه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١).

(١) سورة الأنعام آية : (٩٩).

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَلَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١).

و ماء الخلقة مختلف التركيب عن الماء الذى
نشربه وسبحان من أحاط بكل شئ علماً ..

و يبقى فى النهاية أن الله تعالى هو الأعلم بمراحده.. وكان عرشه
على الماء وجل جلال الله تعالى ...

(١) سورة النحل آية : (١٠).

٩ - "وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ" (١) :

هى آية فى سورة يس تستلفت النظر ... طبعاً نجد من التفسيرات التى لدينا المعنى المراد وهو أن كل شئ عندنا بمقدار نسجله ونحصىه فى أم الكتاب الذى فيه الأقدار والأحداث وما كان وما سيكون ... والمعنى مقبول مبدئياً ... فهو حق ...

التعبير القرآنى هنا بمسمى "إمام مبين" يستلفت النظر.. ذلك لأن الإحصاء والتسجيل عادة ما يكون فى الكتب والسجلات ... وهذه الألفاظ هى التى وردت فى القرآن الكريم عند ذكر الأقدار والتسجيل ..

• ﴿وَخَرَجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (٢) ...

• ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ

حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٣) ...

(٢) سورة الإسراء آية : (١٢).

(١) سورة يس آية : (١٢).

(٣) سورة الانشقاق الآيات : (٧-٨).

• ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)...

والتسجيل عادة يكون فى الكتب ... سواء لما هو مقدر
أو ما يفعله العبد فى أعمال ...

أما أن يكون الإحصاء والتسجيل فى " إمام " مبين ... فهذا
أمر يستلفت النظر ...

الإمام هو سيد القوم ... هو قائدهم و مرشدهم ... أما أن
يكون محلاً للتسجيل أو مرجعاً للمقادير المكتوبة ... فلا أدري
كيف ستفهم هذا المعنى ...

و لعل فى الحديث التالى ما يعينك على بعض الفهم ... ذلك
أن كل الأمور المذكورة هى نورانية بحتة ... بنص الحديث حتى
القلم والألواح !!!

وكأن هذا الإمام المقصود فى هذه الآية المباركة هو إمام
يعرف و يعلم و هو المرجع و الأصل لكل الأقدار الجارية قديماً
وحديثاً ...

(١) سورة الرعد آية : (٣٩).

ولعل هذه كانت إشارتنا في ديواننا المسمى "محمد الإمام
المبين" ... فما قصدنا المعنى المتداول عن الإمامة عند الناس ...
ولكن كان قصدنا هو المعنى المذكور في هذه الآية
الكريمة...

• بدء الخلق :

والآن ... أتحدثك بحديث أول الخلق الذى ذكر فى أكثر من مصدر ... ونكتفى هنا برواية سيدنا جابر بن عبد الله والذى رواه عبد الرزاق وممن ذكره الإمام العجلونى فى كشف الخفاء "أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" الحديث رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال قلت : "يا رسول الله، بأبى أنت وأمى ، أخبرنى عن أول شئ خلقه الله قبل الأشياء. قال : يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا إنسى ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثانى اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثانى الكرسي ، ومن الثالث باقى الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السماوات ، ومن الثانى الأرضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع إلى أربعة أجزاء ، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد

لا إله إلا الله محمد رسول الله". الحديث . كذا في المواهب .

ولن أجزؤ على التعرض لشرح هذا الحديث الشريف وما فيه من أسرار نبوية... وأترك لك إستنباط ما تحب إستنباطه والله الموفق.

فقط دقق ... و تبصر عسى الله أن يفتح علينا وعليك من فضله تعالى ..

• و المعانى الخافية والرمزية والتي تحتاج إلى تأويل فى الكثير من آيات القرآن الكريم سواء غفل عنها أو أخطأ فى معناها المفسرون القدامى ..

و لنورد لذلك بعض الأمثلة على عجالة دون شرح :-

• قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۗ ﴾^(١) ... يحذر من قول الزور أى من ينطق بالتوحيد دون أن يشهده .

(١) سورة الحج آية : (٣٠).

• وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾^(١)... الله تعالى لا يلهم الفجور ... ولكنه يلهم النفس التفرقة بين الفجور و التقوى.

• كذلك ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾^(٢)... ذلك أنك يوم قيل "ألست بربكم" و أجبت أنت "بلى".. فى ذلك اليوم شاهدت وسمعت أنت منتهى الجمال ومنتهى الكمال ومنتهى الجلال (الأسماء الحسنى والصفات العليا لله تعالى) .

فلما نزلت إلى الأرض وحُجبتَ بجسمك ونفسك فما زالت روحك تبحث عما رآته وسمعته سابقاً فأراد الله أن يُذكر نفسك بما رأيت سابقاً فوضع فى نفسك الحب... الخشية... المهابة... الرحمة إلى آخره وجعلها منك وإليك من المخلوقات التى حولك ليضرب لك المثل ..

فمهما أحببت من المخلوقات: الولد.. الزوجة .. الوالدين.. فهو حب ناقص مؤقت ولكن لله منتهى الحب منك الذى لا يعلو عليه حب لا جمالاً ولا مذاقاً ..

(١) سورة الشمس الآيات : (٧ - ١٠). (٢) سورة النجم آية : (٤٢).

و مهما انتابتك رهبة أو هيبة من مخلوق أيًا كان فإنها هيبة مؤقتة و ناقصة و تزول بزوال المؤثر ..

أما هيبتك من الله فهي منتهى الهيبة فلا تزول ولا تقل.. وهكذا في كل الأحاسيس والعواطف التي وضعها الله في نفسك في الدنيا لتدلك وتشير إلى أن منتهى كل هذا إلى الله سبحانه وتعالى. منتهى كل إحساس منك يكون كماله عند الله تعالى وإليه... فمنتهى الحب ، ومنتهى العظمة هو الله ، ومنتهى الرحمة هو الله ، ومنتهى الخشية ، ومنتهى الهيبة إلى الله تعالى .

• كَذَلِكَ ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) ... كل شيء في الدنيا هالك ووجوده كالسراب .. وذلك قبل الآخرة.. فالموجود الحق هو الله تعالى... والكون ظلال وسراب .

• ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢) ... كيف يقول له و هو لم يخلق بعد !! تدل الآية على وجود سابق للأشياء في علم الله تعالى قبل وجودهم في الدنيا .

(١) سورة القصص آية : (٨٨).

(٢) سورة يس آية : (٨٢).

• ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)...

يمحو في التصور و الوهم والخيال الذى قد يعيش الإنسان فيه... أما قضاءه وقدره فلا تبديل ولا تغيير... رفعت الأقلام وجفت الصحف.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ^ج

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)... يحصى فى إمام
و لم يقل كتاب... و هذا سر عظيم... فالإحصاء و التسجيل يكون
فى الكتب... أما أن تحصى وتسجل فى إمام... أو روح إمام فهذا
اللفظ يستلقت النظر .

• ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ

قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾^(٣) فنَادَها مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ
جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾^(٤) وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ
عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾^(٥) إمرأة فى حالة مخاض و وضع و قطعاً
فى ضعف و وهن تستطيع أن تهز جزع النخلة !!! و هل يستطيع

(٢) سورة يس آية : (١٢).

(١) سورة الرعد آية : (٣٩).

(٣) سورة مريم الآيات : (٢٣ - ٢٥).

الرجال الأشداء هز جزع النخلة !! و هل إذا هُزَّ جزع النخلة
يسقط الرطب أسفلها على من هزها !!!

• ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) ... ليست الوفاة هنا بمعنى الموت فالله يتوفى
الأنفس حين نومه.. و الله تعالى ليس له مكان و لا فى جهة ..
فالرفع هنا بمعنى الترفع والسمو عن الحياة الدنيوية الأرضية
المادية .

• ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ
كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢) ... أهل الاجتباء هم أهل الاختيار والاصطفاء من
الله وهم المحبوبون عند الله .. وأهل الإنابة هم أهل التوبة

(٢) سورة الشورى آية : (١٣).

(١) سورة آل عمران آية : (٥٥).

والعبادة والمجاهدة .. وهم المحبون لله تعالى ..

وكل من الفريقين له سير وسلوك وأدب و صفات غير الآخر .. وسبحان من لا يسأل عما يفعل .

• ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۚ قَالُوا أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَاشْهَدُوا۟ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٨﴾﴾ (١) ...

ثم جاءكم رسول مصدق !!! متى حدث هذا !!! قبل البعثة المحمدية و لاشك ... و متى ينصرونه !!! بعد البعثة و لاشك أيضاً... إذا هذه معايشة كاملة لرسول الله ﷺ مع الأنبياء من قديم قبل البعثة المحمدية وبعدها أيضاً .


﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٢) ...


(٢) سورة التوبة آية : (١٢٨).

(١) سورة آل عمران آية : (٨١).

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ.....﴾^(١)

○ رسولاً من أنفسهم أم رسولاً منهم !!! وما الفرق !!!

• ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَٰ مِنْ فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾  ^(٢).. و هل أقوات البشر إلا ما
أكلوا فأفنوا و لبسوا فأبلوا.. فعلى قدر سعة أمعاء البشر يكون رزقهم
ومقدار طعامهم وشرابهم .

• ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ط قَالَُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾  ^(٣)... لا ماضى
ولا حاضر ولا مستقبل عند الله.

• ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ط وَلَوْ أَرَنَاهُمْ كَثِيرًا لَّفَاشَلْتُمْ
وَلَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ^(٤)...

(٢) سورة فصلت آية : (١٠).

(١) سورة آل عمران آية : (١٦٤).

(٤) سورة الأنفال آية : (٤٣).

(٣) سورة الأعراف آية : (١٧٢).

القدرة الإلهية على النفس البشرية .. لا يريها الله ما هو موجود فعلاً .. ويرىها ما ليس بموجود .

• ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١) ...

لماذا كل هذا العدد للمدد بينما ما زاد عدد الكفار عن الألف !! أم أن هناك أعداء غير مرئيين في هذه الموقعة !!

• ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَّكُمْ ط فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) .

ماذا رأى الشيطان في الغزوة من أشياء لم يرها الكافرون حتى خاف ونكص على عقبيه .

(٢) سورة الأنفال آية : (٤٨) .

(١) سورة آل عمران آية : (١٢٥) .

* ملاحظات على كتاب السيرة النبوية

• كلما قرأت أو سمعت شيئاً من السيرة النبوية العطرة تلح على خواطر و مفاهيم لم أجدها فيمن كتبوا عن السيرة .. و كلما عرضتها على ميزان الشرع أجدها مطابقة تماماً لما في كتاب الله و سنة رسوله ﷺ.

هى إذاً خواطر أو تأملات أو قُلُ قبسات من نورانية رسول الله ﷺ ظلت حبيسة فى صدرى أكثر من عشرين عاماً وإن كان ببعض منها ذكره شعري على استحياء فى الدواوين الخمس الأخيرة إعتباراً من ديوان البريق إلى ألفية محمد ﷺ إلى ديوان محمد الإمام المبين ﷺ و ما بعدهم .. وإليك مثل لذلك...

سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.. يقول كتاب السيرة أنه اهتز و ترعزع و دك دكاً و امتشق سيفه و قال : من قال أن رسول الله قد مات ضربت عنقه .. و ظل هكذا و الصحابة لا يستطيعون مراجعته حتى وصل مولانا و سيدنا أبوبكر الصديق.. فصعد المنبر و كان مما خطب

قوله : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت إلى آخر القصة المعروفة ، يخطئ أصحاب السيرة عمر و يصوبون أبا بكر ..

والأمر في ظني ليس كذلك ..

عمر بن الخطاب لا يسلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخر كما قال عليه السلام .. وأيضاً "عمر بن الخطاب من المحدثين في هذه الأمة " كما قال عليه السلام .. وابن الخطاب ليس بالمهتز ولا بالمتشكك ولا المتزعزع .. غير أن كُتَاب السيرة أرادوا أن يصفوا المصادقية على كتاباتهم فلم يكونوا من الملتزمين الحرفيين في النقل بل لا يمنع أن يزيدوا من عندهم ما يؤكد مصداقياتهم كما حدث في مواقف كثيرة ربما نذكر بعضاً منها .

ابن الخطاب يقول : ما مات رسول الله وأبو بكر يقول : إن محمداً قد مات وما عاتب أبوبكر عمر ولا نهره ولا خطأه وهو الأولى بالتعديل عليه .

عندما يقول عمر أن رسول الله ما مات فقد صدق.. فرسول الله
ورسالة رسول الله وروح رسول الله لا تموت.. وهى باقية إلى يوم
القيامة لا شك.. وإلا لانتهى الإسلام وانتهت الدعوة بانتقال
صاحبها إلى الرفيق الأعلى .

فيأتى أبوبكر ويؤكد قول عمر دون أن يتعرض له بالنفى
أو التأكيد المباشر .. وانظر إلى قوله من كان يعبد محمدًا .. وما قال
رسول الله .. قال محمدًا .. البشر .. الرجل .. الإنسان .. ومن كان يعبد
رب محمدًا الباقي الدائم فهو حى لا يموت.. أفهمت إذًا..

أبوبكر يتحدث عن محمد الإنسان البشرى ويؤكد موته
المكتوب على كل البشر . وعمر يتحدث عن محمد الرسول
الباقي الدائم برسالته إلى يوم الدين .. وما يتعارض قول أبى بكر
مع قول عمر .. ولا اهتز عمر ولا تزلزل .

أفهمت ما أعنى من شخصية وذات رسول الله ﷺ .

وإذا كانت أمنا "الزهراء" عليها رضوان الله وسلامه مرة
تقول: يا أبتاه.. ومرة تنادى يا رسول الله.. أعرفت الفرق بين
الندائين .

ومع البشرية المحمدية .. والرسالة الإلهية .. نجد النبوة
الروحانية التي هي الإعداد الإلهي الذاتي لحمل الرسالة
السماوية..

وفي هذا الشأن لنا كلام طويل ربما يأتي حينه فيما بعد
بإذن الله تعالى ...

* حول نشأة رسول الله ﷺ :-

نحن نقرأ السيرة المشرفة من الكتب و المراجع القديمة التي كتبت في العصور السابقة وننسى أن للسياسة دوراً في هذا المجال ..

فقد كُتبت السيرة النبوية في زمن دولة بني أمية ... ومعروف لدينا اتجاه هذه الدولة ...

• فإن قرأنا في كتب السيرة أن الرسول ﷺ كان فقيراً لابد أن نرفض هذا الوصف المغرض ... فإنه ﷺ سيد ابن أسياد العرب، فقد كانت الزعامة في العرب لقريش ... و الزعامة الدينية والرفادة للحجيج و السقيا لهم في بني عبد المطلب من قريش بينما التجارة و الحرب في بني أمية من قريش .

و قد افتدى عبد المطلب ابنه عبد الله بمائة ناقة ... هل هذا يدل على الفقر و الاحتياج ... و جدّه " هاشم " كان يطعم الحجيج ، و عمه " العباس " يسقى الحجيج دون مقابل

أفمن له الرفادة و السقيا لحجاج العرب يكون فقيراً !!!

أَمَّا أَنْ يَتَوَلَّاهُ جَدُّهُ "عبد المطلب" أو عمه "أبوطالب" بالتربية و الرعاية ، فالعم و الجد و الخال و الجدة يتولون العناية باليتيم من ذويهم فهذا شائع عند الناس حتى وقتنا هذا ..

و ليس معنى هذا أن الصبي كان فقيراً أو معدماً... و قد ضم الرسول ﷺ إليه مولانا الإمام "على" لتربيته أيضاً بعد وفاة أبيه لا من حاجة ولا من قلة ...

أما قول الله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ^(١) ...

فقد كان رسول الله ﷺ يعول كل المؤمنين ، وكفيلهم ، ويسدد ديونهم ، و هو ولى أمرهم فأغناه الله تعالى ليقوم بهذا الواجب ...

و لكن المؤرخين الموالين لبنى أمية أرادوا أن يظهروا هذا تقرباً للحكام ليفخروا هم بنسبهم ...

• والأمر الثانى فى زواجه من أم المؤمنين السيدة "خديجة" عليها رضوان الله ...

(١) سورة الضحى آية : (٨).

فقد كانت سيدة قومها ، وصاحبة تجارة واسعة .. وكان ودها مطلوباً من الجميع فى قريش ... فاختارت هى رسول الله ﷺ ... بعد أن رأت أمانته و صدقه، وأحست وشعرت بروحها أن فيه شأناً كبيراً دون غيره من الخطاب .

وإذا قال المؤرخون أن عمرها عند الزواج كان بين الأربعين والخامسة والأربعين ... بالله عليك فانظر إلى آخر بناتها السيدة "فاطمة الزهراء" !!! وقد تزوجت لعشر سنين تقريباً فى المدينة المنورة للسنة الثانية من الهجرة .. أوقد أنجبت السيدة "خديجة" السيدة "فاطمة الزهراء" رضى الله عنهم جميعا وعمرها قد تجاوز الستين !!!

وما نعلم إلا أن عمرها حين تزوجت رسول الله كان فى الثلاثينات لا تزيد .

• ولقد تعرضنا من قبل لحادثة شرح صدر رسول الله ﷺ ، وإخراج حظ الشيطان من قلبه الشريف ...

وقلنا أن الأنبياء معصومون جميعاً قبل البعثة و بعدها بالقطع ... والسبب فى هذه العصمة الإلهية أن الله قد بعثهم ليكونوا الأسوة والقُدوة للبشر فى أفعالهم وأقوالهم، فإذا كان

احتمال الخطأ منهم قائماً من هوى نفس أو شيطان فلا معنى
للاتباع حينئذ ...

أما العصمة قبل البعثة لأن الناس لو علموا منهم أخطاء قبل
البعثة لما صدقوهم بعدها لسوء سيرتهم ... فضلا أن نبوتهم قديمة
كما قلنا وهى نبوة أرواح قبل خلق الأجساد...

فأين حظ الشيطان فى قلب رسول الله ﷺ !!! وهو الأسوة
والقدوة ليس للناس فقط بل للأنبياء والمرسلين أيضا !!!

و قلنا إننا نفهم منها إخراج حظ الشيطان من رحمة رسول
الله ﷺ ... التى تعم العالمين ... والشيطان من العالمين ... وربك
قضى أن يكفر وأن يكون له دور فى الغواية للبشر ... ورحمة
رسول الله ﷺ عامة شاملة ... فكان لابد وأن يستثنى هذا الإبلis من
هذه الرحمة العامة لرسول الله ﷺ .

• يقول ﷺ: " أننى فيما لم يوحَ إلىّ كأحدكم " رواه
الطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى السنة عن معاذ بسند
حسن ... انظر وافهم ما بين الكلمات ...

إنه ليس كأحدنا فيما يوحى إليه ﷺ ... و هل كان ينقطع
الوحى عنه ليلاً ونهاراً !!!

الوحى فيه القرآن و غير القرآن ... ألم يكن سيدنا جبريل
يناجيه و يجالسه فى غير وقت نزول القرآن !!!

ما أكثر ما تحتوى السيرة على مثل هذا.

* قصة الغرانيق

• زلة كبيرة وقع فيها " ابن حجر " و غيره ممن سار على شاكلته حين أثبت صحة قصة " الغرانيق " ...

و موزها أن كفار مكة اتفقوا مع رسول الله أن يشتركوا جميعاً في عبادة الله و كذلك الأصنام معا !!! يعنى شبه إتفاق نصفى، فيحترم محمد آلهتهم و هم يحترمون رب محمد و أن الرسول ﷺ عندما تلى من سورة النجم ﴿ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى ﴾ (١) ألقى الشيطان فى روعه أن يقول بعدها: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى" !! وسجد المسلمون و سجد معهم المشركون كذلك!!! قصة عجيبة ...

و هذا أمر لا يقبل لا دينياً و لا منطقياً ... فالرسول ﷺ معصوم و لا يستطيع الشيطان أن يداخل الوحى ... و هو المعصوم ﷺ قولاً و فعلاً ... و لولا عصمة الأنبياء جميعاً لشككنا فى رسالاتهم و ما أبلغونا به جميعاً...

(١) سورة النجم آية : (٢٠).

وَإِذَا كَانَ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ... وَإِذَا كَانَ تَلَامَذَتَهُ وَأَصْحَابَهُ مِثْلَ "عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ" يَخَافُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ ... أَلَا يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَخَافَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ !!! بَلْ إِنَّهُ حَتَّى لَا يَتِمَثَّلُ بِهِ فِي الْمَنَامِ وَالرُّؤْيَا ... فَالشَّيْطَانُ ظَلَامٌ ... وَالرَّسُولُ نُورٌ ... وَهُمَا ضِدَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا .

ثُمَّ إِنَّ آيَةَ التِّي اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ هِيَ فِي سُورَةِ الْحَجِّ الْمَدْنِيَّةِ وَالْآيَةُ نَفْسُهَا وَهِيَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ۝ ... (١)

نَزَلَتْ فِي الطَّرِيقِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَجْرَةِ وَلَيْسَتْ مَكَّةَ ... فَالاسْتِدْلَالُ بِهَا خَاطِئٌ لِأَنَّكَ ... وَعَلَى الْعُلَمَاءِ التَّحَقُّقُ مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ .

(١) سُورَةُ الْحَجِّ الْآيَاتُ : (٥٢-٥٣).

أما معنى الآية ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ..... ﴾ هي
بمعنى أن النبي يتمنى أن يؤمن جميع الخلق كلهم رحمة بهم
وحباً لهم ، فينسخ الله من قلبه هذا التمنى الذى يخالف ما قضى
الله به على عباده من إيمان و كفر ... ثم يحكم الله آياته
ليجعل المؤمن مؤمناً و الكافر كافراً و الله أعلم .

وأمر خصوصية رسول الله ﷺ فى بشريته تعدى أيضاً إلى
خصوصية زوجاته أمهات المؤمنين ... فلا يجب النظر إليهن
ودراسة سيرهن كأي امرأة أو زوجة أخرى بشرية ...

و من العيب و العار أن نقول أنهن كن يغرن من بعضهن
و يدبرن المكائد ... و قلوبهن فيها الغيظ و الغيرة هذا لا يليق
بأمهات المؤمنين و زوجات رسول الله ﷺ اللاتى طهرهن
الله تطهيراً .

فالله تعالى يقول: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ
إِنْ أَتَقَيْتِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ
قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١) ...

(١) سورة الأحزاب آية : (٣٢).

ويقول : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ ۖ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ وَأُولَآءُ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١﴾ ﴾ ...

ويقول : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ ...

ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٣﴾ ﴾ ...

رضى الله عنهن جميعا و عن آله و صحبه و ذريته أجمعين .

(٢) سورة الأحزاب آية : (٣٣).

(١) سورة الأحزاب آية : (٦).

(٣) سورة الأحزاب آية : (٥٣).

الباب السادس

❖ جوامع الكلم

فإذا أتيت إلى حديث رسول الله ﷺ ، فقد أوتى جوامع الكلم، ويحتوى حديثه ﷺ على نور محمدى صاف... فحديث رسول الله نور من ذاته الشريفة... المعنى من نور الله والحديث من كلام محمد ﷺ ، فهو مزيج من نور الله ونور ذات الرسول ﷺ.

فرسول الله لا ينطق عن الهوى... ونفسه النبوية تضاهى روحه العلوية... ومِرآة قلبه ﷺ متجهة إلى الله تعالى... وهو لا يرى بنور الله فقط ككافة المؤمنين... وما قيل له لتصنع على عيني كسيدنا موسى... ولكن قال الله له ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^{٤٨} وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ^(١)﴾..

ولك أن تتصور وتتذوق معنى فإنك بأعيننا... فأى رعاية هذه.. وأى عناية إلهية.. وأى قرب من الله تعالى !!

فما ينطق به رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام :-

القرآن الحديث القدسى والحديث النبوى
وليس فى حديث رسول الله حروف زائدة ولا معنى غير مقصود

(١) سورة الطور آية : (٤٨).

لذاته ... ولا أبدا فلتة من فلتات ألسنة الخلق ... فعصمة الأنبياء
واجبة الاعتقاد بها قبل البعثة وبعدها ، فما بالك بسيد الأنبياء !!

لذلك لابد من التدقيق فى معنى الحديث الشريف ، وعدم
الحيود عن المقصود منه وكثير من أحاديث رسول الله ﷺ
تحمل من المعانى الروحية أعلاها وقد لا يدركها إلا أصحاب
الروح العالية و الأدب العالى مع الله ورسوله .

ولنأخذ بعض الأمثلة :-

و تعال معى لندخل هذه الروضة المحمدية المباركة بتمهل
وحرص :-

١ - يقول ﷺ "والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه
تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم" أخرجه مسلم فى صحيحه وأحمد
وأبو داود والترمذى وابن ماجه بسند صحيح عن أبى هريرة .

الأمر هنا بإفشاء السلام فتمعن !! وليس بإلقاء السلام .. كما
تعود الناس .. إفشاء السلام بين المسلمين بالصدق .. والمودة ..
والأمن .. والأمان .. والثقة..... إلخ ..

أن يكون بينك وبينهم سلام و وئام .. فالأمر هنا بإفشاء السلام بكافة الطرق المتاحة لك .. وليس فقط بقول السلام عليكم كما فهم البسطاء ..

٢ - يقول عليه السلام " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " رواه أحمد في مسنده و مسلم في صحيحه والأربعة (أبوداود، الترمذى، النسائى، ابن ماجة) عن أبى سعيد بسند صحيح

و درج المفسرون على شرح الحديث بأن التغيير باليد يكون للسلطان و ولى الأمر .. وباللسان للدعاة وأهل الحِسْبَة .. فإن لم يكن فليستنكر بقلبه أو يدعو الله أن يغير هذا المنكر .. بقلبه !!

فلا أدري من أين جاء الشراح بمعنى يستنكر هذه !!
الحديث فيه أمر بالتغيير وليس الاستنكار .. ومعنى كلام رسول الله أن هناك قدرات ثلاث عند المسلمين .. اليد .. و اللسان .. والقلب .. وما دام رسول الله قد قال هذا فلا شك أن هناك فئة منهم قادرين على التغيير فى قلوب الآخرين .. فيمنعونهم عن هذا المنكر ...

وقول رسول الله ﷺ "وذلك أضعف الإيمان".. فنحن نعلم
أن.. ذلك .. إسم إشارة للبعيد.... وهذا.. إشارة للقريب

فذلك أضعف الإيمان .. إشارة منه ﷺ إلى أن الأبعد في
الأمر الثلاثة وهو فليغيره بيده.. لأن هؤلاء الذين
منحهم الله قوّة في قلوبهم على تغيير الآخرين.. لا شك أنهم
هم الأقوى حتى يغيروا من على بعد دون قوة ولا نصيحة....

وسوف تستجلي هذا المعنى في الحديث القادم لتعرف أن
الله تعالى قد خص أناسا بقوة إيمان في قلوبهم هي أداة
للتغيير..

٣ - يقول ﷺ : " إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس
كل مائة سنة من يحدد لها دينها" وفي رواية " أمر دينها " رواه
أبو داود والحاكم في المستدرک والبيهقي في المعرفة عن أبي
هريرة و صححه السيوطي .

تنبه !! على رأس كل مائة عام .. أترك تستطيع أن تحدد
لنا ثلاثة عشر مجددا لإيمان الأمة !!

إنهم حتى الآن مجهولون .. وإن زعم البعض تعصبا لبعض العلماء أنهم مجددون فما هذا إلا عصبية وادعاء.. لأن قول رسول الله يدل على أن تجديد الإيمان للأمة كلها .. من سمع منهم هذا الإمام أو لم يسمع عنه أو منه ..

ثم تعال معي .. لم تنتشر الطباعة والصحف إلا في القرنين الأخيرين فكيف كان الإمام المجدد في العصور الأولى يجدد الإيمان وليس عنده وسائل نشر ولا إعلام بإذاعة ولا صحف!! ..

لا شك إن مقصود رسول الله ﷺ إن التجديد لا يكون بالأسلوب المادى نقلا وكتابة.. بل إن هناك وسيلة أخرى للتأثير في القلوب بالقلوب والأرواح .. بحيث لا يحتاج المجدد إلى الوسائل الدنيوية.. بل يستطيع بقوة روحانيته وإيمانه.. أن يكون له هذا التأثير فيجدد إيمان الأمة..

إذا أضفت هذا المعنى إلى المعنى السابق لعلمت أن رسول الله ﷺ يؤكد لك أن في الأمة المحمدية من حباه الله بقوة إيمان وروحانية عالية يستطيع بها أن يؤثر ويغير..

ولا تسأل من وكيف !! فنحن نتحدث عن منطقة عالية

من الروحانية وفيها من الأسرار الرحمانية ما لا يدرك بالعقل
الديوى المادى ..

لا تحجر لى عقلك.. وتغلق مفاهيمك بالقوانين الأرضية
المادية.. التى لا تعرف إلا الماء.. والهواء.. والتراب.. ونحن
نتكلم عن الروح .. والفؤاد.. واللب.. والنهى ..

فلهذه قوانين وأحكام ولهؤلاء قوانين وأحكام ..

ورسول الله ﷺ يقول "إن الشيطان يجرى من الإنسان
مجرى الدم" رواه أحمد فى مسنده و البخارى ومسلم وأبو داود
عن أنس ورواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن صفية..
ثم يخاطب ابن الخطاب بقوله "الشيطان يخاف منك يا عمر" .. وفى
الحديث .. "يا عُمَرُ!! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا
غَيْرَ فَجِّكَ" رواه البخارى، ومسلم وأحمد والبيهقى.

وقوله ﷺ "قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس
محدثون، فإن يك فى أمتى أحد منهم فهو عمر بن الخطاب" رواه
أحمد فى مسنده و البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة- ورواه
أحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة بسند صحيح..

هذه كلها على سبيل المثال صفات خاصة لعمر بن الخطاب
وهي تزيد عن عموم المؤمنين.. وهذه الصفات استثناءات من
القواعد العامة.. وقول رسول الله "فإن منهم عمر" دليل على
وجود غيره في الأمة المحمدية..

يدعو رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه "اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل" .. رواه أحمد والحاكم بسند صحيح
على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه أبو شعبة والطبراني "!!..

فقهه في الدين.. وعلمه التأويل!! ماذا يقصد رسول الله ﷺ !!

نحن نعلم أن التأويل معناه ببساطة فهم الأمور
ليس على ظاهرها ولكن حل رموز وإشارات..

وعلى سبيل المثال

عندما يرى فرعون مصر سبع بقرات وسبع سنابل.. إلى آخر
الرؤية المشهورة.. ويسأل المفسرين عنها يقولون : ﴿ قَالُوا أَضْغَتْ

أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿٤٤﴾ .. أى أن للبقرة
معنى تدل عليه.. وللسنابل معنى تدل عليه.. ولالأكل فى هذه
الرؤيا معنى يدل عليها.. ولكننا لا نفهم المقصود من هذه الرموز
فالأمر يحتاج إلى تأويل ..

فعندما يدعورسول الله ﷺ بأن يعلمه الله التأويل ..
يفهم منها القدرة على فهم وفك هذه الرموز والشفرات..
وليس الأمر مقصوراً على الرؤى والمنامات .. ولكنها
عامة بفهم أمثال هذه الرموز ..

وهذه فى ذاتها إشارة من رسول الله ﷺ لأهمية التأويل
وفهم الإشارات .. وأن هناك بعض الأمور تدق على القارئ..
ولا تؤخذ على ظاهر المعنى. فتنبه رحمك الله ..

يقول ﷺ : لأمهات المؤمنين.. قبل انتقاله للرفيق الأعلى.. إن
أسبقهن فى اللحاق به أطولهن يدًا.. فكن يقسن أطوال أذرعهن
ليعرفن من الأسبق لحوقاً برسول الله .. حتى لحقت به ﷺ

(١) سورة يوسف آية : (٤٤).

السيدة زينب بنت جحش .. فأدر كن أن المقصود في رمز
رسول الله بأطولهن يدا !! أى أكرم كن وأكثر كن جوداً وسخاءً ..

والمجال لا يتسع لضرب أمثلة أخرى.. وما أكثرها فى
أقوال رسول الله ﷺ .. وما أكثرها أيضاً فى كتاب الله تعالى ..

ولكن تنبه أيها القارئ !!

فنحن مطالبون بالالتزام بظاهر النصوص ولا نحيد عنها..
ولكن إذا كان هناك أكثر من معنى يراد فلا مانع من استنباط
هذه المعانى ما دامت مطابقة للشرع الحنيف ..

٤ - وإذا كان رسول الله ﷺ يقول "وزنت بالخلق كلهم
فرجحت بهم، ثم وزن أبوبكر فرجح بهم، ثم وزن عمر فرجح
بهم، ثم وزن عثمان فرجح بهم؛ ثم رفع الميزان". رواه الطبرانى
فى الكبير ...

وفى رواية "وزنت بأمتى فوضعت فى كفة وأمتى فى كفة
فرجحت بأمتى، ثم وضع أبو بكر مكانى فرجح بأمتى، ثم وضع عمر
مكانه فرجح ثم وضع عثمان مكانه فرجح بهم؛ ثم رفع الميزان"

صدق رسول الله، رواه ابن عساكر - عن ابن عمر وأبى أمامة.

إذا الإيمان في القلوب والأرواح ليس على درجة واحدة...
بل متفاوت قوة وضعفا... وقد يقوى الإيمان حتى يصير بوزن
إيمان أمة كاملة...

يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ ۝ (١) ..

وعندما طلب عمرو بن العاص المدد من عمر بن الخطاب
بثلاثة آلاف جندي في حصار حصن بابليون بمصر، أرسل ابن
الخطاب له ثلاثة رجال !! منهم المقداد بن عمرو (بن الأسود)
وقال له " الرجل منهم بألف رجل " ...

إذا فابن الخطاب يعلم من رسول الله ﷺ أن الإيمان
يتفاوت في المؤمنين ... حتى ليكون واحد منهم بقوة ألف من
غيره ... أو يزيد ... فتنه !!

(١) سورة النحل الآيات: (١٢٠-١٢١).

انظر إلى اللفات في حديث رسول الله ﷺ ..

ثم يقول عليه الصلاة والسلام ... "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم" رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن ابن عمرو بسند حسن ..

ويكون التجديد بالإكثار من قول لا إله إلا الله " كما في الحديث " جددوا إيمانكم، أكثروا من قول "لا إله إلا الله" رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة...

والعبرة في الدين هي بالإيمان ... وعلى قدر قوة الإيمان يكون نور الروح وصلاح العمل ...

أين نحن من هؤلاء الذين يغيرون المنكر بقلوبهم ... وتراهم يجددون إيمان الأمة وهم جلوس في ديارهم أينما كانت !!!

٥ - وقوله ﷺ : "لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة" قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" رواه مسلم ...

ونحن نعلم أن رحمة الله في الكون هو رسول الله ﷺ ...
ويؤكد قولي هذا قول رسول الله ﷺ " حياتي خير لكم تحدثون
ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم، تعرض على
أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله تعالى وإن رأيت شرا
استغفرت لكم." رواه البزار موصولا من حديث ابن مسعود ورواه
سعيد بن منصور قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح

وهل يرد استغفار رسول الله عليه الصلاة والسلام
للمؤمنين!!! أو ليس هو الشفيع والكفيل والولي للمؤمنين!! في
الدنيا ويوم القيامة!!!

أما قوله ﷺ للسيدة فاطمة الزهراء قال رسول الله ﷺ "
يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله
شيئا، يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من
الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا،
يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا،
يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من
الله شيئا." أخرجه مسلم في كتاب الإيمان - عن عائشة ورواه
البيهقي، والنسائي - عن أبي هريرة ...

فقد صدق رسول الله فهو لا يغنى عن الله ... ولكنه يغنى
بالله تعالى !!! وتنبه للفرق بين المعنيين ...

ألم يقل ﷺ " كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي
وصهري " رواه ابن عساكر عن ابن عمر !!

ألم يقل أن " فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني " رواه
البخاري عن المسور !!

ألم يقل "أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي،
ثم الأقرب فالأقرب من قريش، ثم الأنصار، ثم من آمن بي و
اتبعني من اليمن، ثم من سائر العرب، ثم الأعاجم، ومن أشفع له
أولا أفضل " رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر !!

و الكثير و الكثير من الأحاديث التي ترفع قدر آل بيت رسول
الله ﷺ ... فكيف بأهمهم و بنت رسول الله.

و في هذا الحديث معنى عال في التوحيد ... كيف لا يشفع
لها... و لا يستغفر لها !!! و لا يجبر لها ما انكسر لو كان هناك ما
انكسر!!! حيث يخرج العبد من دائرة الثواب و العقاب ، إلى
مرحلة العبودية لله تعالى و التسليم الخالص و الاعتراف بالعجز

والتقصير الكامل في جنب الله تعالى مهما حسن عمله وقدم لله تعالى فالفضل كله لله تعالى والفعال الحق هو الله ولا فضل للعبد ولا استحقاق له في جزاء بل مقصده الشكر ...

وكذلك نظر العبد ويقينه إلى أن الفعل والعمل من الله تعالى وتوفيقه، فهو الفعال وهو الهادي للإيمان وحسن العبادة... فأى فضل للعبد يستحق عليه الجزاء !!!

٦ - حديث "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رواه البخاري في الأدب و مسلم في صحيحه و أبو داود، الترمذی، النسائي عن أبي هريرة...

تأمل .. لم يقل ﷺ إذا مات المؤمن أو المسلم... بل قال ابن آدم ... وهل رأيت الميت يعمل عملاً!!! ولكنه ﷺ يرى موسى قائماً يصلى في قبره ، ويرى هوداً و صالحاً يحجان البيت الحرام ..

فابن آدم ينقطع عمله بجسده ... أما السائر إلى الله بروحه وقلبه فهو لا ينقطع سيره ... إنما مات الجسد وانتهى كل ما

يتعلق بالجسد ... وبقيت الروح وبقيت النفس والقلب...
وهؤلاء لهم شأن آخر الله أعلم به !!! فالأنفس والأرواح المتعلقة
العارفة بالله فى الدنيا ... لا تتغير بموت جسدها و لا ينقطع سيرها
إلى الله... هذه نفوس وأرواح المؤمنين ...

هذه نقطة ... والنقطة الثانية هى استثناء رسول الله ﷺ الولد
الصالح يدعو للوالد ...

و قياسا على البنية والأبوة المادية ألا ينطبق هذا الاستثناء
على البنية الروحية لمن تبنى مسلما و علمه و أدبه و كان خبيراً
و إماماً له يدلّه إلى الله تعالى !! ألم يقل الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا
كُلَّ آنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ.....﴾^(١).

٧- و حديث "إنَّ من البيان لسحرا" رواه مالك وأحمد فى
مسنده والبخارى فى صحيحه وأبوداود والترمذى عن ابن عمر .

لا يفهم منه بلاغة القول و سحر البيان و أدب المقال بقدر ما
أفهم منه أن تأثير البيان والكلام قد يكون فى المستمع مثل تأثير

(١) سورة الإسراء آية : (٧١).

السحر فى السيطرة عليه ... و هذا كثيرا ما نلاحظه و خصوصا بين المرأة والمرأة و تأثير كل منهما فى الأخرى .

٨ - وقوله ﷺ لسيدنا جبريل عندما سأله عن الساعة فقال "ما المسئول عنها بأعلم من السائل " ... لست أدري لماذا فهم الناس أن كلاهما لا يعرفان موعد الساعة ، بينما التركيب اللغوى يدل على أنهما متساويان فى العلم ، سواء العلم بها أو عدم العلم بها ...

لماذا رجع العلماء المعنى الأول و هو عدم العلم بالساعة...
بينما يقول ﷺ: " بعثت أنا والساعة كهاتين " و أشار بأصبعيه الوسطى و السبابة من أصابعه الشريفة !! رواه البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه

و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) ...

(١) سورة لقمان آية : (٣٤).

وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (١) ...

كل هذا لا ينفي العلم بها لرسول الله ﷺ فإن الله قد يطلع بعض خلقه على ما شاء من غيبه ... والله يمن عليهم بهذا...
فما بالك بسيد الأولين والآخرين !! ثم هو يقول "بعثت أنا و الساعة هكذا" ... فما أدراه بهذا التوقيت!!!

وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ^ع ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ ^ط يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ...

تحصيل حاصل ... فالعلم أصلا عند الله و الأمر بها و بقيامها عند الله أيضا ولا يجليها لوقتها إلا هو ...

(١) سورة الأحزاب آية : (٦٣). (٢) سورة الأعراف آية : (١٨٧).

و جميع الآيات السابقة تثبت العلم بالساعة لله تعالى ولا تنفى
أن الله قد يطلع عليها أحدا من خلقه .

٩ - و يقول ﷺ " ما من محتضر تقرأ عنده سورة يس إلا مات
رياًناً " و فى رواية أبو نعيم - عن أبى الدرداء وأبى ذر معاً " إلا
هون الله عليه " ... و يقول ﷺ: " لقنوا موتاكم " لا إله إلا الله " رواه
أحمد فى مسنده و مسلم و أبوداود، الترمذى، النسائى، ابن ماجه
عن أبى سعيد و رواه مسلم و ابن ماجه عن أبى هريرة ...

و حديث: " اقرأوا على موتاكم يس " رواه أحمد فى مسنده
و أبو داود و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى
المستدرک عن معقل بن يسار بسند حسن ...

انظر الفارق فى التعبير بين المحتضر... و الميت... قراءة
للمحتضر... و قراءة للميت ...

و رغم هذا نرى بعض المفسرين يخلطون بين المعنيين،
و يحرمون قراءة القرآن عند الميت أو للميت بل و يتناولون
فيحرمون تلقين الميت الشهادة عند دفنه ... رغم أن أول ما يصنع

للميت أن يُصلى عليه .. وهل الصلاة عليه إلا صلاة وقرآن و
دعاء وشفاعة من المسلمين له .

١٠ - واقعة غريبة حدثت من رسول الله ﷺ في غزوة
"خيبر" ...

فقد تخلف "أبوذر" رضى الله عنه عن الغزاة.. والجميع
كانوا يتربصون لحاقه بهم ورأى الصحابة غباراً يقترب منهم من
بعد ، فأبلغوا رسول الله ﷺ ... فنظر إليه وقال " كن أبا ذر
"... فلما انقشع الغبار واقترب منهم إذا هو أبو ذر !!

قول عجيب من رسول الله ﷺ ... وهو "كن" أبا ذر ، ولم
يقل لعله أو أرجو أن يكون بل حسم جازم منه ﷺ ... بكونه
أبا ذر رضى الله عنه .

ولا تعليق على هذا الأمر .

١١ - تحدث الرسول ﷺ ... عن "مهدي آخر الزمان" ...
فيصفه قائلاً " يوافق اسمه إسمي " لا تذهب الدنيا ولا تنقضى
حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ". رواه

أحمد، وأبو داود، والترمذى - عن ابن مسعود وقال حسن صحيح. وسعيد ابن منصور.. وفى رواية: "المهدى من أهل بيتى يواطئ اسمه إسمى" رواه أبو داود عن ابن مسعود ...

ولم يقل يطابق اسمه إسمى ... ورغم هذا فهم الناس أن اسمه سيكون محمدا بن عبد الله والفرق واضح بين المطابقة و الموافقة... فالمطابقة تكون فى الحروف فيكون اسمه محمدا بالضرورة.... أما الموافقة فتكون فى المعنى والصفة... فيمكن أن يكون الإسم موافقا لأى إسم أو صفة من أسماء وصفات رسول الله كمصطفى و ممدوح و عبد الله.... إلخ.

١٢ - قوله ﷺ "من رآنى فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزيا بى" الحديث صحيح رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم عن أبى قتادة ... أو "من رآنى فى المنام فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتشبه بى". رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة. ...

وإذا جمعنا هذا الحديث إلى حديثى "إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء". رواه أحمد ، وأبو داود وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم فى المستدرک - عن أوس بن أوس وحديث " الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون "

رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس بسند حسن ...

و كذلك حديث " حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم،
فإذا أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم، تعرض على أعمالكم فإن
رأيت خيرا حمدت الله تعالى وإن رأيت شرا استغفرت لكم."
رواه البزار وسعيد بن منصور من حديث ابن مسعود قال الهيثمى:
ورجاله رجال الصحيح

فإذا جمعت هذه الأحاديث كلها إلى بعضها البعض لاختلط
عليك الأمر فى المعانى بين حياة الأنبياء وموتهم ... وتكاد لا تجد
فرقا عندهم بين الحياة و الموت غير أن قوانين المادة لا
تنطبق عليهم ... و ليست شروطا لحياتهم بعد الموت ... و من تراه
منهم فى رؤياك هو صورة حقيقية روحية لذات الرسول نفسه...
فهى رؤية حقيقية ...

• قد آن لنا ان نعرف أن ما جمعه البخارى و مسلم لا يزيد
عن عشرة آلاف و بضعة عشر ألف حديثا ... وإذا حذفت المكرر
منها فربما يصل العدد إلى سبعة آلاف حديث لا غير أو لعله أقل

وجزى الله المحققين وعلماء الجرح والتعديل كل الخير على

ما بذلوه فى هذا العلم العظيم فى الحفاظ على أحاديث رسول الله.

ولكننا نعلم أن هناك من كان يحفظ ألف ألف حديث مثل ابن حنبل ، ومنهم من حفظ أربعمئة ألف حديث... ويلقب "أمير المؤمنين" فى الحديث ، أما درجة "الحافظ" فلا بد أن يحفظ مائة ألف حديث .

فأين هذه الثروات الثمينة وهل من الصحيح أن نحبس أنفسنا و علمنا على ما ذكره الشيخان فقط فى كتابهما وعلى شروطهما فى الصحة و الحسن فقط !!

وقد يكون الحديث الضعيف أو المنقطع السند ... مقصود من رسول الله ﷺ ألا يتناوله العامة من المسلمين... بل هو لفئة معينة يعينها رسول الله عليه وسلم ... فلم ينتشر و لم يذع الحديث، ولكن هو يصح عن الرسول ﷺ... وربما نحتاج إليه فى ظروف حياتنا المتغيرة عما كانت أيام الصحابة رضى الله عنهم .

١٣ - وقوله ﷺ "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة". رواه البخارى

عن أبي هريرة... وفي رواية : " ذهبت النبوة فلا نبوة بعد إلا
المبشرات؛ قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل
أو ترى له". رواه الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد ...

هذا القول يفتح الباب على مصراعيه للتعامل مع الناحية
الروحية والنفسية للمسلم ...

و هذه الرؤى تقرب إليك معانى عالم الملكوت .. وتنقلك
من قوانين المادة تمامًا .. و تشير إليك و إلى روحك بوجود هذا
العالم الآخر فى حياتك دون أن تتنبه إليه و أنت يقظان...

ثم الرؤى عادة لها رموز تحتاج إلى تأويلات لا يدركها كل
الناس فرسول الله ﷺ بقوله هذا يفتح لك هذا الجانب من
حياتك و يقرب إلى ذهنك معانى و مفاهيم عالم الملكوت و ما فيه
من قوانين تغاير قوانين ما تعيشه على الأرض .

١٤- قوله ﷺ "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن:
يكف عليه ضيعته، وبحوطه من ورائه" رواه البخارى فى الأدب وأبو
داود عن أبى هريرة وفى رواية " المؤمن مرآة المؤمن" رواه
الطبرانى فى الأوسط و الضياء عن أنس..

• هذا القول له معانٍ خفية كثيرة ... ولا تنس أن من أسماء الله تعالى المؤمن ... كما أن المؤمن الكامل الإيمان من البشر كلهم هو محمد رسول الله ﷺ.

فإن فهمت الحديث على ظاهره مستندا إلى الرواية الثانية للحديث وهي " المؤمن مرآة أخيه المؤمن " رواه العسكرى في الأمثال عن أبي هريرة.....

فالأمر حسن ... أما إذا تمعنت فيه جيدا فستظهر لك معان كثيرة عالية .

١٥- و قوله ﷺ " مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " أخرجه أحمد و البخارى فى الأدب عن النعمان بن بشير ... يشير إشارة لطيفة إليه رسول الله ﷺ ... فمن تظن قلب هذا الجسد الواحد لكل المؤمنين إلا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ !!!

• وقوله ﷺ " ما من مؤمن يشاك شوكة إلا وجدت مثليها عندي " ... يؤكد هذا المعنى .. و يفتح لك آفاقاً كثيرة لمعرفة

طبيعة العلاقة بينك وبين رسول الله ﷺ.

١٦- قول عجيب لرسول الله ﷺ حيث يقول "ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبوبكر وعمر". أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب وقال: حديث حسن غريب ورواه سعيد ابن منصور كلاهما عن أبى سعيد...

ونحن نعرف واجبات الوزير ومعنى الوزارة فى تلك الأيام التى هى بمثابة رئيس الوزراء اليوم.. فإن كانت شئون الأرض يدبرها رسول الله ﷺ بوزيريه أبى بكر وعمر.... فماذا له فى السماء حيث يقوم جبريل وميكائيل بالوزارة لحضرتة!!!

سؤال نتوقف عنده الآن!!!!

١٧ - حديث كم عمرك يا جبريل :-

روى ابن الجوزى فى كتاب (مولد العروس) بسنده عن أبى هريرة قال : سأل النبى ﷺ فقال : " يا جبريل كم عمّرت من السنين ؟ ، فقال : يا رسول الله لا أعلم ، غير أن فى الحجاب

الرابع نجما يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة ، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة ، فقال النبى ﷺ : وعزة ربى أنا ذلك الكوكب".
(عن كتاب "مولد العروس" للإمام ابن الجوزى الفقيه الحنبلى والذى له مؤلفات فى التاريخ والحديث والمدائح النبوية) .

هذا الحديث عجيب معناه ... وسواء كان حسنا أو ضعيفا فلا يهمنا ذلك فهذه المعلومة ليست من المعلوم من الدين بالضرورة فسواء صدقها أم لم يصدقها من يعرفها فلا يحاسب ولا يعاتب ...

ولكن اهتمامنا بالضرورة به وبالنسبة لى شخصا ... فإنى دارس لعلم الأرض وطبقاتها الذى يسمونها بعلم الجيولوجيا .. ويذكر العلماء فى هذا العلم بأن عمر الأرض الافتراضى وكذلك المجموعة الشمسية الواقعة فيها هو خمسة آلاف مليون عام (٥٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) ... وهذه المعلومات تستكشف وتدرس بالأجهزة العلمية الحديثة وليس فيها افتراضات ولا نظريات .. فهذه حقيقة علمية أثبتها العلماء ولا تقبل الشك أو النقاش .

وما يلفت نظرى بحكم تخصصى العلمى هو الربط بين هذه الحقيقة واحتمالات معنى هذا الحديث بالذات ..

ذلك أنك لو ضربت الأرقام التى ذكرها سيدنا جبريل عن

دورة طلوع هذا النجم .. وكذلك عدد مرات رؤية سيدنا جبريل
له لوجدت الآتى:-

النجم يظهر كل سبعين ألف عام (٧٠,٠٠٠) ورآه سيدنا
جبريل (٧٢,٠٠٠) وحاصل الضرب يعطيك الرقم (٥,٠٤٠,٠٠٠,٠٠٠).

والعجيب أنه نفس الرقم المذكور عن عمر الأرض في
الجيولوجيا ... والفرق هو (٤٠ مليون) عام لا يمثل نسبة خطأ كبيرة
في الحسابات ... حيث وعلى خجل ... نتساءل أهنالك أى ارتباط
بين عمر الأرض و المجموعة الشمسية !!! وبين عمر هذا النجم
المبارك !! الله ورسوله أعلم ... فقط مجرد لفت نظر .

١٨ - يوم عرفة هو يوم محمد ﷺ :-

قال ﷺ " إن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة فلا يدع
أحدًا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له " رواه الديلمي
عن ابن عمر .

قال ﷺ : " ما من يوم أكثر من يعتق الله فيه عبداً أو أمة
من النار من يوم عرفة ، وإنه لا يدنو ثم يباهى بهم الملائكة

فيقول : ماذا أراد هؤلاء " رواه مسلم و النسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها .

قال عليه السلام : " كان أكثر دعائه يوم عرفة : لا إله إلا الله ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير " رواه أحمد في مسنده عن ابن عمرو بسند حسن .

قال عليه السلام : " خير الدعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " رواه الترمذي عن ابن عمرو و قال : حديث غريب .

قال عليه السلام : " صيام يوم عرفة كصيام ألف يوم " رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة بسند ضعيف .

قال عليه السلام : " ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر وأدحر ولا أغبط ولا أحقر منه يوم عرفة ، وما ذلك إلا مما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر رأى جبريل يزعم الملائكة " رواه البيهقي في الشعب ومالك في

الموطأ و قال هذا مرسل و قد وصله الحاكم فى المستدرک عن
أبى الدرداء .

وذكر الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول : عن عباس بن
مرداس فى حديث طويل له عن يوم عرفة جاء فى آخره "فتبسم
رسول الله ﷺ ، ف قيل له : تبسمت يا رسول الله فى ساعة لم تكن
تبسم فيها ؟ فقال : تبسمت من عدو الله إبليس أنه لما علم أن
الله قد أستجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور و يحثو
التراب على رأسه و يفر " .

كل هذه الأحاديث هى فى فضل يوم عرفة ... و هذا أمر
يستلفت النظر ... فليس هناك دعاء خاص ولا نسك معين للوقوف
بعرفة ... الأمر لا يزيد عن أن تقف محرماً لا غير... قاعدا قائماً
أو حتى نائماً ... المهم أن يسجل اسمك فيمن حضر هذا المشهد
العظيم، يوم الجائزة الكبرى من الله تعالى، .. والرحمة
الدايقة، والمغفرة الواسعة للحاج ولمن دعا له الحاج.

وعلى قدر عظمة هذا اليوم المبارك الذى تصب فيه الرحمات
صبا .. على قدر ما يرى الشيطان خاسئاً حسيراً منكساً رأسه يجرى فى
هلع وفزع نادماً منكساً حزيناً كما لم يكن فى يوم من قبل ...

• ونتساءل لماذا !! هذا الحزن والانكسار فى هذا اليوم

بالذات !!!

تنبه رحمك الله إلى أمر بسيط ... هل يقف على "عرفة" إلا
من آمن بمحمد !! أيقف عليه مسيحى أو يهودى أو أى أتباع لأى
دين غير دين محمد !!

إِذَا هم أتباع محمد ﷺ فقط... بذنوبهم وآثامهم وتقصيرهم...
يقفون هذا الموقف راجين عفو الله عنهم... والله سبحانه وتعالى
ينزل عليهم رحماته ومغفرته بلا كيل ولا ميزان.

وهذا الإكرام هو فقط لأتباع محمد ﷺ ... من وفى منهم
ومن قصر ... من أحسن منهم ومن أساء ... مجرد انتمائه إلى
رسول الله محمد ... يجعل له نصيباً من هذا الإكرام .

إِذَا هذا اليوم هو يوم إكرام الله لمحمد ﷺ فى أتباعه ...
تعظيماً لرسول الله وحباً من الله إلى رسول الله وأتباع رسول
الله... وإن قصرُوا ... وإن أساءوا .

يوم محمد ﷺ فى السماء والأرض وكل الأكوان.

• ولأن محمداً ﷺ هو مشكاة النور الإلهي في الأكوان...
وتكريم الله تعالى هي إظهار وخصوصية لهذا النور... لذلك من
البدهي... أن يكون هذا هزيمة منكرة وضربة قاضية لعدو النور
وهو ظلام إبليس .

إذاً أليس هذا هو يوم محمد!! و يوم احتفال السماء والأرض
بنور محمد و أتباع محمد !!

و الطريف الخفي في هذا اليوم أن رسول الله ﷺ يكثر
من توحيد الله وتمجيده و تقديسه أكثر من الدعاء إلى الله تعالى
فيقول " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد،
يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير" ...

كعادة رسول الله ﷺ... ينكر ذاته ويتواضع لله تعالى
ويقدسه ويمجده فيرد إليه الحمد والثناء والعظمة والكبرياء
على إكرامه تعالى له ولأتباعه .

وأرى أن الحضيف من المؤمنين الواقفين بعرفة هو من يزيد و
يكثر بعد التوحيد في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي في
الحقيقة أن هذا اليوم هو تكريم من الله له ولذاته المباركة .

• ولفته لطيفة هنا ... تلك أن أرض عرفة من الحل خارج حدود الحرم ... فحدود الحرم هي مكة ومنى ومزدلفة ... وكأن الله تعالى يدعو عباده إلى خارج حدود الحرم ليقفوا هذا الموقف العظيم ... وينزل عليهم رحماته وغفرانه ويزيل آثامهم وذنوبهم بعيدا عن الأرض الحرام ... ثم يدخلهم إلى الحرم طاهرين مطهرين بفضل الله تعالى .

• و نقطة أخرى ...

ليس الأمر قاصراً على موقف عرفة ... ولكن إكرام الله لرسوله ولأتباع رسوله المسلمين لا ينتهى ... حتى يتمنى موسى عليه السلام أن يكون من أتباع محمد ... وعيسى عليه السلام يصلى خلف إمام من أمة محمد وإبراهيم عليه السلام يقول "وأنا من المسلمين" ...

فليلة القدر مثلاً والتي هي خير من ألف شهر ... هي إنعام من الله تعالى لمحمد وحزبه وقد عرفت أن رسول الله ﷺ شكاه إلى الله قصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الأمم الأخرى ... وبالتالي قلة أعمال الخير عندهم مقارنة بغيرهم ... فأكرمهم الله وشرح صدره "بليلة القدر" والتي هي خير من ألف شهر تعادل أكثر من الثمانين عاماً . وهي هدية لأمة محمد ﷺ .

وكذلك شهر رمضان "أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار"... كما ورد في الحديث الذي رواه ابن النجار وابن خزيمة والبيهقي في الشعب والأصبهاني في الترغيب عن سلمان. هذه الهدايا والمنح الإلهية المتميزة في شهر رمضان الذي هو خاص بأمة محمد ﷺ..

ثم ما بالك بشفاعته رسول الله ﷺ للمسلمين!!

أليست هي إكراماً من الله تعالى لرسوله الحبيب وأتباع رسوله الحبيب فأكرمه الله تعالى أن من عليه بالشفاعة لأمته حتى يرضى رسول الله ﷺ... وهل يرضى واحد من أمته في النار وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم!!

صلى الله عليك وسلم وبارك يا سيدى يا رسول الله وحبيبه وصفيه من خلقه وعلى آلك وصحبك أجمعين .

١٩ - إن الله عنده علم الساعة :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۚ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۚ وَمَا

تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴿١﴾ يقول المفسرون أن الله سبحانه و تعالى قد اختص لنفسه العلم بهذه الأشياء الخفية و إنى لا أرى هذا الاختصاص كما يرون..

الآية فى نظرى تقديرية ... فهى تثبت وتوضح أن هذه الأشياء الخفية علمها عند الله ... ولكن لا تميزها عن غيرها من علم الله تعالى... الذى قد يكرم به بعضاً من عباده لحكمة هو يعلمها سبحانه ... فلا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ .. ﴿٢﴾ .. ولا يمنع سياق الآية مفهوم أن الله قد يطلع بعض عباده على ما شاء منها ...

وقد صادفنا فى حياتنا الكثير من هذه المظاهر و معرفة بعض الخلق لها ... و أمثلة كثيرة لمن يطلعه الله على موعد أو مكان موته ... و هذا أمر لا ينكر ... و ليس صدفة كما يدعى المستعلمون ...

أولاً : الله تعالى حدد فى الآية الشريفة عدم معرفة الناس

(٢) سورة الجن الآيات: (٢٦-٢٧).

(١) سورة لقمان آية : (٣٤).

(٣) سورة لقمان آية : (٣٤).

بماذا تكسب غدا ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾^(١)
وتنبه إلى حكمة النفس هنا .. فالجهل إذا للنفس البشرية
وقدراتها... ولكن ما الوضع بالنسبة لهؤلاء الذين تطلع أرواحهم
وليست نفوسهم على هذه العلوم فيدركونها بطريقة أو بأخرى !!!

نعم النفس لا تدرى ... ولكن من يعامل الله بروحه وشفت
وارتقت نفسه ولازمت الروح قد تطلع على بعض معارفها وفيها
هذه المعلومات ... فيدرك المخلوق موعد أو مكان موته كما نسمع
ونرى في كثير من المواقف ...

ولا تعارض أبدا مع معنى هذه الآية الكريمة

ثانيا : تقدير من الله تعالى بأن عنده علم الساعة ... وهذا
كلنا نؤمن به ... ولا يجليها لوقتها إلا هو ... فهو سبحانه صاحب
القدرة والأمر عليها وعلى غيرها .

حتى الآية الكريمة التي تقول : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ

(١) سورة لقمان آية : (٣٤).

قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾ أيضا بيان تقديرى لا يدل على الاختصاص ... ولا مانع من أن يطلع الله تعالى على وقتها من يشاء من عبادِه لحكمة هو سبحانه يعلمها... وهذا يذكرنا بالآية الشريفة القاطعة المعنى والدلالة فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢) ..

و رغم قطعية الدلالة فى الآية المذكورة إلا إنه سبحانه وتعالى ذكر فى آيات أخرى بعض الاستثناءات لبعض خلق الله وبأمر ومشيئة الله سبحانه ...

• و عندما سأل سيدنا جبريل رسول الله ﷺ متى الساعة فى الحديث المعروف... وجدنا رد رسول الله ﷺ ليس فيه القطعية فى الرد ..

فكان الرد المتوقع القاطع " لا يعلمها إلا الله تعالى وحده!!" أما قول رسول الله ﷺ " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " ... فهو رد ليس بالقطعى ...

(٢) سورة النمل آية : (٦٥).

(١) سورة الأحزاب الآية : (٦٣).

لأنه فى نظرى يحتمل معنيين ...

- إما أن السائل والمسئول معا لا يعرفان موعدها ..

- وإما أن السائل والمسئول معا أيضا يعرفان موعدها !!

ونجيب بطريقة أخرى ... ولم تسألنى عنها وأنت تعرف ما
أعرف عنها ...

وإن كان المفسرون يأخذون معنى عدم المعرفة عنها وأنت
تعرف ما أعرف عنها ...

وإن كان المفسرون يأخذون معنى عدم المعرفة عنها ... إلا
أنى أميل إلى المعنى الثانى ... فهو إنى وإنك نعرف موعدها!!!

فإن عجبت معنا من هذا فسأذكر لك حديثا طويلا صحيحا حسنا
ذكره الشيخان البخارى ومسلم معا ... وفيه أن رسول الله ﷺ قد أبان
وذكر للصحابه الأحداث التى تحدث فى الدنيا إلى قيام الساعة !!! فهو
إذا ﷺ لا يعرف موعدها !!!

سأذكر لك الحديث وأترك لعقلك ومذاقك أن تستجلى
معانيه والله فى عونك .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : لقد خطبنا ﷺ خطبة ، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله ، أن كنت لأرى الشيء قد نسيته ، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه . رواه البخارى ومسلم .

عن عمر رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق .

عن حذيفة بن اليمان قال : أنا أعلم الناس بكل فتنة هى كائنة إلى يوم القيامة وما بى أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إلى فى ذلك شيئاً لم يحدث به غيرى ولكن رسول الله ﷺ حدث مجلساً أتاهم فيه عن الفتن التى تكون ، منها صغار ومنها كبار ، فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى . (رواه أحمد و نعيم و الرويانى و سنده حسن) .

٢٠ - الشفاعة و البركة و الوسيلة :

هذه كلها مرادفات لمعانٍ واحدة ... حالة من الرجاء لك فى أمر ما فتطلب الشفاعة و البركة و الوسيلة بمن ترى أنه يساعدك

على قضاء مصالحك ... هذا المعنى المختصر العادى ولن ندخل
فى ترهات لغوية ولا فلسفات جدلية ... ونحن لا نريد أن ننقل
كلما مكتوبا فى الكتب ولا منقولا عن أحد .

اللَّه تعالى عنده شفاعة بنص القرآن ويقبلها ممن ولمن
يرتضى من خلقه سبحانه وتعالى... ﴿... مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ
إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾^(١) ...


وقول رسول الله ﷺ أن الشهيد يشفع لسبعين من أهل بيته،
والعلماء يشفعون أيضا ... وهكذا .

هذا فضلا عن شفاعة رسول الله ﷺ العظمى ... وهى منها ما هو
فى الدنيا أيضا ثم الأعظم ما هى يوم القيامة .

• تعجب من قولى !! أسألك سؤالا أليس استغفار رسول
الله ﷺ لك و للأمة الآن فى حياته و بعد انتقاله للرفيق الأعلى هو
بمثابة الشفاعة لنا عند الله تعالى !!!

(١) سورة البقرة آية الكرسى .

و العجيب أن أول عمل نفعله للميت من المسلمين هو أن
نصلى عليه ... و هل الصلاة على الميت إلا شفاعة له من عموم
المسلمين !!

• ثم تعال معى لتقرأ فى كتاب الله قول سيدنا يوسف
﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾  ^(١) ... يا سبحان الله ... أليست هذه
بركة و تبركا بقميص يوسف الذى هو أصلا قميص سيدنا
إبراهيم عليه السلام ... ويرسله سيدنا يوسف إلى من !!! إلى أبيه
النبي الكريم ... ليكون له بركة وشفاء.

واقرا أيضا قول السيد المسيح فى القرآن الكريم حيث يقول:
﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ ^(٢).

تنبه للمعانى ... بركة تكون حيث يكون السيد المسيح ... هذا
قول القرآن الكريم ... كذلك يذكر الله تعالى فى سورة مريم كيف
أن سيدنا زكريا عليه السلام عندما وجد رزق الله عند مريم من الله

(٢) سورة مريم آية : (٣١).

(١) سورة يوسف آية : (٩٣).

تعالى وأدرك أنها مباركة طيبة يقول تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا
 زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ
 الدُّعَاءِ ۖ ﴾ (١)....

هنالك ظرف زمان و مكان ... فى محراب السيدة مريم عليها
 السلام و عندما وجد رزق الله و البركة عندها ... و هو من !!! نبي
 كريم... يتبارك بمريم ابنة عمران و يدعو الله فى محرابها...
 ويستجيب الله لدعائه... كما رد بصر يعقوب عليه ببركة قميص
 يوسف.

كذلك يذكر القرآن الكريم أن بنى إسرائيل كانوا لا يقاتلون
 إلا إذا جاءهم التابوت فيه سكينه من ربهم وبقية مما ترك آل
 موسى و هارون تحمله الملائكة ... أنظر آثار من "عصا موسى"
 وبقية من "عمامة هارون" كما قيل تحمله الملائكة... تكريماً لهذه
 الآثار ... وينصر بنى إسرائيل بوجوده بينهم !!!

أليست هذه كلها بركات و شفاعات لله سبحانه و تعالى .

(1) سورة آل عمران آية : (٣٨).

أفى هذا شرك بالله جل وعلا !!! أم هو توسل ورجاء إلى
الله العظيم بهؤلاء العباد الكرام الصالحين لقربهم من الله
تعالى... وليس استغناء عن الله تعالى ..

• وهنا نأتى إلى أقوال المعارضين الذين خانهم التوفيق فى
استدلالاتهم على تحريم التوسل و التبرك .

الآيات التى يستدلون بها منها :

﴿..... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.....﴾^(١)...

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ^ط

فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢)...

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٣)...

أولا : - كل هذه الآيات نزلت فى المشركين والكفار عبدة

(٢) سورة الأعراف آية : (١٩٤).

(١) سورة الزمر آية : (٣٩).

(٣) سورة الجن آية : (١٨).

الأوثان ... وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك التابعون على عدم جواز الاستدلال بالآيات التي نزلت في الكفار على ما يفعله المسلمون ... وهكذا قال بن عباس رضي الله عنه .

ثانيا : - أنظر إلى نص الآيات ... يدعون من دون الله... أفهم ليس يدعون بالله أو لله... وكذلك ما نعبدهم إلا ليقربونا... أنظر إلى نعبدهم .

فالكفار كانوا يعبدون من دون الله ... و يدعون من دون الله... و يندرون لغير الله ... هذا أمر و ما يقوم به المسلمون شيء آخر، فالمسلم يدعو بالله ، وليس من دون الله ، و لا يعبد إلا الله ، و لا ينذر إلا لله تعالى ، أما من يتوسل إلى الله بهم فهذه ليست عبادة ... و أن يدعو الله بهم فليس استغناء عن الله سبحانه ... ولكن توسلا ببركتهم وقربهم من الله تعالى .

فالمسلم في جميع أحواله لا يدعو إلا الله ، ولا يرجو إلا الله ، ولا ينذر إلا لله ... حتى وإن سبق لسانه فنذر لخلق من خلق الله فهذه زلة لسان و هو بنيته و قصده ليست إلا أن النذر لله وحده ... وتحديد المكان والزمان هو عند فلان أو فلانة من خلق الله ، فالنذر لله ... و دعاؤه لله و بالله ... و عبادته لله وحده .

المسلم يا عباد الله لا يدعو مع الله أحداً أبداً أبداً... ولكنه يدعو بالله تعالى و ليس مع الله ... فرق كبير لمن يفهم .

و فرق كبير بين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى و بين ما نحبههم إلا ليقربونا إلى الله... باب الحب غير باب العبادة ... العبادة فيها شرك ... والحب فيه توسل و رجاء فافهم...

والقول الكريم ﴿.... فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا....﴾^(١) نعم لا تدع مع الله سبحانه أى لا تجعل لله ندا ولا شريك... وليس فيها منع من الدعاء بالله تعالى.

• و قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(٢) ... فصدق الله وصدق رسوله ﷺ ... الله قريب من عباده ... فهو الذى يحييهم و يميتهم و يرزقهم و يشفيهم... ومن غيره سبحانه!!

ولكن العبد يكون قربه وبعده عن الله بمقدار أفعاله من حسنات وسيئات ... ﴿..... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) ... كما

(٢) سورة البقرة آية : (١٨٦).

(١) سورة الجن آية : (١٨).

(٣) سورة الأعراف آية : (٥٦).

قال الله تعالى ... والذنوب والعياذ بالله تبعد الإنسان عن ربه
وتكون حائلا بينه وبين استجابة الدعاء .

فالناس درجات عند الله في قربهم وبعدهم ... وليس الله
بعيدا عنهم فافهم الفارق بين المعنيين ... فهو أقرب إليك من حبل
الوريد ... فكيف يكون بعيدا عنك !!! إنما القرب والبعد منك أنت
بطاعتك وذنوبك ...

يقول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (١) ... ويرد عليهم أبوهم ويقول ﴿ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ... وما نهاهم ولا قال
لهم استغفروا الله أنتم بأنفسكم فالله ليس ببعيد
ولا ينفع استغفاري لكم !!

هذه الاعتراضات على التوسل والتبرك والشفاعة والوسيلة
يرددها الجاهل المستعلمون ... الذين لا يفرقون بين دقائق التعبير...

(1) سورة يوسف آية : (٩٧).

(٢) سورة يوسف آية : (٩٨).

• ولنا فى أفعال الصحابة أيضا مثل لهذا ..

عمر بن الخطاب يستسقى ... وليس برسول الله بل بعم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين .

لا أدري كيف فهم الناس هذا الحدث !!! ويقولون أنها دليل
على عدم جواز التوسل بالأموات !!!!!!!

هذا الكلام العجيب العارى من الأدب والإيمان ...

أمات رسول الله كما يموت كل بشرى !!! يُحَسَبُ رسول
الله ﷺ فى الأموات !!

أهذا هو الأدب مع رسول الله الذى يقول عن عبد الله بن
مسعود عن النبى ﷺ قال: "حياتى خير لكم تحدثون ويحدث
لكم، ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير
حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم" !! . رواه
البزار ورجاله رجال الصحيح. وابن سعد عن بكر بن عبد الله
مرسلاً.

رسول الله يرى سيدنا موسى قائماً يصلى فى قبره !!

رسول الله يرى صالح وهود يحجان البيت الحرام على
حمارين أشهبين !!

أما فى نظرهم واعتقادهم أن رسولنا بالذات لا يصل إلى
هذه الدرجة !!!!!

أهذا إيمانهم واعتقادهم فى إمام الرسل وسيد الخلق
أجمعين !!!!!

يقول الله تعالى أن الشهداء أحياء عند ربهم ويرزقون أيضاً...
ورسول الله ميت مثل عامة البشر !!! نبي الله ورسول الله وحبیب الله
وإمام الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم لم يصل عندهم إلى مرتبة
الشهداء!! هذا كلام ناقص العلم والإيمان المخلّطين فى المعانى
فيفهمون الآيات والأحاديث على أهواءهم وعمى بصائرهم...

ونحن نقول أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه إنما أراد
أن يظهر للمسلمين فضل ودرجة آل بيت رسول الله ﷺ... فلم
يستسق برسول الله لأن هذا أمر مقدر ومنتهى فى حياة رسول الله فلا

يحتاج إلى تعليم أو تأكيد... ولكن استسقاؤه بالعباس وآل البيت ليؤكد للمسلمين مشروعية التوسل والاستسقاء وما شابه ذلك بآل بيت رسول الله ﷺ ... ورضى الله عن ابن عمر الذي كان يقبل يدي ابن عباس ويقول هكذا أمرنا رسول الله أن نفعل بآل البيت ...

• أما المعارضون على هذه المفاهيم و الزاعمين أنهم دعاة التوحيد فإنهم قد استقوا مفاهيمهم من أعداء الإسلام المستترين الذين يتزينون بلباس الحرص على الإسلام والتوحيد الخالص هدمًا مخفياً للإيمان الحق والدين القويم ... ويفتنون بعض مغروري علماء المسلمين باسم التجديد والعقلانية في الدين ويدعمونهم أيضاً بأساليب الإغراء المادى والمعنوى ... لنشر و ترديد كلامهم...

فالمرددون لمثل هذه الاعتراضات صنفان ... الأول جاهل مستعلم ونيته وحسابه عند الله ... والثانى مغرض آثم اشترى دنياه بآخرته ليتبوأ منصباً أو مقاماً أو دنياً عند من بيده هذه الأمور ولا يقصد أبداً وجه الله .

ولتأكد من قولى هذا ... فانظر إلى هؤلاء الزاعمين أنهم دعاة التوحيد تجد فيهم جميعا على كافة طوائفهم الشدة والغلظة وكثرة السباب لمن يخالفهم بل قد يكفرونهم أيضا وهذه ليست

صفات الداعين بالحق إلى الله تعالى .

اللَّهُمَّ إِنِّي أBRُأُ إِلَيْكَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمُ الْمَرِيضَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ الْفَقِيرُ إِلَيْكَ الْمَقْصِرُ لَدَيْكَ الْجَاهِلُ بِقُدْرِكَ الْعَظِيمِ مَهْمَا عَبْدَتَكَ وَسَجَدْتَ وَرَكَعْتَ لَكَ فَأَسْتَثْفَعُ إِلَيْكَ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَظَمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ وَبِكَ مِنْكَ سُبْحَانَكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .

وَأَسْتَثْفَعُ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِجَاهِ وَبِرَكَّةِ رَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ وَنَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَأَنْبِيَائِكَ ، وَرَسُلِكَ ، وَآلِ الْبَيْتِ الْمَكْرُمِينَ ، وَكُلِّ صَالِحٍ مِنْ خَلْقِكَ تَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ بِإِذْنِكَ وَكَرَمِكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ وَالْأَمْرُ كُلَّهُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ يَا رَفِيعَ الشَّانِ يَا عَظِيمَ السُّلْطَانِ .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى حَبِيبِكَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَنَحْنُ مَعَهُمْ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

الباب السابع

❖ حول نبوة رسول الله ﷺ

• النبوة هي الإعداد الخاص لبشرى لاستقبال رسالة السماء،
وقدرته على التعامل مع الأنوار الإلاهية والفتوحات الربانية،
والوحي بين السماء والأرض . فهو معد إعدادًا خاصًا لتقبل أنباء
الغيب نبأ بعد نبأ .. فإن من يرى الملائكة ، ويخاطبهم، ويسمع
كلام الله تعالى ، ويقوم بخوارق العادات من معجزات للبشر ، لابد
وأن يكون له تجهيز خاصٌ من الله تعالى يزيد عن مواصفات
البشرى العادى .

و حيث أن الروح أو النفس حسبما شئت أن تسميها هي التي
تتعامل مع عالم الملكوت المغيب عن أعيننا و حواسنا ... فلا بد أن
يكون هذا الإعداد من الله تعالى هو للروح و النفس فتكون
الصورة المنظورة للناس هي صورة البشر أما الهيئة و النفس
والروح فهم فوق البشر .

و نعلم أن الجسد له و لادة و عيش ثم موت ... بخلاف الروح
فهي قديمة قبل خلق الأجساد، ولا يحدها زمان أو مكان فإنما الزمان
و المكان، من مواصفات عالم الشهادة الأرضى... و لذلك من
البدهى أن يكون هذا التجهيز الإلاهى للروح قديماً منذ خلقها
الله...

يقول ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظِلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمئِذٍ اهْتَدَى، وَمَنْ أَضَلَّ ضَلَّ" رواه أحمد في مسنده و الترمذى و الحاكم فى المستدرک عن ابن عمرو بسند صحيح ...

• والآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۚ﴾^(١)...

و الحديث و الآية الكريمة كلاهما يشير إلى يوم مخاطبة الله تعالى للأرواح ، يوم قيل " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " ... و أجاب الخلق جميعا "بلى" ... ولكن منهم من أجاب إيمانا و يقينا ... و منهم من أجاب محبة و شكرا ، و منهم من أجاب كرهاً و خوفاً .

و لاشك أنه منذ ذلك اليوم البعيد الذى كان قبل خلق الأجساد ... قد آمن من آمن ، و كفر من كفر ... و تشربت الأرواح بالنور الإلهى ... و تفاوتت فيما بينها ... و تم الاختيار و الاجتباء

(١) سورة الأعراف آية : (١٧٢).


والتصنيف لها من الله تعالى منذ ذلك اليوم ... فصار النبی نبياً ،
و صار الولی ولیاً ، و المؤمن مؤمناً و من سيكون کافراً کافراً .

يقول ﷺ : " السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي
في بطن أمه ". أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة... و هو
كناية عن قدر الله تعالى وقضائه الذي قدر له .

وقوله ﷺ : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " رواه الطبراني
في الكبير عن ابن عباس وعن عمران بن حصين وفي رواية " اعملوا
ولا تتكلموا فكل ميسر لما خلق له " من رواية للبخاري واحمد
وأبو داود والترمذي... وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ يَوْمٍ عَلَىٰ شَاكِلَةٍ ۖ
فَرِيكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۖ ﴾ ^(١) ... يدلان على قهر الله تعالى
وقضائه على العباد، كل بما يناسب ما هيئوا له .

والأرواح كلها مؤمنة بالله تعالى كما قلنا إما طوعاً أو كرها....
ولكن لما نزلت إلى الدنيا في الأجساد ظلَّ على إيمانهم أناس ...
وكفر أناس آخرون .

(١) سورة الإسراء آية : (٨٤).

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَأَلَّ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾  ^(١) .. و ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ^(٢) ... فهذا
الاصطفاء أصلاً للأرواح ... و هي كما قلنا قديمة .. منذ يوم
العهد الأول يوم ألت بربكم بل لعله من قبل هذا اليوم .

فالنبي نُبِّيَ مِنْ قَدِيمٍ ... و روحه مع الملائكة الأعلى من قديم
وإعداده للنبوة من قديم ... فإذا نزلت الروح في الجسد وحن
وقت ظهور النبي على الأرض ظهرت عليه علامات النبوة ... وكل
نبي حَسَبًا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ .

• ولكن قبل النبوة ، أو قبل ظهور النبوة عليه ، فهناك حاجز بين
الجسد والنفس وبين الروح ، فلا تدرك النفس أو الجسد ما في الروح من
أنوار ... فلا يعرف أنه نبي إلا إذا بدأ التلقى من الوحي الذي يوحى إليه .

والدليل على هذا أن كل الأرواح التي خلقها الله مؤمنة
كما قلنا ... حتى أرواح الكفار ... ولكن نفس الكافر وجسده لا
يدرك ما في روحه من نور وإيمان .

(٢) سورة الحج آية : (٧٥).

(٢) سورة آل عمران آية : (٣٣).

فالنفس فى الحقيقة حجاب بين الجسد والروح.. الجسد
بماديته والروح بنورانيته... فإذا رقت النفس وشفّت وزكت
وتطهرت تجلت أنوار الروح وشعر الجسد وأحست النفس بالكثير منها.

• وإذا وصلنا إلى أن النبوة قديمة ... والأنبياء مختارون منذ
القِدَم ... فما بالك بسيد الأنبياء وإمام المرسلين!!!

وهذه الإمامة وهذه السيادة ألا تدلان على أن له الحظ
الأوفى والقدر الأعلى من الإيمان بالله تعالى والأنوار الإلهية منذ
يوم العهد بل وقبله كما شاء الله تعالى!!!

فإن قرأنا فى القرآن ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا
تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا
الْمِيزَانَ ٩ ﴿١٠﴾ ... أدركنا أن الرحمن جل جلاله علم القرآن
لروح المصطفى إمام الأنبياء ﷺ قبل خلق الإنسان الذى علمه
بعد ذلك البيان والحسبان .

(١) سورة الرحمن الآيات : (٩-١).

وهذا يجيب على تساؤلنا من قبل عن خُلُق رسول الله قبل نزول القرآن حيث كان خُلُقُه القرآن من قبل نزول القرآن، لأن القرآن في روحه وفي قلبه ﷺ.

و لكنه محجوب عن النفس و اللسان كما قلنا سابقا ...
و لكنه يخرج بالأمر من الله تعالى بنزول الوحي ليحول رسول الله ﷺ هذه الأنوار الإلهية إلى حروف وكلمات عربية، وبهذا يتجلى معنى ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١) ...

• فنور القرآن في روحك ... وروحك يا محمد هو البيت المعمور ... ألم يقل الله تعالى في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه : "إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِحَزْقِيلَ حَتَّىٰ نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ حَزْقِيلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبُّ! فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعَنِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيْنِ"

(١) سورة طه آية : (١١٤).

و هل لدينا مؤمن كامل إلا رسول الله سيد الأنبياء و روحه
أشرف الأرواح و العامرة بالله و نور الله .

• و لذلك عند نزول جبريل عليه السلام فى المرة الأولى على
رسول الله ﷺ و يقول له اقرأ ... و يغطه ثلاثاً، كأنما هذا الغط هو
ليقلب الباطن بالظاهر و يظهر ما خفى فى روح رسول الله....

و قول رسول الله ما أنا بقارئ لا أفهم منها نفياً بل استفهاماً،
بمعنى من أين اقرأ؟؟ فيقول جبريل اقرأ باسم ربك الذى
خلق.... فيردد رسول الله ﷺ اقرأ باسم ربك الذى خلق!!!

وكما قلنا سابقاً أنه لو كانت كلمة اقرأ من سيدنا جبريل هى
فعل أمر لما ردها رسول الله بعده ... ولكنها إشارة سيدنا جبريل
عليه السلام .. أى قل اقرأ من بداية قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ
الَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ (١) ...

و كأن سيدنا جبريل يشير إلى رسول الله على بداية ما يتلو... وإلا
فلا معنى من أن يقول جبريل اقرأ فيردد رسول الله بعده "اقرأ".

(١) سورة العلق آية : (١).

ثم عندما يقول جبريل لرسول الله ﷺ "اقرأ" .. هل أعطاه كتابا ليقرأ منه !! من أين يقرأ !! إن لم يكن عند رسول الله في جوفه ما يقرأ منه !!!

و هذا ما أفهمه من معنى الوحي ... فسيدنا جبريل في كل واقعة، ينزل إلى رسول الله ﷺ بروحانيته..... ويشير إلى أول الآية النورانية التي تناسب الحال و المقام و الحدث والتي سوف يخرجها رسول الله من روحه الإلهية إلى اللسان العربى المبين بشفتى و لسان رسول الله .

• ثم يكون دور سيدنا جبريل أيضا بعد ذلك أن يرتب الآيات بعضها مع البعض بل و يرتب السور أيضا حيث أن الآيات في كتاب الله تعالى غير مكتوبة بتوالى نزولها .

و لذلك كان يراجع رسول الله ﷺ في تلاوة القرآن ...

أى أن مجلس سيدنا جبريل عليه السلام هو ما بين قلب و شفتى رسول الله ﷺ ... ما بين النور الإلهى و اللسان العربى المبين .

فإن تساءلت عن أن رسول الله كان ينتظر نزول الوحي
ليقضى في كثير من الأمور بأمر الله ، فإذا كان القرآن كله في
روحه!!! فماذا ينتظر !!

نعود فنذكر أن الروح محجوبة عن الجسد بالنفس... والنفس
لا تعرف ما في الروح إلا إذا أفاضت الروح عليها من أنوارها...
فالقرآن في جوف رسول الله، ولكنه ينزل إلى النفس والجسد
بمقدار ما يحدده الوحي ، ثم تنطق به شفتا رسول الله ﷺ.

فمتى شاء الله كان محمد بشراً ... في بيته و بين أمهات
المؤمنين و بناته و أصهاره .

ومتى شاء الله كان محمد رسولا ... بين قومه يبلغ رسالة ربه
و يعلمهم و يبلغهم كلام الله تعالى .

ومتى شاء الله كان محمد نبيا... فيما بينه و بين ربّه له ساعة
لا يسعه فيها إلا الله تعالى كما قال ﷺ .

وهذا شأن العبد الأكمل ... لا يشاء إلا ما شاء الله ... ولا
يكون إلا كما أراد الله متى أراد ... وليس له من الأمر شيء في
كل هذا... فهو عبد الله و نبيه و رسوله فافهم هذا المعنى .

• أنظر إلى مَوْقِفَيْن لرسول الله ﷺ في غزوة بدر.....

ليلة الغزوة :- الرسول يمسك بحصوات في يده الشريفة ويرميها على الأرض قائلاً هنا مصرع فلان ... و هنا مصرع فلان من الكفار !! فهو يرى بنور الله و وحى الله تعالى إليه مصارع القوم قبل وقوعها محمد النبي الموحى إليه .

صباح المعركة :- يقف رسول الله يدعو ويستجدي النصر من الله تعالى ، رافعاً يديه حتى تنزل العباءة من على كتفيه ، وأبو بكر يقول له : حنانيك يا رسول الله لقد وعدك الله النصر!!!

هذا محمد العبد البشري ... التسليم الكامل لله تعالى والرجاء في نصره وفضله ..

أحياناً بشري ... و أحياناً رسول ... وأحياناً نبي .

• و واقعة الإسراء والمعراج تحتاج إلى إيضاح ... فإن فيها من العجائب ما لا يفهم بالعقل البشري العادي ... فمثلاً رسول الله يرى أقواماً يزرعون في يوم و يحصدون في يوم و كلما حصدوا عاد كما كان

بينما يقول كَتَّاب السيرة أن رسول الله ﷺ عندما عاد كان
فراشة دافئاً... أى لم يغب إلا ساعة أو بعض ساعة...

وكذلك رأى رسول الله ﷺ الجنة وأهلها والنار وأهلها ...
والمفروض أن الجنة والنار يدخلهما البشر يوم القيامة !!!

وإذا أضفنا أن الله تعالى منزّه عن الصعود إليه فى جهة
مكانية... وإن معنى الصعود هو الارتفاع والرفعة إلى مستوى
القدسية.

فنقول وبالله التوفيق أن رسول الله ﷺ... فى رحلة
الإسراء والمعراج كشف الله له حجب النفس... ورفع روحه
الشريفة إلى المألى الأعلى وإلى مقام المناجاة والمخاطبة
الإلهية... حيث لا جهة ولا مكان ولا زمان ... فانكشف لرسول
الله ﷺ ما كان مستورا عنه فى روحه الشريفة... وأنارت الروح
بنور ربها زيادة وزيادة فعلم ﷺ الماضى والحاضر والمستقبل فى
آن واحد .

وكانت المناجاة مع الله تعالى حيث لا كلام بشفتين ولسان

ولكن كما أراد الله تعالى ..

ففى ليلة الإسراء والمعراج عرف محمد نفسه وروحه على الحقيقة دون غطاء .

والطريف أن لفظ "سما" منه سما يسمو سموا.... والله تعالى يقول: ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ (١)...
بينما يقول عن الحياة على الأرض ... ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٢)... فهو يسميها "الحياة الدنيا"
أى السفلى الأدنى ... وهى حياة الأجساد والأنفس والشهوات والرغبات .

فمن سما إلى السموات العلى ، فقد ارتفع وترفع عن المادة والأرض وقوانينها ... فالفوقية هنا ليست فوقية مكانية بقدر ما هى

(٢) سورة آل عمران آية : (١٤).

(١) سورة طه آية : (٤).

فوقية ترفع ورفعة .

يضاهى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى ﴾^(١) ... علو القدرة والقهر والسمو والكمال والجلال...
وإلا فإن الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) ..

جل جلال الله... هو فى كل مكان بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تجسيد.

ولا تتعجب من حديثى هذا... فإن لك روحاً كانت تعيش من
قبل بدون الجسم ، وكلمها الله تعالى وكلمت هى الله جل وعلا...
وأنت لا تتذكر هذا الآن... فعندما نزلت إلى الجسد وعاشت بطريقة
أخرى لم تعد تتذكر وكأن شيئاً لم يحدث.... وسوف تذهب إلى
حيث أتت من قبل حسبما كان عملك وأفعالك ، ويذهب
جسدك للتراب كأن لم يكن ... وتظل أنت هو.. هو من كان قبل
الجسد ومن صار بعد الجسد... فلا تعجب من كلامى السابق عن

(٢) سورة الزخرف آية: (٨٤).

(٢) سورة الأعلى آية : (١).

الروح وما فيها من أسرار ... أنت الآن بعقلك لا تدركها ولا تفهمها .

• و قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) يدل على أن الإيمان الكامل كله عند رسول الله ﷺ ثم يوزع منه إلى قلوب المؤمنين

ويؤكد هذا حرص رسول الله ﷺ على حب المؤمنين له لأن الحب رباط بين قلبين فحبك لرسول الله كأنك فتحت خطا مباشرا للإمداد منه من الإيمان .

• وقوله ﷺ "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" رواه أحمد والطبراني وابن أبي الدنيا والحاكم عن أبي هريرة

لم يوضح رسول الله ﷺ كيف يصير المرء على دين خليله !!! ولكن أفهم منها أن القلوب تتخاطب بانجذابها إلى

(١) سورة التوبة آية : (٦١).

بعضها البعض وكل منها يصب في الآخر

والدليل قوله ﷺ " مثل الجليس الصالح والسَّوء ، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك : إما أن يُحذِيكَ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة " متفق عليه عن أبي موسى ... فأنت تستفيد منه بأن تجد عنده ريحاً طيباً فما بالك إذا ابتعت منه أو أهداك من طيبه !!!

فصلة القلوب و اجتماعها معا يُصَيِّرُهَا قلباً واحداً بانتقال الأنوار بينهم .

و يا للسعادة و يا للفوز العظيم إن كان جليسك وحبيبك هو رسول الله ﷺ ...

• وهنا لفظة لطيفة نكشفها لك، ألا وهي أن ارتباط الروح بالجسد ليس أكثر من النظر إليه واهتمامها به لا غير ... فهذه الصلة المعنوية هي واهبة الحياة للجسد ... فبمجرد اهتمام الروح به ونظرها إليه يحيا ويعيش ... فإن تشاغلت عنه ونظرت إليه بين

الحين والحين ، كان النوم وعدم قدرته على الحركة... فما زال
بينه وبينها رباط ولكن ليس بقوة النظر الدائم ... فإذا انصرفت
عنه بالكلية ولم تعد تهتم به ، كان الموت التام وسلب الحياة منه .

كل هذه الأحوال تمر بالجسد والروح في مكانها لا تبرحه
حيث يريد لها الله... فهل لا تنزل في الحى ولا تخرج منه
ليموت؟؟ فإنها ليست أصلاً في الجسد بالمعنى المادى ولا تحتله أو
جزءاً منه و الجسد ليس وعاء للروح ..

■ والقلب و الروح والنهى و اللب و الفؤاد و العقل و البصيرة،
كل هذه مسميات للروح أو قل إنها قواها الفاعلة ... يقول الله
تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ^(١) ... و يقول: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ^ط هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلَ لَّاتَعْمِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ ^ج أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ^(٢) ... و يقول :
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ^(٣) ...

(٢) سورة الأعراف آية : (١٧٩).

(١) سورة النجم آية : (١١).

(٣) سورة غافر آية : (١٩).

الفؤاد هو عين الروح ، واللب مركزها ، والنهى منتهاها ،
والبصيرة عقلها ، والقلب هو محل التقاء الروح بالنفس ،
والصدر ساحة المعركة والنشاط للجميع .

و كل هذه المسميات لها اتصال بعالم علوى مخصوص يماثلها و
تستقى منه ، تمامًا كما أن للجسد عالما ماديا يأخذ منه ويعطى ، و النفس
لها عوالمها من تفكير و خيال وإحساس و وهم وذاكرة

وهذه كلها عوالم غيبية أيضا... حتى الأحلام والمنامات
ويسمونه عالم المثال... و أنت تعيش بين و مع كل هذه العوالم...
وأقلها وأدناها و أزولها هو عالم الملك أو الشهادة أو الترابية المادية...

طبعاً أنت لا تشعر بهذه العوالم إلا إذا تعاملت معها ... فأنت
لا ترى الجن والملائكة ... والكثير منهم معك يمشون على الأرض
... إلا إذا تعاملت معهم ... ولذلك ينكر وجودهما الكثير لأنهم
يريدون أن يروا بأبصارهم و يسمعوا بأذانهم ، و مقومات البصر و
السمع البشرى ليست معدة للتعامل معهم فتنبه رحمك الله .

ألا تعلم أن الحيوانات تتحدث فيما بينها و أنت لا تسمعها.... و
الخفافيش ترسل موجات فوق الصوتية وتتعامل بها و أنت أيضا لا
تسمعها ... فإنك لست معدا لهذا السمع بأذنيك فتنبه...

وما قصدنا من هذه النافذة الضيقة التى أطللنا فيها على الروح، إلا أن نفتح عقلك المادى لتقبل مفاهيم علوية عن الروح... ومعنى حب روحك لروح رسول الله ﷺ....

و تفتح كل هذه العوالم لك على قدر رزقك المقدر من الله تعالى فيرى المؤمن بنور الله كما قال ﷺ وكان الله سمعه وبصره ويده كما فى الحديث الشريف

وهيهات أن يَفَىَ الكلام بمذاق هذه الأنوار العلوية وأثرها على النفس بل حتى على الجسد

و صدق الله تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^(١)...
ثقيلا فى المعنى ... وفى النور... وفى الأسرار... و ثقيلا أيضا على الجسد المادى ... والحجر والجبل.

• وأنت كبشرى عادى تحجب عنك هذه العوالم فى الدنيا...
أما عن رسول الله ﷺ فهى لا تحجب عنه لا دنيا ولا أخرى أبدا.... فهو الروح العظمى فى الكون العارفة بالله تعالى.

(٢) سورة المزمل آية : (٥).

تأمل قول الله تعالى : ﴿ وَسَعَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (١)،
 وتأمل ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴾ (٢)....

حاول أن تفهم كيف كان يعيش حياته صلى الله عليه
 وسلم... يسأل من قبله من الأنبياء والرسل ... الذين ماتوا
 وأفضوا إلى ربهم !!! وأخذ الله الميثاق عليهم أن ينصروا رسول
 الله !!!! بعد أن ماتوا وقبروا !!!

محمد يعيش مع الرسل السابقين ويعايشهم وهم يعايشونه
 ... ويسألهم وينصرونه ... وأين هو منهم في حياته على الأرض!!!!

و يقول الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
 وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣)...

(٢) سورة الأحزاب آية : (٧).

(١) سورة الزخرف آية : (٤٥).

(٣) سورة آل عمران آية : (١٨).

متى تظن كانت هذه الشهادة !!! حديثة أم قديمة !!! و مَنْ أُولو العلم وَمَنْ أُولى مِنْ مُحَمَّد ﷺ بَأَنْ يَكُونَ مِنْ أُولَى العلم .. بل سيدهم !!

ثم رسول الله في حياته يرى الجنة ... ويرى النار ... ويتحدث عن السابقين و معهم ... ويتحدث عن يوم القيامة وما فيه... ويسمع صوت حجر سقط في جهنم منذ سبعين عاما كما قال ﷺ: "إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهاوى بها سبعين عاما ما تفضى إلى قرارها" رواه الترمذى عن عتبة بن غزوان بسند حسن... ويرى الحور العين في الجنة .

• لا ماض عند رسول الله ولا حاضر ولا مستقبل ... هو مع علم الله كائن... وفى كل العوالم موجود حاضر ... ويتعامل معها جميعاً.

لو ذكرنا لك أحاديثه ﷺ مثل " كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد " رواه أبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفجر، وابن سعد عن ابن أبي الجعداء والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وحديث "إِنِّى عِنْدَ اللَّهِ لَمَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ أَدَمَ لَمُنْجَدِلٌ

فِي طَبِئَتِهِ" رواه ابن حبان والحاكم من حديث العرباض بن سارية.... وقوله ﷺ : " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"- الحديث... رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله... لقل لنا أن هذه الأحاديث ضعيفة !!! وأرى أنها لا بد وأن تكون ضعيفة... لأن رسول الله ﷺ يريد أن تكون ضعيفة حتى لا تنتشر بين عامة الأمة و علمهم المحدود و عقولهم على قدرهم ... فربما كان ضعف الحديث هنا لحكمة... وهى أن رسول الله يريد أن يصل هذا الحديث إلى أهله فقط الذين يرون و يشاهدون صدقه بنور الله وسمو أرواحهم .

فهذا من علم محمد الخاص به هو... يخبر به من يشاء ويمنعه ممن يشاء... كما أخبر سيدنا حذيفة بأسماء المنافقين واختص بهذا دون غيره من الصحابة وهو أيضا من باب لو علمتم ما أعلم فهذا علم خاص للخاصة ولا يفتن به العامة .

* العلماء بأوامر الله والعلماء بالله

عموم الناس لا يفرقون بين أنواع العلم وأصناف العلماء...
ذلك أن العلم نوعان : -

الأول : - بأمور الدنيا وقوانينها و معارفها و مخترعاتها.

الثاني : - علم ديني عقائدي يخص الآخرة و أحكامها
وينظم العيش في الدنيا أيضا .

ثم العلم الثاني ينقسم أيضاً إلى قسمين : -

الأول : - علم بأوامر الله تعالى ، وهو العلم بالشريعة
والأحكام و الحرام و الحلال ، وهو العلم المكتسب بالتعلم .

الثاني : - علم بالله تعالى و صفاته و تجلياته ، وهو
علم موهوب منه تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً
مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ^(١).

(١) سورة الكهف آية : (٦٥).

ولكل صنف من الصنفين رجاله وأساليب حيازته والعمل به
كذلك.... فالأول مكتسب بالجهد في التعلم والقراءة والسماع
والنقل... والثاني موهوب من الله بحسن عبودية العبد و حبه لله
تعالى.

و الأول :- متغير ... حسب ما يطلع عليه العالم وما يذكره وما
ينساه .. وهو عادة يسمى متحدث أو ناقل أو مقلد فقط.

و الثاني :- ثابت... في ازدياد من الله تعالى و واقر في قلبه
لا ينساه.

و العالم بأوامر الله إذا أخلص و راقب الله تعالى فقد يتحول
بفضل الله و رحمته إلى النوع الثاني ... و يفيض عليه الله من
فضله... و يفجر في قلبه ينابيع الحكمة و العلم اللدني.

و قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ﴾ (١) ... يشير إلى أن معرفة الله تعالى هي السبيل إلى

(١) سورة فاطر آية : (٢٨).

الخشية و الهيبة منه تعالى ...

فالعارف بالله تعالى لاشك أنه هو المحب ، الورع ، المراقب
لهيبة الله ، ومحفته ورضاه و هؤلاء هم الفائزون حقاً عند الله
تعالى ... و هم ورثة المعرفة النبوية ... و علم الأنوار و التجليات
و الفيض الإلهي .

و أمثال هؤلاء العلماء بالله تعالى هم الذين من الله عليهم
بقوة إيمان فى قلوبهم يستطيعون تغيير المنكر بقلوبهم
و تجديد إيمان الأمة حيثما كانوا بقوة هذا الإيمان ... و نور الله
الذى فيهم .

و أمثال هؤلاء العارفين بالله تعالى يكون كلامهم وحديثهم
لقومهم جديداً غريباً ... لأنه من تجليات الله عليهم و فتوحاته
لهم ... لا منقولاً عن غيرهم قولاً أو سماعاً .

و من الطبيعي أن تجد من الناس من يقبل كلامهم و معارفهم
الجديدة عليهم .. و من الناس من لا يستطيعون أن يرتفعوا
بأرواحهم إلى هذا الفهم و المذاق .. وقد كان ابن دقيق العيد

شيخ الأزهر فى عهد أبى الحسن الشاذلى عندما يسمع حديثه
يقول للناس اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد بالله ...

فعلماء أوامر الله فينهلون من نور شريعة رسول الله و ميراثه ..

أما العلماء بالله تعالى ينهلون من نور نبوة رسول الله

ومعارفه

و ميراثه ..

فافهم الفرق بين الصنفين يتكشف لك كثير من الأغاـز

والمشكلات

* النور و مشكاة الأنوار

النور عندنا لا يُرى .. ولكن به تُرى الأشياء حولنا ، فلا رؤيا
لدينا بدون وسيلة النور ... فهو وسيلة المعرفة و العلم .

فإن سَمَّى الله تعالى ذاته النور ... فتعالى الله أن نفهمه نوراً
مثل ما نعرفه فى الدنيا ... ولكنه نور المعرفة لكل شئ ... نور
الأجساد .. و نور الروح .. و نور الفؤاد .. وهكذا ... فالله تعالى هو
نور السموات و الأرض و كل الكون و كل الكائنات .

و النور عندنا فى القرآن وُصِفَ به القرآن ، و رسول الله ،
و الأعمال الصالحة ، و صفات المؤمنين ، و جزائهم عند الله ، حيث
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ أَلْحَقُ بِهِمْ
وَتُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أَنْزَلَ مَعَهُ^١ أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُقَلِّحُونَ ﴿١٥٧﴾...^(١)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٥٨﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٥٩﴾...^(٢)

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^٣ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ^٤ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ^٥ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ^٦
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ^٧ نُورٌ عَلَى نُورٍ^٨ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ^٩
وَيَضْرِبُ اللَّهُ^{١٠} الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ^{١١} وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾...^(٣)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى
إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ^{١٢} وَاللَّهُ

(١) سورة الأعراف آية : (١٥٧). (٢) سورة الأحزاب الآيات : (٤٥-٤٦).

(٣) سورة النور آية : (٣٥).

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمْتَ فِي يَخْرِيجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
 مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ
 لَمْ يَكَدْ يَرْنَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ (١)

و من الواضح أن ثواب الأعمال الصالحة كلها هو النور ...
 و أن نصيب كل عبد من خلق الله من النور يكون على قدر معرفته
 بالله وعبوديته ..

فما بالك إذًا بالعبد الأكمل ، و العارف الأول بالله تعالى !!

● أراحنا الله تعالى من تصوراتنا... وقال في كتابه : ﴿ اللَّهُ نُورُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢) وأجمع المفسرون على أن المشكاة
 هو رسول الله ﷺ كما قال ابن عباس و كعب الأحبار وغيرهم.
 فالله تعالى يقول لنا أنه جل جلاله هو النور.. وأنه لا يرى..
 ولكن مثله الذي يمكن أن يرى.. هو محمد عليه الصلاة والسلام..

(١) سورة النور الآيات : (٣٩-٤٠). (٢) سورة النور آية : (٣٥).

فَالْخَلْقُ جَحَدُوا وَجُودَ اللَّهِ لِعَدَمِ رُؤْيَيْهِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ... فَقَدْ جُنَّا إِلَيْكُمْ بِمِثْلِ نُورِنَا، تَرُونَهُ وَيَرَاكُمْ، وَلَا يُمْكِنُكُمْ إِنْكَارُ وَجُودِهِ.. بَلْ وَجَعَلْنَاهُ أَمَامَكُمْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ... وَلَيْسَ لَهُ نَدٍ وَلَا شَرِيكَ وَلَا وَلَدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ ... وَلَكِنْ جَعَلَ نُورَهُ فِي مُحَمَّدٍ ، كَمَا وَضَعَ رَحْمَتَهُ فِيهِ ... وَجَعَلَهُ يَمْشِي بَيْنَنَا ، صُورَتُهُ كَصُورَتِنَا ، وَلَكِنْ هَيْئَتُهُ لَيْسَتْ كَهَيْئَتِنَا ... وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .. وَقَالَ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ يَا عَائِشَةُ " نُورُ أُنَى أَرَاهُ " .. رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) سورة الأعراف آية : (١٤٣).

فَاللَّهُ تَعَالَى فِي قَدْسِهِ لَا يُرَى ، وَجَل جَلَالُهُ وَكَمَالُهُ وَجَمَالُهُ...
وَجَعَلَ لَنَا نُورَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ الْمَشْكَاةُ الَّتِي تُضِيءُ وَتُنِيرُ الْكَوْنَ أَجْمَعَ...
فَكُلُّ نُورٍ يَصِلُ إِلَى الْكَوْنَ هُوَ نُورُ الْمَشْكَاةِ الَّتِي هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ... فَهِيَ
وَلَيْسَ سِوَاهَا مَصْدَرُ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ.

● وَ أَكْثَرَ الْخَلْقِ نُورًا لَا شَكَّ هُمْ الْأَنْبِيَاءُ... وَ مَا أَخَذُوا إِلَّا مِنْ
نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ... وَ كُلُّهُمْ يَسْتَمِدُّونَ مِنْ هَذِهِ
الْمَشْكَاةِ النُّورَانِيَةِ الْإِلَهِيَةِ الْمُحَمَّدِيَةِ.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ
الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ .. ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ نُورِهِ فَمِنْ أَصَابِهِ مِنْ ذَلِكَ
النُّورِ يَوْمُئِذٍ فَقَدْ اهْتَدَى " حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَ التِّرْمِذِيُّ
عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ... يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اخْتِيَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلَ الصَّلَاحِ هُوَ
مِنْ قَدِيمٍ ... مِنْ يَوْمٍ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" ... يَوْمَ الْعَهْدِ الْعَظِيمِ ... بَلْ
لَعَلَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَلِذَلِكَ تَعَارَفَ الْأَنْبِيَاءُ حِينَئِذٍ وَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ
فَالْإِيمَانَ وَ النَّصْرَ لِمُؤَازَرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَمَا يَبْعَثُ عَلَى الْأَرْضِ ..

و تعارف الصالحون و أهل الفلاح أيضا ... فإن القضية
الإيمانية قد حسمت كلها واستقرت منذ ذلك الحين ...

و جاء إبراهيم مسلماً ، و آدم مسلماً ، و فريق في الجنة ،
و فريق في السعير ... و عُرف أهل السعادة ، و أهل الشقاء .

و أكاد أرى يوم العهد و ما حدث فيه ، هو نفسه يوم الحشر و ما
سيحدث فيه... فقد رفعت الأقلام و جفت الصحف كما يقول
ﷺ و الله تعالى ليس عنده حاضر و ماض و مستقبل .. فهذه النسبية
عندنا نحن أما عند الله فالكل كائن معا لا يتغير ..

هذه كلها قضية أرواح في عالم الملكوت ... فالأرواح مؤمنة
بربها ... عارفة بخالقها ... منيرة بنور المشكاة المحمدية... و ما
فترة الحياة الدنيا هذه إلا فترة قصيرة اختلطت فيها الروحانيات
بالمادية... الروح و النفس و الجسد معا ... ثم تعود بعد هذه الفترة
إلى ما كانت عليه .

فنور الهداية و معرفة الله تعالى يسرى في روحك من المشكاة
المحمدية ... فمن سرى فيه هذا النور يهتدى ... و كل مهتدي على قدر

حظه من هذا النور سواء الأنبياء أو أهل الولاية الخاصة أو العامة .

و الحقيقة أنَّ الكل مؤمنون روحًا ... ولكن حجاب النفس البشرية عندما نزل مع الولادة البشرية هو الذى حجب هذا النور.. فصار هناك كافرٌ و مؤمنٌ .

و حجب النفس هذه تختلف رقة وسمكًا ونورًا وظلمة... وتتغير النفس عند صاحبها بمجاهدتها و تربيتها و السمو بها إلى أنوار الروح ...

يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) ...

جاهدوا فينا و ليس جاهدوا لنا ... فتنبه !!!

● الله تعالى قد قضى ألا يُعبدَ إلا إيَّاه ... وصدق الله ... ما من روح إلا وتعبد الله تعالى سواء آمن صاحبها أو كفر ... فالكفر أمر مؤقت فى الحياة الدنيا نتج من حجب النفس البشرية.

و لاحظ أن من عبد غير الله تعالى ما عبد إلا خلقا من خلقه

(١) سورة العنكبوت آية : (٦٩).

دون أن يدري ...

لذلك كان الخطاب في القرآن كله للنفس بالتربية والإيمان والإحسان ... النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس الملهمة، والراضية، والمرضية... إلخ أما الروح فهي مؤمنة ... والجسد يتبع في أفعاله النفس إن أظلمت أو استنارت .

● والإسلام دين الفطرة كما يقول ﷺ "عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء". رواه البخاري.. فالفطرة في الروح هي الإيمان بلا إله إلا الله محمد رسول الله ... محفورة ومطبوعة في فطرة الأرواح .

فعندما يقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)... فأفهمها إذا بالمعنى القريب إلى قلبي ... الإيمان فيك سجية ،

(١) سورة التوبة آية : (١٢٨).

ونور الله فيك ... وما جاء رسول الله بجدید عليك من خارجك ... بل هو في روحك بنوره و تعاليمه وآدابه دون أن تدري ..

فطرة الله التي فطر الناس عليها ... فما جاء محمد إلا من نفسك النيرة المضيئة بنور الله التي هي الأصل في حياتك و وجودك ... يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) ... رسولا من روحك التي لا تدركها أنت في هذا القالب البشري الترابي.

و بمعنى آخر ... كل النور والهدى الذى جاءك به رسول الله ﷺ هو نفس النور الذى وضعه الله تعالى في روحك بالإيمان والهدى فكان محمد فيك بنوره ... أو روحك في نور محمد ... وما الظاهر من دعوته إليك من خارجك إلا مطابقة لما هو مودع فيك منه في باطنك ...

(١) سورة آل عمران آية : (١٦٤).

• ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنۢ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآبِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾^(١)...

حيث أن النفس حريصة فقط بطبيعتها على شهوات الدنيا للجسد ... أما الروح ففيها سعادة الدارين الدنيا والآخرة ... ورسول الله ﷺ فيك بنوره على قدر طاقتك و احتمالك و رزقك من الله تعالى ... و روحك بما فيها من الأنوار المحمدية حريصة على سعادتك الدنيوية و الأخروية معاً...

فحرص رسول الله ﷺ عليك فضلاً عن رحمته بك تضاهي و تقارب حرصه و رحمته على ذاته ... فافهم هذه الدقيقة رحمك الله...

ولذلك فرض عليك محبته أكثر من نفسك ... أى تحب روحه العلوية النيرة أكثر من حبك لنفسك البشرية المتأرجحة بين الخير والشر.

(١) سورة الأحزاب آية : (٦).

وقد قلنا سابقاً في شرح قوله ﷺ "إن الشيطان ليسرى في ابن آدم مجرى الدم في العروق" ... وقلنا أن قول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١) .. يدل على العدل الإلهي ...

فليس من المعقول إذاً أن الله يترك للشيطان وظلمته تجرى في دمك !! فأين إذا النجدان !! وأين ألهمها فجورها وتقواها !!

إذاً لابد أن نور الهداية يسرى في دمك أيضاً مسرى الدم في العروق ... فيكون أمامك الخيار ... النور .. و الظلام .. و هل نور يسرى فيك إلا نور محمد ﷺ !!

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) .. اليمين دائماً فيها

(١) سورة البلد آية : (١٠).

(٢) سورة التحريم آية : (٨).

النور .. واليسار دائما فيها الظلام . فمشكاة الأنوار المحمدية يسعى نورها فيك أيضا.. و عليك الاختيار و العدل ...

و الطريف في الحديث الشريف " من رآنى فى المنام فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتشبه بى " رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، صدق رسول الله ... لا يتمثل الشيطان برسول الله أبداً.. فهما الضدان .. محمد نور .. وأبليس ظلام فكيف يجتمعان!! أو يتمثل الضد بالضد !!

ولذلك يقول رسول الله ﷺ " فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان " حديث أبى هريرة وأخرجه أبو داود...
النور ضد الظلام ... لا يجتمعان معا .. فتنبه !!

فالروح المحمدية العظمى هى مشكاة النور الإلهى...
ومصدر الأنوار كلها فى الأكوان ... وكل الأرواح للروح المحمدى عيال تأخذ منها ... فهى البيت المعمور بنور الله و تجلياته على الأكوان جميعاً ... ومنها التوزيع و القسمة...

انظر إلى قوله ﷺ " الله معطى وأنا القاسم " كما ورد فى الحديث الذى رواه البخارى عن معاوية بن ابى سفيان "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ الْمُعْطِى وَأَنَا الْقَاسِمُ ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ

الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ" ...
 فالعطاء كله لمحمد ﷺ ... والقسمة منه بأمر الله تعالى ... و أنت
 تتناول نصيبك من القاسم ... ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴾ ^(١) صدق الله تعالى ...

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ ^(٢) !! فالوالد هو الروح الأعظم
 وأولاده هم أرواح الخلائق ... و محراب الأرواح هو رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴾ ^(٣) .. عائلا للأرواح فأغناك
 بالنور إليهم لعقولهم .. وإلا أو كان رسول الله ﷺ يعول الأمة
 الإسلامية كلها مادة وجسدا وطعاما وشرابا !!

من هنا نفهم قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ^(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ ٢ ﴾
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿ ٢ ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿ ٤ ﴾ .. فالله جل جلاله علم
 القرآن للروح العظمى ومشكاة الأنوار محمد ﷺ ... وكان هذا

(١) سورة الفتح آية : (٧).

(٢) سورة البلد آية : (٣).

(٣) سورة الضحى آية : (٨).

(٤) سورة الرحمن الآيات : (١ : ٤).

قبل خلق الإنسان ... حيث علمه الله تعالى بعد ذلك البيان والحسبان...

فتنبه أن البيت المعمور هو روح رسول الله ﷺ ... المعمور بالنور والهدى والملائكة ... فأنزل الله القرآن من البيت المعمور إلى بيت العزة ... وما هو إلا قلب رسول الله ﷺ الذي بين النفس والروح ... ليخرج بعد ذلك قرآنا عربيا من فم رسول الله ﷺ بمرافقة جبريل عليه السلام .

يقول تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُرِّي الْأَوَّلِينَ ﴿٤٠﴾ ۝ (١) ... ما بين روح رسول الله ﷺ ... وقلبه ... ثم فمه ولسانه صار القرآن مُنَجَّمًا .

فإن تساءلت إنما البيت المعمور في السماء السابعة... وبيت العزة في السماء الدنيا !! قلت لك وهل تعلم أنت معنى السماء السابعة أو الأولى أو ماهية الروح أو معنى البيت المعمور!!

(١) سورة الشعراء الآيات : (١٩٣ - ١٩٦).

وقوله سبحانه في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه: "إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِحَزْقِيلَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ حَزْقِيلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبُّ! فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسْعَنِي وَوَسْعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيْنِ".... ألا يدلك على أن الروح ليس لها مكان لا في السماء ولا في الأرض... بل هي أوسع من ذلك !! أوليست روح رسول الله ﷺ في الفردوس الأعلى و أعلى عليين !!

تأمل قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣١٧﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٣١٨﴾!!^(١)

نعم يا محمد نراك في كل ساجد ، أنوارك تسرى فيه ... ولولا نورك بالهداية فيه لما سجد لنا ... فتنبه لهذا المعنى رَحِمَكَ اللَّهُ .

● لعلك تتساءل : لماذا لم تتكلم الصحابة بهذه المعاني وهم الأعلام والأدري برسول الله ؟؟

(١) سورة الشعراء الآيات : (٢١٧-٢١٩).

و الجواب جاهز : وهل تكلم الصحابة و التابعون إلا فى جمع وتلاوة القرآن الكريم ... وتسجيل السنة النبوية فيما بعد!!

لقد كان همهم الأول و الأخير هو الحفاظ على كتاب الله والأحاديث النبوية ... و ما كانوا يتساءلون عن معانى الآيات ولا تفسيرها ...

عندما سأل أعرابى عمر بن الخطاب عن الآية ﴿ وَفِيكِهِ وَأَبًا ﴾^(١) .. قال عمر رضى الله عنه ويح عمر عاش حتى يسمع من يتساءل عن الأب!!

فكان انشغال الصحابة والتابعين هو الهمُّ الأكبر فى جمع كتاب الله ثم الأحاديث الشريفة وإثباتها وتصنيفها ... وهذا فضلا عما انشغلوا به من تثبيت أركان الدين فى الحروب ... مثل الردة وغيرها من الفتوحات الإسلامية.

ورغم هذا فقد كانوا يعيشون كل هذه المعانى ... حتى أن (حذيفة) الحارث بن مالك الأنصارى يقول لرسول الله : "أصبحت مؤمنا حقاً ، فقال : انظر ما تقول ! فإن لكل شىء حقيقة

(١) سورة عبس آية : (٢١).

فما حقيقة إيمانك ؟ قال : قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت
لذلك ليلي وأظلمات نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً
وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل
النار يتضاغون فيها، فقال : يا حارث ! عرفت فالزم " قالها ثلاثاً. رواه
الطبراني في الكبير وأبو نعيم و البزار !!

و لم ينكر عليه رسول الله ﷺ رؤيته و حاله ..

فما بالك بأبي بكر وعمر وكبار الصحابة !! أتراهم كانوا أقل
إيماناً ورؤيةً من حذيفة !! والجميع كانوا يعيشون هذه المعاني و
أكبر وأكثر منها، ولذلك انظر إلى معاملاتهم لرسول الله ﷺ ...
وَأَدْبَهُمِ الْعَالَى وَهَيْبَتُهُمْ مِنْهُ ﷺ فِي قُلُوبِهِمْ وَتَبَرَّكُم بِكُلِّ أَثَرٍ مِنْ آثَارِهِ
الشريفة .

"عمرو بن العاص" و"خالد بن الوليد" يعيشان مع رسول الله
عامين أو ثلاثة ، ويقولان كنا نحب أن نسأل رسول الله عن شئ فلا
نستطيع أن نرفع أعيننا في وجهه الشريف ، ولم نسأله هيبة وإكباراً !!
ما كان ينظر إلى وجه رسول الله ﷺ إلا قلة قليلة من الصحابة مثل
أبي بكر وعلى وعمر وأبي هريرة رضي الله عنهم. فكم هي هذه
الهيبة العظيمة !! وَلَمْ كُلُّ هَذَا الْحَبِّ الَّذِي لَا يُضَاهَى إِذَا لَمْ

يكونوا يعرفون قدر رسول الله ﷺ.

نحن نتحدث في عجالة من أمرنا ... ولم نعط أى موضوع حقه من الشرح والإيضاح والاستدلال بآيات الله و حديث رسوله ﷺ ... حتى إننا لم نخرج كثيرا من الأحاديث التى ذكرناها، وتركنا هذا لأهل الاختصاص جزاهم الله خيرا ...

المعانى كثيرة و نحن نقتطف منها أقل القليل للقارئ الكريم لننتقل إلى ما بعدها ... و الله هو الفتاح العليم ، يفتح علينا وعليكم و ما خاطبتكم إلا بالمنطق العقلانى الإسلامى المبسط .

و لك أن تتساءل أى روح هذه روح رسول الله ﷺ الذى تتحمل كل هذا فيها !!

وأنت محق ... وانظر إلى حالتين من أحوال رسول الله ﷺ

ﷺ.

يقول كُتّاب السيرة أن رسول الله ﷺ "كان إذا حزبه أمرًا صلى" رواه أحمد فى مسنده و أبو داود عن حذيفة... وإذا حزبه أمر معناه إذا اشتد عليه أمر أى بِلُغَةٍ عصرنا ازدادت المشاكل

عليه عليه السلام ... ماذا يفعل !!!

يخرج من هذه المعاناة إلى مناجاة الله تعالى ... يعبد
و يناجيه بهيئة مخصوصة ، وأذكار مخصوصة ، وحضور مع الله
تعالى للخروج مما اشتد عليه أمره ... أى خرج من حدود الأمر
الذى شغله إلى الإطلاق فى عبادة الله تعالى .

وفى أوقات كثيرة كان عليه السلام يقول لبلال رضى الله عنه
"أرحنا بها يا بلال" . رواه أبو داود عن سالم بن أبى الجعد.. أى
أرحنا بالصلاة ..

وهذا أمر عكس الأول ... فرسول الله عليه السلام بتجليات الله
عليه ... وروحه تعيش هذه السبحات الروحية العالية الثقيلة ، فى
الأكوان ، يجهد نفسا وجسدا ، من شدة ما تلاقى روحه الشريفة من
أنوار وتجليات ، فيفزع أيضا إلى الصلاة ...

وفى هذه الحالة يخرج الرسول عليه السلام من حالة الإطلاق مع
الله تعالى ، إلى حالة التقيد بالهيئة والذكر فى الصلاة... هنا يترك
الإطلاق ليدخل فى المحدود ... والحالة الأولى يخرج من
المحدود إلى حالة الإطلاق .

○ والناس تفهم معنى البلاء كما قال الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١) ... إنه في الجسد والمال والولد وهكذا ... وهم محقون في هذا ولكنى أرى بلاءً أكثر وأشد هو انفتاح الروح على عوالم الملكوت بينما النفس والجسد محدودان بعالم المادة و ما فيها .. ولهذه قوانين وأحكام ، و لتلك قوانين وأحكام ، فتكون المعاناة ما بين النفس و الروح و الجسد و محاولة التأقلم بين هذه العوالم ... وما أشدها وما أصعبها .

ولذلك يقول ﷺ " أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة " رواه أحمد في مسنده و البخارى و الترمذى و ابن ماجه عن سعد ...

(١) سورة آل عمران آية : (١٨٦).

و نحن نرى كثيراً من الأنبياء كانوا ملوكاً وأصحاء الجسد، ولا
تشعر بأن بلاء قد وقع عليهم .. فما مفهوم هذا البلاء إذن !! إنه المعاناة
من شدة أنوار تجليات الله عليهم وهم بهذه الأجساد الترابية الضعيفة..

وإذا عجبت من أقوالى هذه فلا تتعجل بالحكم ... فإننا
حتى اليوم لا نعرف كثيراً عن معانى آيات القرآن الكريم ... وما فيه
من إشارات روحية عجيبة عن الجنة و النار و الموت و البعث...
رغم استفاضة القرآن فى وصفها ... فما بالك بما لم يوصف مثل
الملا الأعلى، و سدرة المنتهى، والأقلام والصحف.... إلخ

و صدق رسول الله "يأتى القرآن بكرة يوم القيامة لم يمس".

● وعلى سبيل المثال :-

بعد أن أفاض الله تعالى فى وصف الجنة و النار و يوم
الحشر والحساب ... يقول على لسان المؤمنين الناجين ﴿ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ^ط فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾ ...^(١)

(١) سورة الزمر آية : (٧٤).

والسؤال كيف يورثهم الله الأرض ويتبعون في الجنة !! وأين الأرض في تلك الساعة !! وهل الجنة في الأرض !! يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ... والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه !! والقبور بعثت والجبال سirt!!

إن ألفاظ القرآن الكريم تقرب لك المعنى كما قلنا بضرب المثل بالمعلوم ووصفه ... للدلالة على المجهول وكنهه ... ولكن ليس القياس كالقياس ولا الوصف كالوصف ...

فالجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... فافهم معنى ولا خطر على قلب بشر !! ترى بالله عليك كيف تفهمها أو تعرف ما فيها !!

فضرب الله المثل لنوره بمشكاة الأنوار محمد ﷺ ... ولا بد وأن يكون من هذا الباب باب عدم الإلمام والإحاطة بعقلك المادى المحدود للمعانى الروحية العالية والأسرار الإلهية القدسية...

• لذلك نحن نقول في قول الإمام " أحمد بن حنبل بأنه

رَأَى اللَّهَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ مَرَّةً .. وَتَكَرَّرَ الْقَوْلُ عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْدُدِ الْعَدَدَ .

نَقُولُ أَنَّ أَيًّا مِنْهُمْ مَا رَأَى إِلَّا نُورَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...
عَرَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي رُوحِ رَسُولِ اللَّهِ ... فِي مَشْكَاةِ الْأَنْوَارِ وَ
أَسْرَارِهَا وَمَا تَعَدَّوْا أَبَدًا سَقْفَ نُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

● نقطة أحب أن أشير إليها ... تلك هي الجنة والنار ..

الجنة.... هي نعيم الله ورضوانه ورضاه... وملائكة الجنة
وخدامها آيات في الجمال والكمال... والنار.... عذاب الله و
عقابه وسخطه... وملائكة النار و خزنتها آيات الفزع والقبح... خلق
من خلق الله ... خلقت من صفات الله تعالى ... فما الخلق إلا كلام
للله جل شأنه ...

يقول تعالى : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِنَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ

أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيلًا ﴿١٧١﴾... المسيح خلق الله ... و هو كلمة الله ..

تأمل فيما أقول !! ثم سل نفسك أيهما تختار ... أفعال الله
و خلقه أم صفاته و تجلياته !! بمعنى أترغب فى الجنة و نعيمها
وهى من خلق الله أم تسمو و ترغب فى النظر إلى وجهه الكريم
وتغيب فى أنواره و تجلياته !!

لذلك يقول ﷺ : " هناك أناس يساقون إلى الجنة بالسلاسل
ويقولون لا ندخل حتى نرى ربنا ... إلخ " ... و قد روى الطبرانى
عن أبى هريرة " عجت لأقوام يساقون إلى الجنة فى السلاسل
وهم كارهون " .

● إن تجليات الذات الإلهية هى من صفاته سبحانه وتعالى هى
أعلى ذوقاً وروحاً... والذات جلت فى علاها الأعلى قدساً وطهراً..

أنظر إلى تسبيح رسول الله فى سجوده ... "اللهم إني أعوذ

(١) سورة النساء آية : (١٧١).

برضاك من سخطك، و بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك " رواه مسلم و أبو داود، و الترمذی ، و النسائی ، و ابن ماجة عن عائشة ...

يا سبحان الله ... ينتقل رسول الله ﷺ ... و يعرج بروحه من أفعال الله، إلى صفات الله و تجلياته، ... ثم إلى قدسية الذات المطهرة حيث لا وصف ولا مذاق فإنها المنتهى!! فيقول ﷺ " لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك " !! هنا يعجز كل الخلق عن الثناء على الله تعالى ... فما قدروا الله حق قدره...

الله ... الله يا رسول الله ... سبحان من علمك ... سبحان من أدبك ... سبحان من أفاض عليك ... فكان فضل الله عليك عظيما... وقال عنك ربك : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

و نحن لم نخرج عن موضوعنا... فما زلنا في مشكاة الأنوار... ولكن أردت أن أوضح لك علوية وأسرار بعض ألفاظ القرآن الكريم بمجرد إشارات إليها ...

(١) سورة القلم آية : (٤).

● ولأزیدك حيرة... نذكر " العرش " ... و " الكرسي " ... وهل قرأت للعرش وصفاً !! وهل الكرسي هو الكرسي الذي نعرفه !! تعالى الله عما نقول علواً كبيراً...

أن هي إلا مسميات للدلالة على عظمة الله و سطوته و قدسيته ... فإن قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(١) ... فهل ظننت أن الأيام المقصودة كأيامنا تقدر بغروب الشمس و شروقها !!! والشمس كانت أيضا في طور الخلق ... وأى ماء تظن !! أوليس عند الله سوى ماءنا هذا الذي نشرب منه !!

وما العرش !! قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَسَّالٌ بِهِ خَبِيرًا ﴾ ^(٢) ... أظن أن الله تعالى لم يكن مستويا على

(١) سورة هود آية : (٧).

(٢) سورة الفرقان آية : (٥٩).

العرش ثم استوى عليه !! استغفر الله تعالى مما نقول ..

الأمر كله غير هذا الفهم الساذج ... فالله تعالى منزّه
ومقدس عن كل هذا التشبيه .. وكان الله وهو على ما عليه كان
سبحانه و تعالى ...

وإن كان السابقون آثروا السلامة وقالوا أن الاستواء معلوم..
والكيف مجهول .. و السؤال عنه بدعة ... كما قال مالك
و الشافعي رضى الله عنهما ، فنحن نقول أننا نذوب في هذه الآية
حبا و إجلالا لله تعالى ... و نحب و نشعر معناها... دون أن نعرف
كيف نشرح بألسنتنا وكلامنا ... و جل جلال الله تعالى .

● الشئ بالشئ يذكر ...

حيث أخطأ المفسرون في شرح قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ
الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ^ط أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾^(١) ... وجعلوا الماء أساس

(١) سورة الأنبياء آية : (٣٠).

تكوين الحياة ولم يفرقوا بين "جعلنا" ... و"خلقنا" ...

وقد سبق التعرض لهذه الدقيقة ولكن نكرر عرضها إيجازاً..
فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۚ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ۚ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ...

وحدد الخلقه للدواب على الأرض ... ولم يقل خلقنا كل
شيء من ماء...

وجعلنا ... تفيد معنى غير خلقنا ... فخلقنا أى أبرأنا من
عدم... وجعلنا أى عمدنا إلى المخلوق قبلاً فجعلناه كذا وكذا...
"فجعل الليل والنهار خلفه ... و"جعل الله البيت الحرام
مثابة للناس وأمناً" ... وهذا يأتي فى الترتيب بعد "إن أول بيت
وضع للناس للذى ببكة مباركاً.... إلخ".

فنحن خلقنا الماء أولاً... ثم جعلناه سبباً فى حياة كل

(١) سورة النور آية : (٤٥).

حتى... وهذا أمر يعرفه العلماء جيداً وهو دور الماء في التفاعلات التي تحدث على كل الأرض فلا يحدث تفاعل إلا بوجود و لو نسبة ضئيلة من الرطوبة فيه وهذا أمر يعرفه جيداً علماء الكيمياء... وليس كل مخلوق هو من ماء ... وليس كل ماء كمائنا المعروف...

● وكذلك ليس كلُّ نور كالنور الذي نعرفه في الدنيا ...
وليست المشكاة التي يصفها الله تعالى في كتابه مثل المشكاة التي نعرفها في الدنيا إلا من حيث المسمى والدلالة..

● كذلك جَسَدُ الإنسان من تراب ... و لكنك تراه الآن بصورة مختلفة وإن كانت عناصر تركيبه هي عناصر تركيب التراب ...

و ليست الجنة نوراً كما نعرفه ... و ليست الملائكة نوراً كما نعرفه ... هذه سذاجة في التفكير و التصور ...

فالمشكاة تحتوى على مصباح ... و الزجاجاة كأنها كوكب درى، يوقد من شجرة مباركة ، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسه نار... نور على نور ... نور الله تعالى ... و نور النبوة المحمدية ... و نور الذات المحمدية ... كلها أنوار في أنوار من أنوار .

ثم يعقب الله تعالى بقوله : ﴿..... نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
 اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ﴾^(١)... فلا هداية إلا من هذا النور... يسرى فى الأكوان
 قديما و حديثا ... و منه نور آدم و نبوته ، و نوح و نبوته ، وإبراهيم
 و نبوته ، وكلهم صلى الله عليهم و سلم ... و إمامهم ومعلمهم هو
 سيدنا و حبيبنا محمد رسول الله ﷺ...

فمشكاة الأنوار هو محمد ﷺ منه المدد لجميع الأنبياء
 السابقين عن بعثته ، و كذلك هو المدد لكل أولياء الأمة
 المحمدية حتى يوم الدين ... فما صاروا أولياء إلا بنوره و اتباع
 سنته و هديه... فهم أولاده روحًا .

و على قدر ما فى المؤمن من نور ، على قدر ما يكون ميراثه
 من النبوة المحمدية ... أو قل العكس ... على قدر ما يكون ميراثه
 من النبوة على قدر ما يصير به من نور و هدى ...

• و انظر إلى دعوة سيدنا زكريا حيث يدعوره ﴿... فَهَبْ لِي مِن
 لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّى الْعُقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٢)...

(٢) سورة مريم الآيات : (٥-٦).

(١) سورة النور آية : (٣٥).

وما أبعد المدة بينه وبين آل يعقوب و هو إسرائيل الأكبر عليه السلام... فهو يسأل الله أن يكون ابنه وارثاً لأجداده الأبعدين ﷺ... فميراث النبوة يسرى في ذريتهم كما يسرى في أتباعهم ... ولكن كلُّ على قدره ورزقه من الله تعالى ... وكلُّ له فرع ونوع من هذه الأنوار النبوية ...

• ورضى الله عن مولانا وسيدنا أبى بكر الصديق ... ودقة قوله "ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته" رواه البخارى... ارقبوا محمداً!! هذا لفظ يستلفت النظر!!

وليس أعجب منه إلا قول رسول الله ﷺ "أنا من حسين"!! كما فى الحديث الذى رواه أحمد والبخارى فى الأدب وحسنه الطبرانى فى الكبير والحاكم وأبو نعيم فى فضل الصحابة عن يعلى بن مرة الثقفى، فكيف يكون رسول الله من حسين رضى الله عنه!!

لا أفهم منه .. على قدرى .. إلا أنه سوف يكون من ذرية (الحسين بن على)عليهم رضوان الله، من يكون أكبر وارث لنور محمد ﷺ ... وأكثر نوراً من كل الورثة أجمعين... وذلك لحكمة

يعلمها الله تعالى ..

وهي إشارة إلى رجل " آخر الزمان " ... المسمى "بالمهدي المنتظر" .. الذي يصلح الله عليه حال الدنيا في آخر الزمان كما صلح أولها ... صلاح أولها ... و صلاح آخرها ... بنور محمد ﷺ وهدايته وميراثه ...

فأستأذه ، ومعلمه ، ومرشده ، هو رسول الله ﷺ رأساً ... منه يتعلم بروحه ... و بكلامه يقول ... والله تعالى يؤيده بنصره وجنده وصادق المؤمنين ... ويصلي خلفه سيدنا عيسى عليه السلام كما ورد في الأحاديث .

فالنور الفاتح هو نور رسول الله ﷺ ... والنور الخاتم هو أيضا نور رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أكمل الصلوات والتحيات .

* الْجَنَّةُ مِنْ نُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

هذا عنوان يستلفت النظر عندما تقرأه للوهلة الأولى وقبل أن نخوض في هذا الأمر .. و بحذر شديد .. هنالك بعض النقاط التي لابد أن نتعرض لها ..

• الحياة الآخرة لنا كما جاءت في القرآن الكريم والآحاديث النبوية الشريفة لا يمكن أن تكون كحياتنا على الأرض ببشريتنا العادية وقوانينها .

وقول رسول الله ﷺ فَإِنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ يَخْرُجُ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْهَا عَنْ مَفْهُومِنَا الْعَادِي .. فلا تكون الفاكهة كالفاكهة ولا اللحوم كاللحوم ولا البيوت كالبيوت التي نعرفها ... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ نَعِيمَ الْجَنَّةِ بِمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا .. وَمِنْ بَابِ وَصْفِ الْمَجْهُولِ بِالْمَعْلُومِ لَدَيْكَ .

أما إن ما نأكله ليس له إخراج مثلا ، وإنك بمجرد أن تشتهي شيئا تجده أمامك ، وتأتيك أصنافا متشابهة في الوصف مختلفة في

المذاق ، وأما أن يكون الحور العين تُرى عظامهن من خارج أجسادهن من شدة البهاء والجمال الشفاف ، وأن تكون المساكن من ذهب و فضة و بللور و يرى داخلها من خارجها أو العكس .

كل هذه الأوصاف و ما شابهها لا تَصْلُحُ لها مواد الدنيا الترابية و لا يمكن أن يتعامل معها الإنسان الترابى بترايبته هذه و أحشائه و تركيبه .

و من الواضح أنه كما أن الأرض تُبَدَّلُ غير الأرض كذلك السموات .. فمن الظاهر أن هَذِهِ الأَجْسَادَ المبعوثة يوم القيامة ليست كالأجساد التى نعرفها أيضا .

نعم يصعب علينا تصور هذا الاختلاف .. ولكن إذا كان الكافر سوف يُسَجَّنُ فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سبعون ذراعا فباللَّه عليك كيف يسلسل رجل بحجمنا فى سلسلة حلقتها بهذا القدر !!!

• نعم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها .. أنا لا أعتبرها دليلا على بعث الإنسان بشحمه و لحمه الدنيوى .. ولكن الله تعالى الخالق العظيم لهذا الكون و الإنسان قد جعل مراكز الإحساس فى الجلود الآدمية كما نعلم ...

فعندما يشير إلى استمرار العذاب والعياذ بالله يوم القيامة
فإن القرآن ينبهك إلى ما تعرفه في الدنيا بأن مراكز الإحساس
بالألم ستجدد في عذاب جهنم فيظل العذاب على من فيها .. أى
إن كانت مراكز إحساسه الجديدة .. المهم أنه سيستمر شعوره
بالعذاب و يتجدد هذا الإحساس الدائم بالألم ...

فيا أيها الإنسان الذى لا يعرف الألم إلا من خلال حواس
جلده .. أعلم أننا سندم العذاب فى جهنم بتجديد مراكز
الإحساس لديك... فكلما نضجت الجلود ... مراكز الإحساس ...
بدلناها بالجديد ليستمر العذاب .

و يا أيها الرجل الذى لا يعرف إلا شهوة النساء و يدور عليها
محور حياتك الدنيوى.. لقد جعلنا النساء فى الجنة متجددات...
تنير وجوههن ... و هن أبكارا دائما ... و عقد الحورية ينير ما بين
السماء و الأرض ... لا يلزمك طهارة و اغتسال ... بل أنت طاهر
دائما .. و فى نشوة دائمة بلا تعب ولا نصب ولا ملل ...

منتهى إحساسك بالشهوة و اللذة هو إحساسك بلذة وشهوة
الوقاع ... و لذلك جعلنا لك مثلها ... و لكن أهى كهى ... أهذه

كتلك ... لا أبدًا ... ولا يمكن أن تكون ... فالنساء غير النساء
والجماع غير الجماع... المهم إنك ستشعر بلذة و شهوة لاتعادلها...

• ثم يبين رسول الله ﷺ أن أهل الجنة يتناولون بعد كل
هذا النعيم إلى ما هو أعلى منه.. وما الذى أعلى!! وأجمل!! من
كل ما وصف!! هو النظر إلى وجه الله الكريم!!

افهم وتنبه رحمك الله ... النظر إلى وجه الله الكريم ...
الجمال الحق .. والكمال الحق .. والجلال الحق .. والنعيم
الحق.. منتهى كل إحساس عندك بالحب والجمال .

يا سبحان الله .. مجرد النظر إلى وجه الله تعالى يخرجك
من كل ما أنت فيه من نعيم الجنة إلى نعيم آخر أعلى وأكمل
وأجمل لا يمكن وصفه والتعبير عنه ..

وهذا حق ... وهذا النظر ليس فيه طعام ولا شراب ولا نساء
فتبين رحمك الله ... وصدق رسول الله ﷺ "هناك أناس يساقون
إلى الجنة يوم القيامة بسلاسل ويقولون لا ندخل حتى نرى
ربنا" .. يا سبحان الله ويا لعظمته وجماله وكماله ...

هذا هو النعيم و السلام و الحب و الجمال الحق الذى هو
غاية كل مؤمن يوم القيامة وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول
"ينعم الناس يوم القيامة على قدر عقولهم"...

الحديث : " الناس يعملون بالخير، وإنما يعطون أجورهم
على قدر عقولهم ". رواه أبو الشيخ عن معاوية بن قره عن أبيه.

فهذا الذى حبس عقله على شهواته الأرضية سوف يجد ما
وصفه الله تعالى فى القرآن من نعيم أو عذاب كما جاء الوصف
تصديقا لكلام الله تعالى وحديث رسوله ﷺ .

و سيجد الناس الفاكهة و الخمر و الذهب و الفضة كما ذكر
الله تعالى ... أما هؤلاء المؤمنين الذين خرجوا من دائرة شهوات
الدنيا و نظروا إلى جمال الروح و نعيم الروح و حب الله تعالى
فهم فى غنى عن الجنة و شهواتها بالجمال و الجلال الإلهى ...

• ومن الواضح من الأوصاف القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا
الشأن أن ثمرات الجنة وأهلها ونسائها... كل هذا نور من نور..

و نصيب المؤمن يوم القيامة من النور هو على قدر حسناته

فى حىاته الدنيا... ودعاؤه إلى الله أن يتم له نوره... حتى يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ويقولون ربنا أتمم لنا نورنا...

فالجنة وما فيها من نعيم هى نورانية بحة ... بفاكهتها
ونسائها و نعيمها ... و ليست ترايبه المنشأ و الوصف ...

و كذلك النار و ما فيها ... هو من باب الظلام و الظلمات
و العياذ بالله ..

فثمار الجنة و نعيمها هى أنوار فى أنوار .. و لاشك أن الله
تعالى خلق الجنة لينعم فيها عباده ... فالجنة لا تضيق بأهلها
أبدا... و كلما زاد عدد سكانها كلما اتسعت و ازدادت أنوارها.

فالجنة تتسع بزراعة الأعمال الصالحة فى الدنيا ... و لو لم
تكن هناك أعمال صالحة فى الدنيا ... لما غرست أشجار ولا كانت
القيعان ولا الدور لأنه لا يوجد من يستحقها ..

فالجنة تتسع بالأعمال الصالحة... و التى هى يوم القيامة تكون
نورا لصاحبها ... و يكون نصيبه من النور فى الجنة على قدر عمله...
طبعاً هذا بخلاف رحمة الله تعالى و رضوانه من فضله العظيم و الذى
هو أيضاً للصالحين و ليس للطالحين ... و يتنوع النعيم فى الجنة

بتنوع العمل الصالح في الدنيا ... فنعيم الصائم من باب الريان غير
نعيم المُسَبِّحِ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وبُحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ... وغير نعيم
الشهيد و رزقه ويطير في الجنة حيث يشاء وهكذا ..

موجز كل ما نريد قوله إِنَّ الْجَنَّةَ وَثَمَارَهَا وَنَعِيمَهَا هِيَ
أَنْوَارٌ مِنْ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا وَالتِّي يَزْكِيهَا اللَّهُ
وَيَتَقَبَّلُهَا مِنْ عِبَادِهِ وَيُضَاعِفُ أَجْرَهَا مِائَةً وَكِرْمًا بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ .

• و من يا ترى هو منبت الأصل في كل الأعمال الصالحة !!!
من هو الدال على الإيمان والإحسان وفعل الصالحات !!! من هو
العبد الأكمل الذي يعبد الله حق عبادته ، ويعلم الخلق أجمعين
رسلا كانوا أم غيرهم !!! رسول الله محمد ... الذي كان نبيا و آدم
بين الماء و الطين... رسول الله محمد الذي يدين بدينه كل
الأنبياء و المرسلين ... و الذي استمد منه إبراهيم وقال أنا من
المسلمين ... واستمد منه يعقوب لبنيه ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١) ..

جميع العبادة لله تعالى مردها وأساسها هو رسول الله
محمد ﷺ ... وجميع الأعمال الصالحة أساسها وأصلها هو رسول

(١) سورة البقرة آية : (١٣٢).

اللَّهُ محمد ﷺ... ومنه تعلم الأنبياء ... ومنه تعلم الرسل ... ومنه تعلم كافة المؤمنين ...

فإذا صدرت منه عبادة أو عمل صالح بأية صورة ... فإنما هو تقليد واتباع لأوامر محمد ﷺ ... فله هو أجر... ولفاعلها أجر آخر بنص حديثه ﷺ "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ". رواه أحمد و مسلم و الترمذى و النسائى و بن ماجة عن جرير.

تَبَّهْ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي ... فالأصل في كل العبادة والأعمال الصالحة هو محمد ﷺ .. وبأعماله وبأنوار أفعاله .. أثمرت الجنة وأينعت و تنوع نعيمها و ما فيها من ثواب ... ثم جاءت الأمم المؤمنة... و المسلمون و غيرهم باتباع الهدى المحمدى ... فصار لهم ثواب و أجر تتسع به الجنة و لمحمد ﷺ مثل هذا الأجر فتتسع الجنة و يتنوع النعيم ...

أعرفت إذا ما معنى أن الجنة خلقت من نور رسول الله ﷺ !!!
تفسير منطقى بسيط ... لم أعرض عليك فيه الكثير من الأحاديث

النبوية الشريفة إلى مثل هذه المعانى وذلك لأخرج من دائرة علماء الجرح والتعديل ورفضهم أو قبولهم له بحكمهم بصحته وضعفه ...

افتح عقلك أيها القارئ .. ولا تتقيد بما جاء فى كتب السابقين من تفاسير أخرى لهذه المعانى ..

نعم نحن نحترم رأيهم وندعو الله أن يجزيهم خير الجزاء ما أبلوا فى هذه المصنفات .. ولكن هى ليست حجة لنا أو علينا.. فهم ناس و نحن ناس .. ولهم زمانهم و لنا زماننا .. ولهم عقولهم ولنا عقولنا.. وكما قال سادتنا السابقون : الكل يؤخذ منه ويُرَدُّ إلا صاحب السنة المشرفة ... نعم كلام الله و حديث رسول الله هو ما لا يرد أبداً و لا يجوز أن نحيد عنه .. أما كلام السابقين من العلماء فلنا الخيار نقبله أو نعدله أو نرفضه.

• أَكْرَرُ مرة أخيرة أن عقلك وتفكيرك مرتبط ومحكوم بقوانين الأرض ومنطق المادة التى حولك ... لا يمكنك أن تتصور غيرها فعقلك لا يطبق غير ذلك ... المنطق والمعقول والغير معقول كل هذا مرتبط بعقلك وتفكيرك أنت ..

و لو تغير ما حولك من مجتمع أو ظروف لتغير حكمك
وعقلك و تفكيرك و لذلك فعقول الأمم المتحضرة غير عقول الأمم
المتخلفة و المنطق غير المنطق هناك ... هذا رغم ان الجميع
يشارك فى أمور ثابتة و هى القوانين الكونية التى يعيشونها ...

فما بالك إذا تغيرت هذه الأكوان و معها تغيرت القوانين !!
هل ستظل أنت بتفكيرك العقلى المادى الأرضى و قوانين
الجاذبية و الصوت و الضوء و الهواء و الماء !!!

افتح قلبك وعقلك و تفكيرك عندما تفكر فى الأمور الروحية
وعالم الملكوت و الغيب والدار الآخرة ... وإذا كان طعامك
وشرابك وإخراجك قد تغيرت فى الحياة الأخرى بنص الآيات
الكريمة فلا بد أن تنتظر تغييرات أخرى و جوهرية لا يصل إليها
عقلك ...

فلا يكون اللوح المحفوظ كالألواح التى لدينا ، ولا القلم
كأى نوع من أنواع الأقلام عندنا ، ولا الكتابة والتسجيل كما
نعرفها نحن ، ولا الميزان كالميزان ... وهكذا .

* "صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ" ^(١) :

يقول الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ^١ وَلَوْ كُنْتَ
فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^٢ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ^٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿..... وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦٠﴾^(٤).

وبنظرة سريعة على هذه الآيات المباركات تدرك مدى
اهتمام رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين وحرصه عليهم ورحمته بهم
واستغفاره لهم ..

(٢) سورة آل عمران آية : (١٥٩).

(٤) سورة النساء آية : (٦٤).

(١) سورة التوبة آية : (١٠٣).

(٣) سورة محمد آية : (١٩).

ولفظ السكن هنا أمره عجيب ... فصلاة رسول الله على
المؤمنين هي سكنهم وراحتهم وسكينة نفوسهم وسعادة الدنيا
والآخرة لهم ...

تأمل ... رَحِمَكَ اللَّهُ وَإِيَّانَا فِي هذه التعبيرات ... السكن
و السكينة و السكون ... وماذا تعنى هذه المعانى للإنسان
وأهميتها له فى حياته ...

وإذا نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (١) وكذلك قوله
تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (٢) لأدركت معنى السكن المقصود من الراحة
والإطمئنان والأمان والستر بين المرء وزوجه ... وهذه المعانى
والمشاعر الإنسانية لا يجدها الإنسان إلا مع أهله ... ولم يذكرها
الله تعالى إلا فى هذين الموضعين ...

(٢) سورة الأعراف آية : (١٨٩).

(١) سورة الروم آية : (٢١).

فإذا ربطنا الآيات والاطمئنان والراحة الحقيقية لك في حياتك... حتى السكن مع أهلك قد يتغير... وقد تفتقده لظروف طارئة وقد يزيد وقد ينقص... أما السكن عند رسول الله ﷺ فهذا شيء آخر علوى رحمانى ولا يتغير بظروف دنيوية...

سكينتك وإطمئنانك وراحتك إنما هي من صلاة رسول الله ﷺ عليك... يا سبحان الله...

فإذا رجعت إلى الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ مُنَافِقِينَ﴾ (١) أنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمِّهِمْ..... ﴿١﴾

لأدركت معناها بإحساس آخر... فالنبي ﷺ أحنُّ وأولى بك من نفسك... يالله!!! بل لا يقف الأمر عند هذا الحد...

فإن الله قد وضع في زوجات الرسول رضى الله عنهن جميعاً من المودة والرحمة بك ما هو يزيد عن شعور الأمومة الحانية الصادقة!!

(١) سورة الأحزاب آية : (٦).

فأصبح بيت النبوة كله رجالاً ونساءً مصدر الرحمة
والسكينة والحب والعطف والحنان لك أيها المؤمن بمحمد ﷺ...

ولاشك أنك تحب نفسك... وتحرص على مصالحك
وراحتك... ولكنك في الحقيقة لا تعرف ما يضرّك مما ينفعك... بنص
الآيات الكريمة عسى أن تحبوا شيئاً وعسى أن تكرهوا شيئاً...

أمّا حب رسول الله لك... فهذا حب مبني على معرفة بك
وبمصلحك بنور الله تعالى ونور ذاتية رسول الله ﷺ... فلا يمكن
أن يتجاوز سعادتك وراحتك الحقيقية لك دنيا وأخرى...

وقول الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿... بِالْمُؤْمِنِينَ
رُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) واستعارة صفتين من صفات الله تعالى في
المودة والحب والرفقة لتكونا في رسول الله إليك... تدلك على
مدى حنان ورحمة رسول الله بك... والذي هو أكثر من أبيك
وأهلك وولدك...

(١) سورة التوبة آية: (١٢٨).

فإذا رجعت إلى كلام رسول الله ﷺ "إنما أنا رحمة مهداة"... وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

فلعلك تنظر إلى معان جديدة فى معنى هذه الرحمة والرحمات من رسول الله ﷺ إليك وإلى المؤمنين ...

فباللّٰه عليك ... إذا كان كل هذا الحب و الرحمة من رسول الله ﷺ إليك فبماذا أنت تقابله !!! وكيف يكون حُبُّكَ وَصَلْتُكَ بِهِ وَصَلَاتِكَ عَلَيْهِ ﷺ !!!

وتنبه إلى أن معنى الرحمة ليس هو السير على هواك ورغباتك ... فقد يرديك هواك ... وتقتلك رغبتك دون أن تدري... ولكنها البحث عن سعادتك وما يصلح حالك دنيا وأخرى... وقد سبق أن ذكرنا أن الخِضْرَ قد قتل الغلام الصغير رحمة بوالديه الشيخين وعسى الله أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رُحْمًا... وبالتأكيد أنهما قد حزنا على موت الغلام لجهلهما بالغيب وبما كان يمكن أن يسببه لهما فى حياتهما لو ظل حيا ...

(١) سورة الأنبياء آية : (١٠٧).

و صلاتك على رسول الله ﷺ لن تزيده مقاما ولا رفعة ...
فإن الله قد رفع له ذكره وهو يصلى عليه هو وملائكته فماذا
أعظم من هذا !!!

إنما صلاتك عليه لتلحق أنت بالله وملائكته فى هذه
الرحمات العظيمة ... وليرد عليك رسول الله التحية بمثلها
وأحسن منها ... فالحقيقة أن صلاتك على رسول الله ﷺ هى
مكسب لك كبير وشفاعة لك ورفع للدرجات ورحمة من الله
تعالى عليك أنت ... فتنبه رحمك الله ..

وقد قال ﷺ " إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أكثركم
على صلاة " كما ورد فى الحديث الذى رواه البيهقى فى شعب
الإيمان عن أبى أمامة ... ولن أفيض فى شرح هذا الحديث بل
أترك لك أنت فهمه ومذاقه .

• نسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالفتح من عنده..
فيخرجنا من التقييد الأرضى المادى إلى ملكوت السموات
والأرض.. ويهبنا من علمه الواسع ما يصحح به إيماننا ويزيد يقيننا
بالله والرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتحقق فينا قوله ﴿...إِنَّمَا

تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..... ﴿١﴾ ... وكذلك قوله سبحانه :
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿٢﴾ ... فتقر عيوننا وقلوبنا برسول
الله ﷺ وينشرح صدره الشريف المبارك بنا رضا ومحبة فندخل في
زمرة الصادقين المحبين المخلصين من باب الذل والعبودية
والمحبة لله ورسوله فيكرمنا بشفاعته وولايته صلى الله عليه وآله
وصحبه والتابعين ونحن يا رب العالمين ونسأله العفو عن
أخطائنا وزلاتنا من قول وعمل وما صح من أقوالنا فمن الله
ورسوله وما جانبه الصواب فمن أنفسنا ... ونسأل الله العفو منه
والغفران .

و الله تعالى اعلى و اعلم

(١) سورة فاطر آية : (٢٨).

(٢) سورة البقرة آية : (٢٨٢).

الباب الثامن

○ في ثواب الصلاة على

صلى الله
وسلم

سيدنا محمد

ثواب الصلاة على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَلَّى عَلَى وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

• وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَخْلًا، فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، حَتَّى خِفْتُ أَوْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَفَّاهُ، أَوْ قَبَضَهُ. قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَالِكُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ" قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِي: أَلَا يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَفْظُ أَبِي يَعْلَى قَالَ: كَانَ لَا يُفَارِقُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَّا خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً لِمَا

(١) سورة الأحزاب آية: (٥٦)

يُثْبِتُهُ مِنْ حَوَائِجِهِ بِاللَّيْلِ [وَالنَّهَارِ] قَالَ وَقَدْ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَيْطَانِ [الْأَشْرَافِ]، فَصَلَّى فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، قُلْتُ: قَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَدَعَانِي فَقَالَ: "مَا لَكَ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطَلْتَ السُّجُودَ، قُلْتُ: قَبَضَ اللَّهُ رُوحَ رَسُولِهِ لَا أَرَاهُ أَبَدًا، قَالَ: "سَجَدْتُ شُكْرًا لِرَبِّي فِيمَا أَبْلَانِي فِي أُمَّتِي مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ مِنْ أُمَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، [وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ]".

• وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

• وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى عَلَى مَنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ" رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ.

• وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشَرُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشَرُ قَالَ : "أَجَلْ أَنَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالسَّائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَلَفْظُهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسَارِيرُ وَجْهِهِ تَبْرُقُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُكَ أَطْيَبَ نَفْسًا وَلَا أَظْهَرَ بَشْرًا مِنْ يَوْمِكَ هَذَا ؟ قَالَ : " وَمَالِي لَا تَطِيبُ نَفْسِي وَيَظْهَرُ بَشْرِي وَإِنَّمَا فَارَقَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّاعَةَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ [بِهَا] عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ مِثْلَ مَا قَالَ لَكَ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ وَمَا ذَاكَ الْمَلَكُ ؟ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ مَلَكًا مِنْ لَدُنْ خَلْقِكَ إِلَيَّ أَنْ يَبْعَثَكَ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا قَالَ : وَأَنْتَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ [وَسَلَّم].

• وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا حَتَّى يُبَلِّغَ نَبِيَهَا " .

• وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ بَلَغْتَنِي صَلَاتُهُ وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ وَكُتِبَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

• وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

• وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ " رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَبْنُ حِبَّانَ .

• وَخَرَجَ الْبَزَّازُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ اللَّهُ وَكَلَّ بِقَبْرِي مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغْنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ صَلَّيْ عَلَيْكَ " .

• وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعَقَةُ فَأَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ يَعْنِي بَلِيتَ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَابْنُ حِبَّانَ . قَوْلُهُ : " أَرَمْتَ " هُوَ بَفَتْحِ الهمزة والراء جميعاً وإسكان الميم ، وروى بضم الهمزة وكسر الراء والأول أكثر .

• وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عَرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا " قَالَ : قُلْتُ : وَبَعْدَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

• وَعَنْ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعَرِّضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً " رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال :
"مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ
صَلَاةً" رواه أحمد بإسناد حسن وهو موقوف.

• وخرج الطبرانى بإسناد عن أنس رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا
وَمَنْ صَلَّى عَلَى عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً وَمَنْ صَلَّى عَلَى مِائَةٍ كَتَبَ
اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً [مِنَ النَّفَاقِ وَبَرَاءَةً] مِنَ النَّارِ ، وَأَسْكَنَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ " .

• وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال : سمعت رسول
الله ﷺ يخطب ويقول : " مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ
تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَى فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ " رواه أحمد
وابن ماجه وإسناد حسن بما تقدم.

• وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
"إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ" رواه
الترمذى وابن حبان.

● وعن محمد بن يحيى بن حبان عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لِي ثَلَاثَ صَلَاتِي عَلَيْكَ، قَالَ: "نَعَمْ إِنْ شِئْتَ" قَالَ: الثَّلَاثِينَ، قَالَ: "نَعَمْ" قَالَ: فَصَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ" رواه الطبراني بإسناد حسن.

● وعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ رُبْعُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ" قَالَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي قَالَ: "مَا شِئْتَ" قُلْتُ: الرَّبْعُ؟ قَالَ: "مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ" قُلْتُ النَّصْفَ قَالَ: "مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ" قَالَ أَجْعَلْ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: "إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ" رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، والمراد بالصلاة في هذا الحديث الدعاء.

● وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ فَلْيَقْلُ فِي دُعَائِهِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَصَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، فَإِنَّهَا زَكَاةٌ "وقال: "لا يَشْبَعُ
مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ" رواه ابن حَبَّان.

• وعن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ
الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " رواه الْبَزَّازُ
وَالطَّبْرَانِيُّ وَهُوَ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

• وخرج الطبراني بإسناد عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال: قال رسول الله ﷺ : " مَنْ قَالَ جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا مَا هُوَ
أَهْلُهُ أَتَعَبَ سَبْعِينَ كَاتِبًا أَلْفَ صَبَاحٍ " .

• وَخَرَجَ أَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ عَبْدَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ يَسْتَقْبِلُ أَحَدُهُمَا
صَاحِبَهُ وَيُصَلِّيَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا ذُنُوبُهُمَا
مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ " .

● وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلَّى عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ . رواه الترمذى موقوفاً.

● ورواه الطبرانى بإسناد جيد عن على رضى الله عنه قال : كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَدْ رُويَ مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ [والصحيح الموقوف].

الباب التاسع

❖ من صيغ المؤلف للصلاة

على رسول الله ﷺ

من كتاب الحضرة

المحتويات

- ٤١٥ ○ الصلاة المهداة
- ٤١٥ ○ الصلاة الابراهيمية
- ٤١٦ ○ صلى الله عليك ...
- ٤١٦ ○ يا نور الأنوار أغثنى ...
- ٤١٧ ○ صلاة الزهراء
- ٤١٧ ○ صلاة الكوثر
- ٤١٨ ○ صلاة الخضر
- ٤١٩ ○ صلاة الأسماء الحسنى
- ٤٢١ ○ صلاة الأنفاس
- ٤٢٢ ○ صلاة السر الكبرى
- ٤٢٤ ○ صلاة النور
- ٤٢٦ ○ صلاة البشارة
- ٤٢٧ ○ صلاة الميزان
- ٤٣١ ○ صلاة النجم
- ٤٣٢ ○ صلاة حراء
- ٤٣٦ ○ صلاة القلب

٤٣٧	○ صلاة الروضة
٤٣٨	○ صلاة الأنفس
٤٣٩	○ الصلاة المهيمة
٤٤٠	○ صلاة اللواء
٤٤٤	○ صلاة الجمع
٤٤٩	○ صلاة الظل
٤٥٤	○ صلوات الدهر
٤٥٧	○ صلاة الأعلى
٤٦١	○ صلاة الصمد
٤٦٥	○ صلاة المن
٤٦٨	○ صلاة الخاتم
٤٧٧	○ صلاة الأنبياء
٤٨٠	○ صلاة السطاء
٤٨٣	○ صلاة الإمام
٤٩٣	○ أحب محمدا
٤٩٩	○ قصيدة علمني الحمد
٥٢٩	○ قصيدة صلوات الدهر [الصلوات الأوفى]
٥٥٥	○ قصيدة الصمد [المكيال]

